الكنيسة في الشرق ٨

الأناجيل المنحولة

ترجمة
اسكندر شديد

تقديم ومراجعة
أ. جوزف قزّي - أ. الياس خليفة

دير سيّدة النصر
نسبيه - غوسطا
٢٠٠٤

الأناجيل المنحولة

الكنيسة في الشرق (٨)

الأناجيل المنحولة

ترجمة

اسكندر شديد

تقديم ومراجعة

أ. جوزف قزّي - أ. الياس خليفة

دير سيّدة النصر
نسبيه - غوسطا

المحتوى

مقدّمة المنحولات

١ . تترقّب المكتبة العربيّة صدور «الكتابات البيبليّة المنحولة». وينتظر الباحثون في البيبليا، واللاّهوت، والليتورجيا، والفنّ، والتاريخ الديني والمدني . . . أحد أهمّ المراجع لأبحاثهم واختصاصاتهم وحقول عملهم المتنوّعة والمختلفة.

٢ . ولا يظنّنّ أحدٌ أنّ العلم الصحيح يُبنى دائماً على مقدّمات صحيحة ومعلومات حقيقيّة ودقيقة. فكم من الصدف كان لها دورٌ في اكتشافات أفادت العلم والبشريّة بما لا يُقاس! ولا بدّ أحياناً، بل أكثر الأحيان، من التماس الدّرر من بين القُمم، وانتشال التبر من تحت التراب، واكتشاف الحضارات من بين الخرائب والآثار!

٣ . هكذا الباحث عن جذوة الإيمان وحقيقة العقيدة والصراط القويم. فإنّه يبحث عنها، لا في الكتب القانونيّة للعقيدة، ولا في مقرّرات المجامع الرسميّة فحسب، بل قد يجد ضالّته في انحرافات الشيع والبدع، وفي الكتب المزيّفة والمحرّفة أيضاً.

٤ . والباحث في تراث الأمم والشعوب، وفي التقاليد والعادات والطقوس والعبادات، يجد أيضاً، ومن دون شكّ، ما يبحث عنه في كتبٍ لم تخضع لرقابةٍ فكريةٍ صارمة، ولا لموافقة مراجع دينيّة رسميّة عليا . . . ففي مثل هذهِ الكتابات الحرّة من كلّ رقيب أو حسيب، قد يكون البحثُ أكثرَ طرافةً، وأجملَ رونقاً.

٥ . ولن ننسى ما لـ «أساطير الأوّلين»[1] من بصمات راسخة في أهمّ المعتقدات الدينيّة؛ ولا للخرافات من مكانة ودور في حياة الأمم والشعوب . . . وهل يحتاج أحد إلى البراهين والحجج، لكي يتثبّت من أنّ أرقى الشعوب وأكثرها تمدّناً هي تلك التي تملأ الجنُّ والأرواحُ والأساطيرُ والخرافاتُ تاريخَها!

٦ . تحتاج الأممُ إلى نوعين متناقضين من العباقرة والملهمَين: نوعٍ يسترسل وراء الخيال والشعر وتركيبْ الصور فيبني بها عمارةً شاهقةً من الأوهام كأنّها حقائق؛ ونوعٍ يغوص في أعماق المادّة فيستخرج منها العلمَ والتقنيّة ويبني منها عالماً من الاختراعات والاكتشافات . . . هذان النّوعان المتناقضان لا تستغني البشرية عنهما في تمدّنها ورقيّها؛ وإلاّ فقدت توازنها. فكلاهما ضروريّ لها.

٧ . وما في التاريخ من معجزات وخوارق وأساطير قد يكون أكثر ممّا فيه من علوم وتقنيّات واختراعات واكتشافات . . . وليس من بطل قوميّ عاشَ في ذاكرة قومه إلاّ نُسِبَت إليه قدرات إلهيّة خارقة تفوق المعقول. وبمقدار ما يكون عظيماً في بني قومه بمقدار ما تكون خوارقُه عظيمة. والعكس غير صحيح؛ أي: ليست الخوارق هي التي تجعل الأبطالَ أبطالاً، بل لأنّهم أبطال نُسِبت إليهم الخوارق.

٨ . لا يشين التاريخ ما فيه من أساطير وخوارق؛ بل الذي يشينه جهلُنا الغاية التي من أجلها كانت هذه الأساطير والخوارق. وما يُعيبُنا نحن هو أن نحملَ هذه محملَ المنطق الأرسطي الصارم والعلم الوضعي الدقيق. والعيبُ الأكبر يكمن في أن نستحي بها، أو نخفيها، أو

---

١ ـ ورد هذا التعبير في القرآن تسع مرّات، وكلّها مكّيّة: سورة الأنعام ٦/ ٢٥؛ سورة الأنفال ٨/ ٣١؛ سورة النحل ١٦/ ٢٤؛ سورة المؤمنون ٢٣/ ٩٣؛ سورة الفرقان ٢٥/ ٥؛ سورة النّمل ٢٧/ ٦٨؛ سورة الأحقاف ٤٦/ ١٧؛ سورة القلم ٦٨/ ١٥؛ سورة المطففين ٨٣/ ١٣.

نرفضها، أو نحاول إلغاءها من التراث الذي تكوّن أهمّ عناصره، بل أحسن ما فيه.

٩ . ونحن، حتى اليوم، لم نُظهِر بَعْدُ من خفايا تاريخنا ما به نعتزّ، وما عليه قام تراثنا ومجدنا وإيماننا ومعتقداتنا . . . إنّ أسوأ ما نعاملُ به حاضرَنا ومستقبلَنا هو أن نتجاهل ماضينا أو نتبرّأ منه، وكأنّه لا يعنينا. ممّن يجب أن نخجل؟ أمن تاريخ مليءٍ بالأساطير والخوارق؟ أم من قوم يحاولون هدمَ ما قبلَهم فيتبرّأون من التاريخ كلّه؟ في ظنّي أنّ كثرة الأساطير والخوارق هي نتيجة عقليّات مختلفة وصراعات فكريّة غنيّة . . . لولاها لجمُدتْ كلُّ حركة، وباخت المسيرة، وتعطّلت الأبحاث، وماتت الحياة.

١٠ . عندما قام "معصومون" يحدّدون العقائد، ويفرضون الرّقابة على الأبحاث، ويوجّهون حسبما يشاؤون، ويكبتون الحريّات، ويكبّلون العقولَ والأيدي . . . توقّفت البشريّة عن البحث، وفُرِضت عليها النتائج فرضاً، وتجمّدت العقول، فوقف، بالتالي، كلّ تطوّر ورقيّ. ولم تتأخّر الأمم يوماً بمقدار ما تأخّرت عندما نُزِّلت الكتب، وحُدِّدت العقائد، وتوقّفت الأبحاث، وجُمِّدت مصارعة الأفكار . . . هذا الجمود نالنا منه الكثير في هذا الشرق. وينالنا منه اليومَ أكثر في منع ٧٠ كتاباً دفعةً واحدة، في ١٣/ ٣/ ١٩٩٩[١].

١١ . هذه الخواطر ما كنّا نتوقّف عندها لولا الذي لحق بالكتابات المنحولة منذ أن كانت. هذا الرّفض أخّر صدورها في اللّغة العربيّة حتّى اليوم. والأسبابُ عدّة:

١ ـ إشارة إلى ما أوردت "وكالة الصحافة الفرنسية" عن مسؤولين في الجامعة الأميركيّة في القاهرة. أنظر جريدة النّهار البيروتيّة، السبت ١٤/ ٣/ ١٩٩٩.

أوّلاً ـ لأنّ هذه المنحولات لا تعبّر عن العقيدة الرسميّة للكنيسة.

ثانيـــاً ـ لأنّ يسوعَ، في هذه المنحولات، يظهر، غالبَ الأحيان، وكأنّه ساحرٌ صانعُ معجزات وخوارق، ساعة يشاء، ومع من يشاء. فهو، منذ ولادته حتى مماته، لم يكفّ عن صنعها، وتحدّي الناس بها.

ثالثاً ـ لأنّ ترجمة هذه المنحولات إلى اللّغة العربيّة تشكّل عقبةً صعبةً مع الإسلام، وذلك من وجهتَي نظر متناقضتَين: فهي، من جهة تكشف عن مصادر عدّة للقرآن الذي استند إليها وأخذ بها؛ ومن جهة ثانية، تقدّم للمسلمين حجّةً في صحّة ما يتّهمون به المسيحيّين بأنّهم حرّفوا الإنجيل والتوراة بما كتبوا من روايات مختلفة أضفَوا عليها صفة الوحي بغير حقّ.

رابعـــاً ـ لأنّ المسؤولين في كنيسة العرب لا يزالون يفكّرون بأنّ عقيدتهم الأورثوذكسيّة تقوم على إخفاء ما حام حولَها من جدالات وأوهام. وهم، بذلك، يقدّمون دليلاً على عجزهم بما يقومون به من قمعٍ وكبتٍ وحرمٍ وإخفاء.



١٢ . أمّا الكتابات المنحولة هذه، فقد اكتُشِف منها حتى اليوم المئات. وهي تنقسم عادةً أربع مجموعات:

١ ـ أناجيل،

٢ ـ وأعمال،

٣ ـ ورسائل،

٤ ـ ورؤى.

نُشِرت في لغات مختلفة. والقليل الذي لا يُذكَر نُشِر في اللّغة العربيّة.

١٣ . تعود هذه المنحولات، في معظمها، إلى القرون المسيحيّة الأولى. وهي في اللغات البيبليّة المعروفة: كالعبريّة واليونانيّة والأرامية والحبشيّة والقبطيّة واللاّتينيّة والعربيّة. وهي في معظمها، أيضاً، من شيَع يهوديّة ـ متنصّرة مختلفة، منها ما هو على صراط مستقيم مع العقيدة الرسميّة، ومنها ما هو مخالفٌ. وما هو على العقيدة الرسميّة لا يعني قبولَه قبولاً كاملاً؛ وما هو مخالفٌ لا يعني رفضَه رفضاً حاسماً.

١٤ . من هذه المنحولات ما وصل إلينا كاملاً؛ ومنها ما وصل ناقصاً، أو مشوّهاً، ومنها ما ضاع ولم يبقَ إلاّ ذكر اسمه في كتابات آباء الكنيسة المعاصرين له؛ ومنها ما نُسِخ مراراً حتى كان لنا منه روايات عدّة مختلفة بعضها عن بعض. ومعظمها وُضع بأسماء رسل المسيح وتلاميذه؛ وذلك لإضفاء صفة القداسة والمصداقية عليه.

١٥ . المجموعة الأولى من المنحولات، أي الأناجيل، وهي موضوع كتابنا هذا، تتكلّم على مراحل يسوع الأساسيّة في حياته، بسَرْدٍ ضاف من المعجزات والخوارق. لقد اعتمدنا، في تقسيمنا لها التصميم التالي:

١ ـ أناجيل طفولة،

٢ ـ وأناجيل آلام،

٣ ـ وأناجيل غنوصيّة[1]،

٤ ـ ونبذات أناجيل.

---

١ ـ الغنوصيّة حركة دينية فلسفية تقول بأن الخلاص يعتمد على المعرفة الكاملة والسرّيّة لله. لهذا هي خاصة فقط بالعارفين «العقّال»، الذين عليهم أن يتجرّدوا من الجسد وتعاطي المادة، لينصرفوا كلّياً إلى المعرفة والتأمُّل والهذيذ الروحاني.
والأناجيل الغنوصيّة هي التي تحتوي كلمات يسوع التي، بمعرفتها وعيشها، يكون الخلاص.

١٦ . لقد كُتبت هذه الأناجيل المنحولة لسببين رئيسيَّين :

أوّلهما ـ لملء فراغ في حياة يسوع، وبنوع خاص، من ولادته حتى ظهوره على نهر الأردن؛ أي في فترة الثلاثين سنة من حياته، المسمّاة حياة يسوع الخفيّة. فالمؤمنون يريدون بإلحاح أن يعرفوا حياة معلّمهم وأعمالَه وأقواله. فكتب لهم من كتب، ونسبَ ما كتب إلى أحد الرّسل، ليروّج لما كتب سريعاً.

ثانيهما ـ لإظهار ألوهيّة يسوع في حياته كلّها، في تعاليمه وأفعاله، كما في مماته وقيامته. لذلك أضفى كتّاب المنحولات كمّاً من الخوارق والمعجزات يكاد يكون المسيحُ فيها ساحراً وصانعَ خوارق. إنّه أسلوبٌ أدبيّ لإقناع القارئين والسّامعين بمقصدهم. فالأسلوب هنا ليس هو الهدف، أكان أسلوباً علميّاً، أم أسلوباً أدبيّاً خارقاً. الهدف هو بيان ألوهيّة يسوع بأيّ شكل أو أسلوب كان. إنّها عقليّة الشعوب الشرقيّة التي تطلب الآيات فتُعطى لها الآيات، على ما أشار إلى ذلك المسيح في إنجيله.

١٧ . هذا "الأسلوب المعجزاتي" لا يحتاجُ، لصحّته ومصداقيّته، إلى أدلّةٍ علميّة. فلا التحقيقات الطبيّة، ولا الفحوصات الدقيقة، ولا المختبرات العلميّة، ولا نتائج الأبحاث الوضعيّة، ولا المراقبات النفسيّة، ولا المعالجات البسيكوسوماتيّة. . . هي التي تقرّر مصداقيّة هذه الخارقة أو تلك؛ إنّما حاجة المؤمنين إلى أن يُشعِلوا فيهم جذوة الإيمان هي التي تقرّر. لقد كان أسلوب المعجزات هو الرّائج. وليس علينا أن نقرأ، كما نقرأ اليوم في عيادات الأطباء ومختبرات العلماء، لنحكم. ألحكم هو للحدث كما يوصِله الكاتبُ الأديبُ إلينا، لا كما يَحكم عليه العلماء والأطباء اليوم.

١٨ . هذه القراءة هي التي ندعو إليها قارىء المنحولات. بغيرها يُضِرّ نفسه؛ ويزعزع إيمانه؛ ويحمّلنا مسؤوليّةً جسيمةً؛ ويجعلنا في حَيرة من أمرنا: أنكمّل مشروعنا أم نتراجع! في كلّ حال، إنّ القارىء مسيحيّاً كان أم مسلماً، إنْ كان مؤمناً حقيقيّاً، فهو يجد في ما ننشر عَوناً لإيمانه؛ وإن كان غيرَ مؤمنٍ، أو ضعيفَ الإيمان، فإنّه قد يجدُ حجّةً لضعفِ إيمانه. وحمْلُ الإثنينِ يقع على عاتقنا. ونحن نتبرّرُ أمام ضميرنا بمقولةٍ نردّدها: إنّ صراع الأضاليل هو الذي يفيد الحقيقة وينير دربها.



١٩ . الكتابات المنحولة، أو الأپوكريفيّة، Apocryphes من اليونانيّة Apocryphos، والتي تعني: الخفيّة المكتومة، هي التي لم تعترف الكنيسةُ لا بأصالتها ولا بقانونيّتها. وهي مقابل الكتابات البيبليّة الأصيلة والقانونيّة. تلك لم يُعرَف كاتبها الأصيل، أو نُسِبتْ إلى كاتبٍ ما بغير هدى، وهي لا تعبّر عن العقيدة الصحيحة التي تقول بها الكنيسة. أمّا الكتب الأصيلة والقانونيّة، فهي الكتب البيبليّة الرسميّة التي تُنسَب إلى أحد الرّسل أو تلاميذ الرّسل، وتعترف الكنيسة بها على أنّها تعبّر عن العقيدة الصحيحة.

٢٠ . هذه المنحولات هي على هامش الكتاب المقدّس، إذ إنّها تتكلّم على أحداث كتابيّة موحاة من دون أن تكون هي موحاة. أكثرها كُتِب لعامّة النّاس الذين، من أجل زيادة تقواهم وتعبّدهم، لا يؤخَذون إلاّ بالخوارق و"الأسلوب المعجزاتي". وبعضها كُتِب للخاصّة والنّخبة الذين، من أجل غوصهم الكامل في السرّ الإلهي، يتوسّلون المعرفة الغنوصيّة واسطةً لمعرفة السرّ الإلهي.

٢١ . لم تُطلَق كلمة "أبوكريفيّة" على هذه الكتابات منذ البدء، لأنّ الكنيسة كانت قد تأخّرت في التمييز بين الكتب، في ما هو مقبول لديها وما هو مرفوض. وكذلك تأخّر الإجماع على تصنيف الكتب. وحتى ما هو قانوني مختلَف فيه بين الكنائس حتى اليوم. والكلّ، بالنسبة إلى الكنيسة الكاثوليكيّة، لم يحدَّد بطريقة رسميّة إلاّ في المجمع التريدانتيني، في الجلسة الرّابعة المنعقدة في ٨ نيسان ١٥٤٦.

٢٢ . قبل هذا التحديد الرّسمي كانت حريّة التعاطي مع الكتب المقدّسة، سواء كانت قانونيّة أم منحولة، هي السائدة. وقد اعترف أُوريجانوس بهذه الحريّة في تفسيره على متّى ١٥/ ١٤، فقال: "أليوم الأمر طبيعيّ"، فهناك اختلاف في المخطوطات، أكان بإهمال بعض النسّاخ، أم بوقاحة بعض المتجرّئين على تصحيح النصوص، بزيادةٍ أو بحذفِ ما يشاؤون". وبسبب هذه الحريّة، ابتدأ في الإسكندريّة، منذ ذاك الحين، عملُ النّقد والتمحيص بتمييز الكتب بعضها عن بعض.

٢٣ . ولكن، إذا كانت الكنيسة حسمت أمرَها في قبول ما قبلت ورفض ما رفضت من الكتب البيبليّة، فإنّ حسمها هذا لا يعني لامبالاتها أمام مضمون ما رفضت. فكم من هذا المرفوض ما يعبّر خير تعبير عن تقاليد ذاك الزمان وعاداته! وكم من معلومات عن الطقوس والاحتفالات والأحداث التاريخيّة اعتمدت المنحولات مرجعاً! لقد عاش المرفوض إلى جانب المقبول على أنّهما معاً يؤلّفان جزءاً من التراث والتاريخ...

٢٤ . غير أنّ الكنيسة، عندما أصبحت ذات سلطان زمنيٍ، وكانت عاملاً فعّالاً في توحيد الامبراطوريّة الرّومانيّة، عمدت أيضاً، من أجل هذا الهدف "الوحدوي"، إلى توحيد الكتاب، والعقيدة، والتعبير عنها.

فنزعة التوحيد إحدى نزعات هذا الشرق الذي يعيش، إلى اليوم، مَرضَ "توحيد الكتاب"، و"الوحدة السياسيّة"، و"توحيد العقيدة"، و"جمع الشيع"... وما القرآن، في بعض معانيه، سوى "قران"، أي: "جمع". وما مصحف عثمان سوى حرقِ سائر المصاحف وجمعها في مصحف واحد لا غير.

٢٥ . وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن نعرف أنّ الكتابات المنحولة ليست كتابات منتظمة، متناسقة، لا من حيث تأليفها، ولا من حيث تاريخ بدايتها، ولا من حيث المناطق التي أُلِّفت فيها، ولا من حيث الزمن الذي امتدّت فيه كتاباتها... لهذا، وبسبب هذا، هي مادّة غنيّة للمؤرّخ، إذ توفّر له معلومات متنوّعة عن كنائس محليّة عدّة وعن شيع مختلفة متفرّقة، وعن أجيال عدّة. لهذا، هي لا تدخل تحت نوع معيّن من التنظيم والتنسيق.

٢٦ . وثمّة ميزة أخرى للمنحولات، وهي أنّ للمنحولة الواحدة مخطوطات عدّة متباينة. فلدينا من إنجيل توما، مثلاً، خمسة أشكال مختلفة. ومن المحتمل ألاّ يكون بوسعنا الوصول إلى النّسخة الأصليّة. وبعض المخطوطات، كرؤيا بطرس، مثلاً، نجهل كاتبها والجماعة المرسَلة إليها. وبعضها الآخر كان نسّاخُها غير مسيحيين، فظهرت فيها تعاليم غير مسيحيّة. وهكذا...

٢٧ . ثمّ أيضاً يمكننا أن نعدّد بعض الموضوعات التي تتوقّف المنحولات عندها، فهي:

١ ـ روايات عن ميلاد يسوع وطفولته وموته، كإنجيل يعقوب التمهيدي، وإنجيل الطفولة لمتّى المزعوم، وإنجيل نيقوديموس.

٢ ـ وأخبار عن اضطهاد الرّسل واستشهادهم، مثل: بطرس وبولس وأَندراوس وتوما وفيليبّوس ومتّى.

٣ ـ وروايات عن ارتداد بعض القياصرة، أو ارتداد نسائهم على يد رسول، واعتناق بعضهنّ حياة التبتّل ممّا أدّى إلى اضطهاد القياصرة لهذا الرّسول.

٤ ـ وتحريضات وعظات ليتورجيّة لكلّ احتفال ديني أو عبادة؛ فنقرأ، مثلاً، في «أعمال بطرس»، وصفاً لفرض الأحد؛ وفي «أعمال توما»، وصفاً للاحتفال العمادي، وفي «أعمال بولس»، و«أعمال فيليبّوس»، نصوصاً لصلوات تُظهِر تقوى معيّنة.

٥ ـ وروايات عن خوارق ومعجزات عدّة: فهناك قيامة لموتى كثيرين؛ وشفاءات لأمراضٍ متنوّعة، على مسافة، أو على يد شخص وسيط. وهناك ظهورات لملائكة في شكل أحلام ورؤى تلعب دوراً كبيراً في حياة الأشخاص والجماعات.

٦ ـ وأمثال، وتشابيه، وصور، هي الأسلوب المألوف في إظهار تعليم ما أو التركيز على عقيدة.

٧ ـ وحوارات بين المسيح والرسل ليشجّعهم، ويوجّههم، أو أيضاً ليؤنّبهم.

٨ ـ وأخيراً إيحاءات وإلهامات وتنبّوءات مستقبليّة، مع ما فيها من معرفة أحوال السّماء ومصير الأموات وعلامات الكون...

٢٨ . في النهاية، كم من الأعمال الفنيّة والأدبيّة، في تاريخ الفكر، استلهمتِ المنحولات، وأخذت منها موضوعاتها! فكم من رسّامين، ومصوّرين، ونحّاتين، وشعراء، وأدباء، أخذوا لوحاتهم الفنيّة الخالدة من صُوَر وروايات منحولة!! ليس أقلّها هربُ الربّ إلى مصر، ونزوله إلى الجحيم، وتحطيم أبوابها، وولادة العذراء، ونياحتها، وأخبار

المجوس، والجلجلة، والصليب، والقيامة، والصعود، وأخبار بولس وتقلا، واستشهاد أَشعيا . . . كلّها كانت مادّة غزيرة. ومَنْ لا يعرف «الكوميديا الإلهيّة» لدانتي؟ و«إلى أين يا ربّ» لسيَانْكيفيتْش؟ و«العمل بالأسود» لمارغريت يورسُنار؟ و«فوست» لغوته؟ وغيرها الكثير الكثير؟

٢٩ . والترجمة العربيّة، لمجموعة الأناجيل المنحولة، الأولى من المجموعات الأربع، المذكورة سابقاً، (رقم ١٢ و١٥)، ستصدر تباعاً، إنشاء اللّه، قام بها اسكندر شديد، المتميّز، في أعماله الفكريّة، بالدقّة والأمانة؛ المتضلّع من اللّغتين المنقول عنها والمنقول إليها؛ والمتَّصف بجدارته العلميّة ذات المعارف الموسوعيّة . . . هذا ممّا يجعل القارىء العربي يطمئنّ إلى ما بين يدَيه من نصوص دقيقة يُعتمَد عليها.

٣٠ . لقد اعتمد المترجم مصادرَ عدّة، من لغات عدّة، ومن ترجمات مختلفة، محقَّقة علميّاً، واضحة بالمقدّمات عليها، مليئة بالحواشي والشروحات، مبوَّبة منسَّقة لتسهيل القراءة والتعاطي معها. وإذا ما كان في النصّ الأصلي من نواقص، وهي كثيرة، وقد أشير إليها بـ(. . .)، فلأنّ النّصوص الأصليّة نفسها لم تصل إلينا كاملة. هذا النّقصُ، إنْ كان يعيبُ التاريخ، فهو يميِّز المترجِم بأمانته، ويشرِّفه بجدّية عمله.

٣١ ـ **ملاحظة**: علينا أن نشير إلى ان «إنجيل برنابا»، العظيم الاعتبار عند المسلمين، لا يدخل في مجموعة الأناجيل المنحولة. انه من أوائل القرن السابع عشر ميلادي، وضعه، باللغة الايطالية، راهبٌ يدعى «مارينو» اعتنق الإسلام، وحاول تبريرَ ارتداده بما ظنّه توفيقاً بين المسيحية والإسلام واليهودية، وبما ظنّه يضع حدّاً للصراع الديني في

أوروبا، على أثر إخراج المسلمين من الأندلس. ترجمه إلى الاسبانيّة «مصطفى العرندي» صديق الراهب «مارينو»؛ ونقله إلى العربية الدكتور خليل سعادة، ونشره عام ١٩٠٨. هذا الإنجيل لا يمتّ لا إلى الإسلام ولا إلى المسيحية بصلة.

نِسْبَيْه في ١٨/ ٣/ ١٩٩٩

أ. جوزف قزّي

I ـ أناجيل طفولة مريم ويسوع

١. إنجيل توما الإسرائيلي

٢. إنجيل يعقوب التمهيدي

٣. إنجيل الطفولة العربي

٤. إنجيل مولد مريم وميلاد المخلّص

٥. إنجيل مولد مريم

إنجيل توما الإسرائيلي

هذا النصّ يحمل عنوان «طفولة الربّ يسوع» في مخطوط سرياني. ويضيف مخطوط يوناني «بقلم توما، فيلسوف إسرائيل». لا علاقة لهذا الإنجيل بإنجيل توما الغنوصي. انه مجموعة قصص تاريخيّة / أُسطوريّة، غنية بمعجزات عن حياة يسوع حتى عامه الثاني عشر، ويعود إلى القرن الثاني م. في ما يبدو. نجد فيه علاقات تُظهِر يسوع صاحب جسارة مدهشة. لكن المؤلف جاهل بالعالم اليهودي، مما يدلّ على أنه من أصل ربما وثني/ متنصِّر.

في تعليق له على إنجيل يوحنا، أدلى به بين العامين ٣٨٦ و٣٩٨م. يقول يوحنا الذهبي الفم ان يسوع لم يجترح معجزات قبل اعتماده، وان ما ذُكِر خلافاً لذلك عن أيام طفولته من اختراع بعض الكذبة.

كتاب توما الإسرائيلي، الفيلسوف، في الأشياء التي صنعها الربّ، وهو لا يزال طفلاً[١]

١ ـ التعريف

أنا، توما، الإسرائيلي الأُمة، أتوجَّه إليكم أنتم جميعاً الذين عزفتم عن اخطاء الوثنيين بالإيمان المسيحي، لتعلموا روائع طفولة ربّنا يسوع المسيح، وما صنعه بعدما وُلِدَ في بلادنا. ها هي بداية ذلك.

٢[٢] ـ يسوع يخلق طيورًا

كان الطفل يسوع، وعمره خمسة أعوام، يلعب على حافة ساقية، وكان يتلقى في أقنية صغيرة المياه الجارية، فغدت على الفور رائقةً وصافيةً، وكانت تطيع صوته. وإذ جَبَلَ طيناً، استخدمه ليصنع اثني عشر طائراً، وكان اليوم والحال هذه يوم سبت. وكان هناك اطفال آخرون كثر ويلعبون معه. فمضى فوراً احد اليهود وقد رأى ما كان يفعله يسوع، وانه كان يلعب يوم السبت، وقال لأبيه يوسف: «ها ان ابنك على حافة الساقية، وقد صنع اثني عشر طائراً من الطين، ودنَّس السبت.» وجاء يوسف إلى ذلك الموضع، وإذ رأى ما فعل يسوع، صاح: «لِمَ فعلتَ، يوم السبت، ما هو محظور فعله؟» فصفَّق يسوع بيديه وقال للطيور: «هيّا.» فطارت مغرِّدةً. واستولى الإعجاب على اليهود لدى رؤية هذه المعجزة، ومضَوا يروون ما رأَوا يسوع يفعله.

١ ـ عنوان غير موجود في الأصل.

٢ ـ آل عمران: ٤٩؛ المائدة: ١١٠: ...اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله؛ فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني.

٣ ـ لعن ابن حنّان

وكان ابن حنّان، الكاتب، قد قَدِمَ مع يوسف، فأجرى المياه التي تلقاها يسوع، آخذاً بغصن صفصاف. فانزعج يسوع وقد رأى ذلك وقال له: «أيها الرجل الظالم، الكافر والمجنون، بماذا آذاك هذا الماء؟ سوف تكون كشجرة ضربها اليباس وحُرِمت من جذورها، لا تُنتِج أوراقاً، ولا ثماراً.» وعلى الفور يبس بكامله. ثم مضى يسوع إلى مسكن يوسف. وأهل الطفل الذي يبس أمسكوه بين ذراعيهم، آسفين للمصاب الذي ضربه في عمرٍ طريٍّ كهذا، وأخذوه إلى يوسف الذي حملوا عليه بحدّة لأن له ابناً يفعل أشياء كهذه.

٤ ـ ثورة وموت طفل

كان يسوع في مرة أخرى يعبر القرية، فصدمه طفل، وهو راكض، في كتفه. فثار يسوع وقال له: «لن تذهب إلى أبعد.» وعلى الفور سقط الطفل ومات. وقال قوم وقد رأوا ما حدث: «من أين يأتي هذا الطفل؟ ان كلاً من كلماته تتحقق على الفور.» واقترب أهل الطفل الذي ضربه الموت من يوسف وقالوا له: «ان لكَ طفلاً بحيث لا تستطيع سُكنى قريتنا نفسها، وإلا علِّمْه ان يبارك لا ان يلعن، لأنه يُهلِك أطفالنا.»

٥ ـ غضب يوسف ويسوع

ومنادياً الطفل إليه، وبَّخه يوسف، قائلاً: «لِمَ تفعل هذه الأشياء؟ إنهم يحقدون علينا وسوف نُضطهد.» فأجاب يسوع: «أعلم أن الكلمات التي تلفَّظتَ بها ليست منك، بل أُوحيت إليك؛ إلا انني سأصمت لأجلك، أما هم، فسوف ينالون عقابهم.» وعلى الفور غدا

متَّـهِـمـوه عـمـيـانـاً، والذين رأَوا ذلك ذُعِـروا جـداً، وكـانوا يـتـردَّدون، ويقـولون: «كلٌّ من كلمـاته يليـهـا فـعل، إما لـلـخـيـر، وإمـا للشـر، ويأتي بمعـجزات.» وعندمـا رأَوا ان يسـوع يفعل أشـيـاء كـهـذه، نـهـض يوسف، وشدَّ أُذنه بقوة. فغضب الطفل وقال: «لِيَكْفِكِ البحث وعـدم الاكتشاف؛ لقد تصرَّفتَ كمـجنون؛ أنا لكَ من دون شك؛ إنما ليس عليك ان تعذِّبني في شـيء، فأنا لكَ لئلا تزعجني مطلقاً.»

٦ ـ عند المعلّم زكّا

وسـمـع مـعلِّم مدرسـة، اسـمـه زكّا كـان قـربـهـمـا، يـسـوع يـكلِّم أباه هكذا، فـدهش جـداً لـتـعـبـيـر طفلٍ بـهـذه الـصـورة. وبـعـد أيام قليلة قـصـد يوسف وقـال له: «ان طفلك مـوهـوب بذكـاء كـثـيـر؛ إعـهَدْ به إليَّ، فـأُعلِّمه الأحـرف، وأمنحـه كلّ أنـواع الـتـهـذيب، مـعلِّمـاً إياه خـصـوصـاً احـتـرام الشـيـخـوخـة ومـحـبَّـة مـجـايليه.» وعلَّمـه الأحـرف كلهـا من الألـف حـتـى الأومـيـغـا، شـارحـاً بوضـوح وعناية قيـمـة كلٍّ منهـا ومعناه. وإذ نظر يسـوع إلى المعلِّم زكّا، قـال له: «أنتَ الذي يجـهـل طبـيـعـة الـحـرف أَلفـا، كـيـف تعلِّم الآخـرين مـا هي الـبِـيْـتـا؟ أيهـا المرائي، علِّمنا أولاً، مـا هـو حـرف أَلفا، وإذاك نصدِّقك حين تتـحدَّث عن حـرف بِيْتا.» وأخـذ عندهـا يُلِحُّ على المعلِّم بأسـئلة عن أول حـرف من الألفـبـاء، فلم يسـتطع زكّـا إعطـاء اجـوبة مُـرضـيـة. وفي وجـود كـثـيـر من الـحـضـور، قـال الطفل لزكّـا: «إسمَعْ، يا معلِّم، مـا هـو موقـع الـحـرف الأول، ولاحِظْ من كم خطٍّ يتـألَّف، وكم يحتوي منها داخليةً، حـادةً، متـبـاعـدةً، متلاقـيـةً، مرتـفـعـةً، ثابتةً، متناسقةً، غير متسـاوية القيـاس.» وشـرح له كلّ مـا له عـلاقـة بالـحـرف A.

٧ ـ زكّا يُعلن هزيمته

عندما سمعَ زكّا الطفل يعرض أشياء بهذه الكثرة، لبث خَجِلاً بعلمه، وقال للحضور: «واأسفي! كم أنا تَعِس، فقد أورثت نفسي سبب ندامة، وجلبتُ عليَّ عاراً باجتذاب هذا الطفل إلى عندي؛ استَعِدْه، استحلفك بذلك، يا أخي يوسف؛ انني لا أستطيع الصمود أمام قوة براهينه، ولا أُحسِن الارتفاع إلى أحاديثه. ان هذا الطفل لم يولَدْ على الأرض؛ ويمكنه التسلُّط على النار؛ ربما وُلِدَ قبل خلق العالم؛ أجهل أي بطن حمله وأي ثدي أرضعه؛ لقد وقعت في خطأ جسيم، فقد أردت أن يكون لي تلميذ فوجدت معلِّماً؛ انني أرى، يا أصدقائي، ما هو ذُلّي، فأنا، الشيخ، هُزِمت على يد طفل، وستكون نفسي في قنوط، وسأموت بسببه، ومنذ هذه اللحظة، ما عدت أستطيع مواجهته. وحين يقول الجميع انني غُلِبت على يد طفل، فماذا أُجيب وكيف أتحدَّث عن قواعد الحرف الأول وعناصره بعد كلّ الذي قاله عنها؟ انني لا أعرف بداية هذا الطفل ولا نهايته. استحلفك إذاً، يا أخي يوسف، استردَّه إلى بيتك: إنه ذو شأن عظيم، إنه إله أو ملاك، لا أدري.»

٨ ـ شفاء المصابين بلعنة

وعندما كان اليهود يقدِّمون نصائح لزكّا، أخذ الطفل يضحك وقال: «الآن وقد أثمرت الأمور وعُمْيُ القلب يُبصِرون، جئت من فوق لألعنهم وأدعوهم إلى أشياء أسمى، هذا هو الأمر الذي اعطاني إياه مَنْ أرسلني لأجلكم.» وحين أنهى كلامه، كلّ الذين أصابتهم لعنته شُفوا على الفور. ومنذ ذلك الوقت، ما من أحد كان يجرؤ على إثارة غضبه خوفاً من أن يلعنه ويُصاب بشرٍّ ما.

٩ ــ قيامة زينون الطفل

وبعد أيام قليلة، كان يسوع يلعب على مصطبة، في أعلى منزل، فسقط أحد الأطفال الذين كانوا يلعبون معه، من أعلى السطح ومات؛ وإذ رأى الأطفال الآخرون ذلك، هربوا، ونزل يسوع وحده. وعندما جاء أهل الطفل الذي مات، اتهموا يسوع بدفعه من أعلى السطح، وكالوا له شتائم. فنزل يسوع من السطح، واقترب من جثة الطفل، ورفع صوته، وقال: «يا زينون (كان هذا اسم الطفل)، قُمْ وقُلْ لي إنْ كنت أنا مَنْ أوقعك.» وأجاب الطفل، وقد نهض على الفور: «لا، يا سيِّد، لم تسبِّب سقطتي، وبالعكس تماماً، أقمتني من الموت.» وذهل الذين كانوا حاضرين. ومجَّد أهل الطفل الله لأجل الآية التي حصلت، وسجدوا ليسوع.

١٠ ــ قيامة شاب

وبعد بضع أيام، كان شابٌّ منشغلاً بالاحتطاب، فأفلتت فأسه من يدَيه، وأحدثت في قدمه جرحاً عميقاً، فمات وقد نزف دمه كلّه. ولما كانوا يهرعون نحوه وكانت هناك جلبة عظيمة، ذهب يسوع مع الآخرين، وإذ وسَّع لنفسه مكاناً، اجتاز الجمع، ووضع يدَيه على قدم الشاب، فشفي على الفور. وقال للشاب: «قُمْ، احتطِبْ وتذكَّرني.» وعندما رأى الجمع ما حدث، سجدوا كلّهم ليسوع، وهم يقولون: «حقاً، ان روح الله يسكن هذا الطفل.»

١١ ــ ماء في الرداء

وعندما بلغ العاشرة من العمر، ارسلته أُمه، وقد أعطته جرَّةً، لاستقاء الماء وجلبه إلى البيت، وإذ ارتطمت الجرّة، وسط الجمع،

تحطَّمت. فبسط يسوع رداءه الذي كان يلبسه، وملأه ماءً وحمله إلى أُمه. فقبَّلته أُمه، وقد رأت الآية التي صنعها، وكانت تحتفظ في قلبها بذكرى الآيات التي كانت تراه يصنعها.

١٢ ـ آية الزَّرع

وإذ جاء زمن الزَّرع، ذهب الطفل يسوع مع أبيه ليبذر قمحاً في موطنهما، وفيما كان يوسف يبذر، تناول الطفل حبّة قمح وطمرها في التراب، وهذه الحبّة وحدها أعطت مئة مُدٍّ من القمح. وإذ جمع فقراء القرية كلّهم، وزَّع عليهم القمح، وأخذ يوسف ما تبقَّى. وكان يسوع في الثامنة من عمره حين صنع هذه الآية.

١٣ ـ إنقاذ يوسف من ورطة

وكان أبوه نجّاراً وكان يصنع آنذاك أنياراً ومحاريث. وقد أوصاه رجل ثري على سرير. ولما كانت المسطرة التي يستخدمها يوسف لقياس الخشب لا يمكنها ان تفيده في ذلك الظرف، قال له الطفل: «ضَعْ أرضاً قطعتَي خشب وانجرهما انطلاقاً من الوسط.» وفعل يوسف ما أمره به الطفل، وإذ كان يسوع في الجانب الآخر، ضمّ الخشب وشدَّ نحوه القطعة الأقصر، فغدت مساوية للأخرى، وقد طالت تحت يده. وإذ رأى أبوه يوسف ذلك، أُعجِب، وقال، وهو يقبِّل الطفل: «أنا سعيد لأن الربّ أعطاني طفلاً كهذا.»

١٤- إلى معلِّم آخر

وإذ رأى يوسف ان الطفل يكبر سناً، أراد أن يتعلَّم الأحرف، فاصطحبه إلى معلِّم آخر. وهذا المعلِّم قال ليوسف: «سوف أُعلِّمه أولاً

الأحرف اليونانية ومن ثم الأحرف العبرية.» وكان المعلِّم يعرف مهارة الطفل كلّها ويرهبه؛ إلا أنه كتب الألفباء، وحين أراد سؤال يسوع، قال له يسوع: «إذا كنتَ حقاً معلِّماً، وإذا كانت لديك معرفة صحيحة بالأحرف، فقُلْ لي ما معنى حرف أَلفا، أقول لك ما معنى حرف بِيْتا.» فدفعه المعلِّم، ثائراً، وضربه على رأسه. فلعنه الطفل، غاضباً من هذه المعاملة، وعلى الفور سقط المعلِّم على وجهه ميتاً. وعاد الطفل إلى مسكن يوسف، الذي اغتمَّ جداً لذلك، وقال لأُم يسوع: «لا تدعيه يجتاز باب البيت، فكلّ الذين يُثيرون غضبه يصعقهم الموت.»

١٥ ـ تلميذ مملوء نعمةً

وبعد بعض الوقت، قال ليوسف معلِّم آخر، كان قريباً وصديقاً له: «قُدْ هذا الطفل إلى مدرستي؛ فربما أنجح في شكلٍ أفضل في تعليمه الأحرف، غير مستخدم حياله سوى معاملة جيدة.» فقال له يوسف: «خُذْه معك، يا أخي، إذا تجرأت على ذلك.» وأخذه معه بخشية وندم، وكان الطفل يمضي جذلاً. وإذ دخل المدرسة بثقة، وجد كتاباً على الأرض، ولم يكن يقرأ، وقد تناوله، ما كان مكتوباً؛ لكنه كان يتكلَّم، فاتحاً فمه، بحسب إلهام الروح القدس، وكان يشرح الشريعة للحاضرين. وكان يحيط به جمعٌ كبير، وكلّهم كانوا معجبين بعلمه وبان طفلاً يعبِّر بهذه الطريقة. فارتعب يوسف، وقد علم ذلك، وأسرع إلى المدرسة، خائفاً من أن يكون المعلِّم أُمِّيّاً. وقال المعلِّم ليوسف: «تعلم، يا أخي، انني أخذت هذا الطفل تلميذاً، لكنه مملوء نعمةً وذو حكمة بالغة؛ أرجوك، يا أخي، أرجِعْه إلى بيتك.» وعندما سمع الطفل، ابتسم وقال: «لأنك أحسنتَ الكلام، وأدَّيتَ شهادة جيِّدة، مَنْ صُعِقَ

سيشفى لأجلك.» وعلى الفور شفي المعلِّم الآخر. وأخذ يوسف الطفل ومضى إلى بيته.

١٦ ـ شفاء يعقوب

وأرسل يوسف ابنه يعقوب ليحزم حطباً ويحمله إلى البيت ورافقه الطفل يسوع. وعندما كان يعقوب يلتقط أغصان شجر، لسعته أفعى في يده. وحين كان في لحظة الموت من جرحه، اقترب يسوع، ونفخ فوق اللسعة، فتوقَّف الألم على الفور، ونفقت الزاحفة، ولبث يعقوب معافىً تماماً.

١٧ ـ "آمرك بألا تموت"

وبعد ذلك، حدث أن طفل أحد عمال يوسف مرض، ومات، وكانت أُمه تبكي كثيراً. وسمع يسوع صوت النحيب والتأوُّهات، فعجَّل في الإسراع، وعندما وجد الطفل ميتاً، لمس صدره، وقال: «آمرك، أيها الطفل، بألا تموت؛ عِشْ وابقَ مع أُمك.» وعلى الفور نهض الطفل وأخذ يضحك. فقال يسوع للأُم: «خذيه واعطيه حليباً، وتذكَّريني.» وحين رأى الشعب الذي كان هناك هذه الآية، قال: «هذا الطفل هو حقّاً إله أو ملاك الله، فكلّ ما يأمر به يُنَفَّذ على الفور.» ومضى يسوع مع الأطفال الآخرين.

١٨ ـ الميت ينهض ويسجد

وبعد بعض الوقت، ولما كانوا يشيِّدون مبنى، ارتفعت جلبة عظيمة، فذهب يسوع ليرى ما حدث، وإذ وجد رجلاً راقداً ميتاً، أمسك بيده وقال له: «أقول لك ذلك، يا رجل، قُمْ، وعُدْ إلى عملك.» وعلى الفور

نهض الميت وسجد له. وأُصيب الجمع بالذهول، وكان يقول: «حقّاً، هذا الطفل آتٍ من السماء، ولقد وقى أنفساً كثيرة الموت، وسوف يقيها كلّ زمن حياته.»

١٩ ـ أمام الشيوخ والمعلِّمين

وعندما بلغ يسوع الثانية عشرة من العمر، ذهب أبواه، بحسب العادة، إلى أُورشليم ليحتفلا بالفصح، برفقة أشخاص آخرين، وبعد العيد عادا إلى ديارهما. وفيما كانا سائرَين، عاد الطفل يسوع إلى أُورشليم، وكان أبواه يعتقدان بأنه كان مع الذين يرافقونهما. وبعدما قطعا نهار سيرٍ، فتّشا عنه بين أقربائهما فلم يجداه؛ عندها عادا إلى المدينة ليبحثا عنه، وفي اليوم الثالث، وجداه في الهيكل، جالساً في وسط العلماء، ومستمعاً إليهم، وسائلاً إياهم، وشارحاً الشريعة. وكلّهم كانوا منتبهين ومندهشين لأن طفلاً أربك الشيوخ ومعلِّمي الشعب وضيَّق عليهم بالأسئلة، باحثاً في نقاط الشريعة وفي أمثلة الأنبياء. وقالت له أُمه مريم، مقتربةً منه: «لِمَ تصرَّفت هكذا، يا بُنَيّ؟ كنا مغتمِّين ونفتِّش عنك.» فأجابها يسوع: «لِمَ تفتِّشان عنّي؟ ألا تعلمان ان عليَّ أن أكون مع الذين هم لأبي؟ »إذاك قال الكتبة والفريسيون لمريم: «هل أنتِ أُم هذا الطفل؟» فأجابت: «أنا هي.» فقالوا لها: «أنتِ محظوظة بين كلّ النساء، لأن الله بارك ثمرة أحشائك؛ اننا لم نرَ ولم نسمَعْ أبداً مجداً بهذا المقدار، وحكمةً بهذا المقدار وفضيلةً بهذا المقدار.» وإذ نهض يسوع، تبع أُمه، وكان طائعاً أبوَيه. وكانت أُمه تحتفظ في قلبها بذكرى كلّ ما كان يحدث. وكان يسوع ينمو حكمةً، ونعمةً وعمراً. له المجد في كلّ الدهور. آمين.

إنجيل يعقوب التمهيدي

إسمه الحقيقي «ولادة مريم». أُسمي «التمهيدي» لأنّه يُخبِر عن أحداث لم يذكرها متى ولا لوقا.

كثيرة الأناجيل المنحولة التي تصف طفولة يسوع، بينما لا تحتوي الأناجيل الرسمية سوى بعض ملاحظات مختصرة جداً في هذا الموضوع. ويبدو أنها مستمدّة كلّها من إنجيل يعقوب التمهيدي، ومن إنجيل توما الخاص بالطفولة. وأصلها، حسب ب. پيترز (P. Peeters)،مصدر سرياني فريد مكتوب قبل العام ٤٠٠ م. ربما ضم كتابات مرجعها شرقي وحتى بوذي. إلا أن ج. ميخل (J. Michl) يعتقد بوجود ممكن لكتيِّب خاص بالطفولة الإلهية من القرن الثاني م. عنوان هذا الإنجيل مأخوذ من ترجمته اللاتينية على يد الراهب اليسوعي الفرنسي غيّوم پوستيل (Guillaume Postel) (١٥٥٢). ويبدو أنه كُتِبَ نحو العام ١٥٠ م. ويؤكد وجوده يوستنيانوس، أُوريجانوس وإقليموس

الإسكندري. رفضه البابا جيلازيوس بقرار. يقدّم المؤلف نفسه، وقد يكون يهودياً متنصّراً من الشتات، شقيقَ يسوع من زواج أول ليوسف. ويضم أقدم بيان في طفولة مريم، وتقديمها للهيكل، وولادة يسوع البتولية. احتُفِظ بهذا النص في أصله اليوناني، وفي ترجمات سريانية، وأرمنية، وقبطية، وسلاڤونية، وعربية، ولاتينية... مع تغييرات متعددة.

هذا الإنجيل كان مصدراً لإلهامات رسّامين عدّة.

١ ـ خروج يواكيم إلى الصحراء

نقرأ في أخبار أسباط إسرائيل الاثني عشر ان يواكيم كان غنيّاً جداً ويقدِّم لله قرابين مضاعفة، قائلاً في قلبه: «لتكن خيراتي للشعب كلّه، من أجل مغفرة خطاياي لدن الله، ليُشفِق الربّ عليّ.» وحلَّ عيد الربّ الكبير وكان أبناء اسرائيل يأتون بقرابينهم، فاحتجَّ روبين على يواكيم، قائلاً: «انك لا تملك الحقّ بتقديم قربانك، لأنك لم تحظَ بذرية في إسرائيل.»

فاستولى على يواكيم حزن عظيم، ومضى يراجع سلاسل انساب الأسباط الاثني عشر، قائلاً في سرِّه : «سوف أرى إنْ كنت الوحيد في أسباط إسرائيل الذي لم يحظَ بذرية في إسرائيل.» وبتفحُّص الماضي، رأى انّ الأبرار كلهم خلَّفوا عقباً، لأنه تذكَّر إبراهيم الأب

الذي رزقه الله، في أيامه الأخيرة، إسحق ابناً. إذاك لم يشأ يواكيم، مُغتمّاً لهذه الذكرى، الظهور ثانيةً أمام امرأته؛ فمضى إلى الصحراء، ونصب فيها خيمته، وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة، قائلاً في قلبه: «لن أتناول طعاماً ولا شراباً؛ وصلاتي ستكون طعامي الوحيد.»

٢ ــ حنة حزينة

وكانت امرأته حنة[١] تعاني حزناً مضاعفاً، وكانت فريسة ألم مضاعف، قائلةً: «انني أرثي لترمّلي وعقمي.» إلا ان عيد الربّ الكبير حلّ، فقالت يهوديت خادمة حنة، لها: «إلى متى سوف تستسلمين للحزن؟ ليس مسموحاً لك بالبكاء، فها هو يوم العيد الكبير. خذي إذاً هذا الرداء وزيّني رأسك. وكما أنا خادمتك، كذلك سوف تشبهين ملكة.» فأجابت حنة: «ابتعدي عني، لا أُريد ان أفعل شيئاً من ذلك. إن الله أذلّني بشدة. إخشي أن يعاقبني الله بسبب خطيئتك.» فأجابت الخادمة يهوديت: «ماذا أقول لكِ، طالما أنكِ لا تريدين سماع صوتي؟ ان الله أغلق بحقٍّ بطنك لئلا تُرزقي طفلاً لإسرائيل.» وحزنت حنة جداً، وخلعت ثياب حدادها؛ وزيّنت رأسها وارتدت ملابس عرس. ونزلت، نحو الساعة التاسعة، إلى الحديقة لتتنزّه، وإذ رأت شجرة الغار، جلست تحتها، ووجّهت صلواتها إلى الربّ، قائلةً: «يا إله آبائي، باركني واستجِبْ صلاتي، كما باركت احشاء سارة ورزقتها إسحق ابناً.»

٣ ــ صيحة ألم

ورأت على شجرة الغار، وهي ترفع عينَيها إلى السماء، عشَّ دوري، فصاحت بألم: «وا أسفي! بماذا يمكنني ان أُقارَن؟ لمَنْ أدين

---

١ ـ يذكّر اسم امرأة يواكيم باسم أُم صموئيل. وكلّ هذا المقطع مكيَّف بحسب كتاب صموئيل الأول.

بالحياة لأكون ملعونة هكذا في حضور أبناء إسرائيل؟ انهم يسخرون مني ويحقِّرونني وقد طردوني من هيكل الربّ. وا أسفي! ماذا أُشبه؟ أيمكنني أن أُقارَن بطيور السماء؟ لكن الطيور وَلود أمامك، يا ربّ. أيمكنني ان أُقارَن بحيوانات الأرض؟ لكنها وَلود. لا، لا يمكنني ان أُقارَن بالبحر، لأنه مسكون بأسماك، ولا بالأرض، لأنها تعطي ثماراً في أوانها، وتبارك الربّ.»

١٤ ـ بشارة الملاك

وإذا بملاك الربّ طار نحوها وقال لها: «يا حنة، ان الله سمع صلاتك؛ سوف تحبلين وتلدين، ويكون نسلك مشهوراً في العالم بأسره.» فقالت حنة: «ليحيَ الربّ، إلهي؛ سواء كان صبيّاً أم بنتاً ما ألِدُه، فسوف أُقدِّمه للربّ، وسوف يكرِّس حياته للخدمة الإلهية.» وإذا بملاكَين أتيا، قائلَين لها: «هوذا، يواكيم، زوجك، يصل مع قطعانه.» ونزل ملاك الربّ نحوه، قائلاً: «يا يواكيم، يا يواكيم، ان الله سمع صلاتك، وستحبل امرأتك حنة.» ونزل يواكيم ونادى رعاته، قائلاً: «هاتوني بعشر نعاج سليمة وبلا عيب، وسأنذرها للربّ إلهي. وقودوا إليَّ اثني عشر عجلاً بلا عيب، وسوف أقدّمها للكهنة وشيوخ بيت إسرائيل، وائتوني بمئة كبش، وهذه الأكباش كلّها ستكون للشعب كلّه.» وإذا بيواكيم قد جاء مع قطعانه، وكانت حنة عند باب منزلها، فلمحت يواكيم آتياً مع قطعانه؛ فركضت وارتمت على عنقه، قائلةً:

---

١ ـ آل عمران: ٣٥، ٣٦، ٣٧: إذ قالت امرأة عمران ربّ إني نذرت لك كلّ ما في بطني محرّراً...؛ فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أُنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى...؛ فتقبّلها ربّها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً...

«اعرف الآن ان الربّ إلهي باركني، لأنني كنت أرملة ولم أعُدْ كذلك؛ وكنت عاقراً وحبلت.» وارتاح يواكيم في اليوم نفسه في منزله.

٥ ـ حنة تحبل وتلد

وفي الغد، قدَّم قرابينه وقال في قلبه: «إذا كان الربّ قد باركني، فلتكن لي على ذلك علامة ظاهرة على رُقاقة حُلَّة الكاهن الأعظم.» وقدَّم يواكيم هباته، ونظر إلى الرُّقاقة أو البِفْوال[١]، حين قُبِلَ على مذبح الله، ولم يرَ خطيئة فيه. فقال يواكيم: «اعلم الآن ان الربّ استجابني وغفر لي كلّ خطاياي.» ونزل مؤيَّداً من بيت الربّ وأقبل إلى منزله. وحبلت حنة، وفي الشهر التاسع ولدت وقالت لقابلتها: «ماذا ولدت؟» فأجابت الأخرى: «بنتاً.» فقالت حنة: «نفسي ابتهجت هذه الساعة.» وأرضعت حنة طفلتها وأسمتها مريم.

٦[٢] ـ وليمة الفرح بمريم

وتقوّت الطفلة من يوم إلى يوم. وعندما بلغت من العمر ستة أشهر، وضعتها أُمها أرضاً لترى إنْ كانت ستقف. فقامت بسبع خطوات سائرةً وجاءت ترتمي في ذراعَي أُمها. فقالت حنة: «ليحيَ الربّ إلهي؛ لن تسيري على الأرض حتى أُقدِّمك في هيكل الربّ.» وطهَّرتها في سريرها، وكلّ ما كان مُنَجَّساً، كانت تبعده عنها، لأجلها.

ونادت بناتاً يهوديات بلا عيب للاعتناء بالطفلة. وعندما أتمَّت عامها الأول، أقام يواكيم وليمة كبرى، ودعا أُمراء الكهنة والكتبة

١ ـ رُقاقة ذهبية تحمل كتابة: «مكرَّس للربّ»، كانت تُثَبَّت إلى عمامة الكاهن الأعظم الذي يضعها في مناسبات التضحية، تكفيراً عن الأخطاء المُرتكَبة في الأمور المقدَّسة. دورها هنا أن تكشف ليواكيم ما إذا كانت هباته قد قُبِلت.

٢ ـ آل عمران: ٣٦: ... وإني سمّيتها مريم وإني أُعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم.

ومجلس الشيوخ كلّه وكلّ شعب إسرائيل. وقدَّم هدايا لأُمراء الكهنة، فباركوها قائلين: «يا إله آبائنا، بارك هذه الطفلة واعطها إسماً يُعظَّم في كلّ الأجيال.» وقال الشعب كلّه: «آمين، ليكن كذلك.» وقدَّمها أبواها للكهنة فباركوها، قائلين: «يا إله المجد، أخفِضْ انظارك على هذه الطفلة وامنحها بركةً لا تعرف أي انقطاع.» وحملتها أُمها وارضعتها، وأنشدت نشيداً، قائلةً: «سأُنشد مدائح الربّ إلهي، لأنه زارني وخلَّصني من إهانات أعدائي. وأعطاني الربّ إلهي ثمرة عدلٍ مضاعفة في حضرته. مَنْ يُعلن لأبناء روبين ان لحنة طفلاً؟ إسمعي كلّك، يا أسباط اسرائيل الاثني عشر، اعلمي ان حنة تُرضِع.» ووضعت الطفلة في المكان الذي طهَّرته، وخرجت، وخدمت المدعوين، وحين انتهت الوليمة خرجوا ملؤهم الفرح وأسموها مريم، وهم يمجِّدون إله إسرائيل.

٧ ــ مريم تدخل الهيكل

عندما بلغت مريم الثانية من عمرها، قال يواكيم لحنة، زوجته: «لنقُدْها إلى هيكل الله، ولنتمِّم النذر الذي أقسمنا عليه، خشية أن يغضب الله علينا وينتزع منا هذه الطفلة.» فقالت حنة: «لننتظر العام الثالث، خوفاً من أن تعاود طلب أبيها وأُمها.» فقال يواكيم: «لننتظر.» وبلغت الطفلة عامها الثالث، فقال يواكيم: «نادوا عذارى العبرانيين البلا عيب، وليحملن مصابيح ويُشعِلْنها، وعلى الطفلة ألا تلتفت إلى الوراء وعلى ذهنها ألا يبتعد عن بيت الله.» وصنعت العذارى كما أمر به، ودخلن الهيكل. واستقبل أمير الكهنة الطفلة وقبَّلها وقال: «يا مريم، ان الربّ اعطى اسمك عَظَمةً في كلّ الأجيال، وفي آخر الأيام، سيُظهِر الله فيك ثمن خلاص أبناء إسرائيل.» ووضعها على درجة

المذبح الثالثة، فسكب الله نعمته عليها، فارتعشت فرحاً وهي ترقص برجليها وكلّ بيت اسرائيل أحبَّها.

١٨ ـ إستدعاء الأرامل[1]

ونزل أبواها معجَبَين، شاكرَين الله ومسبِّحَينه على ان الطفلة لم تلتفت نحوهما[2]. وكانت مريم مربَّاة كحمامة[3] في هيكل الربّ وكانت تتلقّى طعاماً من يد الملائكة.

وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، اجتمع الكهنة في هيكل الربّ وقالوا: «ها هي مريم أمضت عشرة أعوام في الهيكل؛ فماذا سنفعل في شأنها، خوفاً من ان تعاني قداسة هيكل الربّ إلهنا دنساً ما؟» وقال الكهنة لأمير الكهنة: «إذْهَبْ إلى أمام هيكل الربّ وصلِّ من اجلها، وما يُظهِرُه الله لك، نمتثل له.» فدخل أمير الكهنة إذاً قدس الأقداس، وقد لبس رداءه الكهنوتي[4] المزيَّن باثني عشر جُرَيساً، وصلى من أجل مريم. وإذا بملاك الربّ بدا له وقال: «يا زكريا، يا زكريا، أُخْرُجْ واستدعِ مَنْ هم أرامل وسط الشعب، وليأتِ كلّ واحد بقلمٍ، ومَنْ يختاره الله بعلامةٍ يكون الزوج المُعطى لمريم ليحفظها.» ومضى بُشَراءُ إذاً في كلّ بلاد اليهوديّة، ودوَّى بوق الربّ وهرع الجميع.

---

١ ـ آل عمران: ٣٧، ٤٤: ... كلما دخل عليها زكريا المحرابَ وجَد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق مَنْ يشاء بغير حساب؛... وما كنتَ لديهم إذ يُلقون أقلامَهم أيّهم يكفل مريم وما كنتَ لديهم إذ يختصمون.

٢ ـ يغيب دور الأبوين اعتباراً من هنا.

٣ ـ تجمع الحمامة صورتَي التقدمة والطهارة.

٤ ـ الثوب الاحتفالي المزيَّن برمّانات حمراء وجُرَيسات ذهبية.

٩ ـ يوسف يتخوّف ثم يقبل[1]

وأتى يوسف كالآخرين، وقد تخلّى عن فأسه، وإذ اجتمعوا، مضَوا نحو الكاهن الأعظم، بعدما تسلّموا أقلاماً. فأخذ الكاهن قلم كلّ واحد، ودخل الهيكل وصلى وخرج بعد ذلك وأعاد إلى كلّ واحد القلم الذي جاء به، فلم تظهر أي علامة؛ لكنه عندما أعاد إلى يوسف قلمه، خرجت منه حمامة، حطّت على رأس يوسف. فقال الكاهن الأعظم ليوسف: «لقد عُيِّنت باختيار الله لتقبُّل عذراء الربّ هذه وحفظها قربك.» فقدَّم يوسف اعتراضات قائلاً: «لي أولاد وأنا شيخ، بينما هي فتية جداً؛ وأخشى ان أكون عرضة للسخرية بالنسبة إلى أبناء اسرائيل.» فأجاب الكاهن الأعظم يوسف: «إخشَ الربّ إلهك وتذكّر كيف عاقب الله عصيان داتان، وأبيرون وقارح، وكيف انفتحت الأرض وابتلعتهم، لأنهم تجرأوا على اعتراض أوامر الله. إخشَ إذاً، يا يوسف أن يحصل كذلك لبيتك.» فتقبّل يوسف مريم مرتعباً وقال لها: «انني أتقبّلك من هيكل الربّ وأترك لك المسكن، وأذهب لأُزاول مهنتي نجاراً وأعود إليك. وليحفظك الله كلّ الأيام.»

١٠ ـ لمريم الأُرجوان والقرمز[2]

وعُقِد اجتماع للكهنة وقالوا: «لنصنع حجاباً أو بساطاً لهيكل الربّ.»[3] فقال أمير الكهنة: «هاتوا إليَّ عذارى سبط داوود البلا عيب.»

١ ـ آل عمران: ٤٤.

٢ ـ آل عمران: ٤١: قال ربّ اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً.

مريم: ١٠: قال ربّ اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاث ليالٍ سوياً.

٣ ـ المقصود الحجاب الفاصل بين المحراب وقدس الأقداس.

ووُجدت سبع من تلك العذارى. ورأى أمير الكهنة أمامه مريم التي كانت من سبط داوود وكانت بلا عيب أمام الله. فقال: «اقترعوا على منْ تغزل خيط ذهب وناريّ وكتان رفيع وحرير وبرتقالي مُحْمَرّ وقرمزي.» وحصلت مريم بالقرعة على الأُرجوان الخالص والقرمز[١]، وإذ تسلّمتهما، ذهبت إلى بيتها. وفي الوقت نفسه، أصبح زكريا أبكم، وحلّ صموئيل محلّه. إلى ان يخاطبك زكريا ثانيةً، يا مريم. وأخذت مريم تغزل، وقد تسلّمت الأُرجوان والقرمز.

١١[٢] ـ البشارة بابن الله

ومضت تستقي ماءً، وقد تناولت جرَّةً، فإذا بها تسمع صوتاً يقول: «السلام عليك، يا مريم، يا مملوءة نعمة، الربّ معك: مباركة أنت بين كلّ النساء.» وكانت مريم تنظر يمنةً ويسرةً لتعرف من أين يأتي ذلك الصوت. وعادت إلى بيتها، وقد ارتعبت، ووضعت الجرَّة، وإذ تناولت الأُرجوان، جلست على مقعدها لتعمل. وإذا بملاك الربّ يظهر في حضرتها، قائلاً: «لا تخشي شيئاً، يا مريم؛ لقد وجدت حظوةً لدن الربّ.» وكانت مريم تقول في نفسها، وقد سمعته: «هل أحبل من الله وأضع كما تلد الأُخريات؟» فقال لها ملاك الربّ: «لن يكون الأمر كذلك يا مريم، لأن قوة الله تظلّلك، والقدوس يولد منك، ويُدعى ابن الله. وتُسمينه يسوع؛ وسوف يكفّر عن شعبه الخطايا التي ارتكبها. وها ان

١ ـ يرفع النص مريم إلى أعلى درجة بين صبايا إسرائيل البلا عيب.

٢ ـ آل عمران: ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧: وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك...؛ يا مريم اقنتي لربّك...؛ إذ قالت الملائكةُ يا مريم إنّ الله يُبشّرك بكلمة منه...؛ قالت ربّ أنّى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشر...

مريم: ١٧، ١٨: فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً؛ قالت إنّي أعوذ بالرحمن منك إنْ كنتَ تقياً.

نسيبتك أليصابات حبلت بابنٍ في شيخوختها، والتي كانت تُدعى عاقراً هي في شهرها السادس، فما من مستحيل على الله.» فقالت له مريم: «إنني أمَة الربّ؛ ليكن لي بحسب كلامك.»

١٢ ـ مريم تزور أَليصابات

وإذ أنهت الأُرجوان والقرمز، حملتهما إلى الكاهن الأعظم. فباركها، وقال: «يا مريم، ان اسمك ممجَّد وستكونين مباركة في كلّ الأرض.» ومضت مريم، وقد شعرت بحبور عظيم، إلى عند أَليصابات، نسيبتها، وقرعت بابها. فركضت أَليصابات إلى بابها، وقد سمعتها، وإذ لمحت مريم قالت: «من أين لي ان تبادر أُم ربي لزيارتي؟ ان الذي فيَّ اختلج وباركك.» والحال ان الأسرار التي اعلنها رئيس الملائكة جبرائيل لمريم كانت محجوبة عنها. وقالت، رافعةً عينيها إلى السماء: «مَنْ أنا إذاً لتدعوني كلّ الأجيال مغبوطة؟ » وكان بطنها يكبر يوماً فيوماً، فانزوت مريم في منزلها، تأسرها الخشية، واختبأت عن أنظار ابناء اسرائيل. وكانت في السادسة عشرة من العمر عندما حصل ذلك.

١٣ ـ يوسف في حزن عميق

وإذ حلَّ الشهر السادس من حبلها، إذا بيوسف يعود من عمله نجاراً، فرأى وهو داخلُ البيت ان مريم كانت حبلى، فانطرح أرضاً، خافضاً الرأس، واستسلم لحزن عميق، قائلاً: «كيف أُبرِّر نفسي أمام الله؟ كيف أُصلي من أجل هذه المرأة؟ لقد تقبّلْتها عذراء من هيكل الربّ الإله، ولم أحفظها. مَنْ هو الذي ارتكب هذا الفعل الرديء في

بيتي ومَنْ أغوى هذه العذراء؟ ألَمْ تتجدَّد قصة آدم من أجلي؟ ففي وقت مجده، دخلت الحيَّة، ووجدت حواء وحيدة، وخدعتها؛ ولقد حدث لي الأمر نفسه حقاً.» ونهض يوسف من فوق الكيس الذي انطرح عليه[1]، وقال لمريم: «أنتِ التي كنتِ صاحبة قيمة فائقة في عيني الربّ، لماذا تصرَّفت على هذا النحو، ولماذا نسيتِ الربّ إلهك، أنتِ التي ربيت في قدس الأقداس؟ انتِ التي كنتِ تتلقّين الطعام من يد الملائكة، لِمَ اخلَّيتِ هكذا بواجباتك؟» وكانت مريم تبكي بمرارة كبيرة، وأجابت: «أنا طاهرة، ولم أعرف رجلاً.» وقال لها يوسف: «ومن أين السبب إذاً في انك حبلى؟» فأجابت مريم: «ليحيَ الربّ إلهي؛ انني أُشهِّده على انني لا أعلم كيف ان الامر هكذا.»

١٤ ـ الملاك يظهر ليوسف

وكان يوسف يقول في نفسه، يصعقه الذهول: «ماذا أفعل بها؟» وقال: «إذا أخفيتُ خطيئتها، فسوف أُعتبَر مذنباً بحسب شريعة الربّ؛ وإذا اتهمتها وإذا أحلتها إلى أمام ابناء اسرائيل، فأخشى ألا يكون ذلك عادلاً وان أُسلِّم الدم البريء لحكم الموت؟ ماذا سأفعل بها إذاً؟ سوف أتركها سرّاً.» وكان منشغلاً بهذه الأفكار خلال الليل. وإذا بملاك الربّ يظهر له أثناء نومه، ويقول له: «لا تخشَ الاحتفاظ بهذه المرأة؛ فمَنْ سيولد منها هو من عمل الروح القدس، وسوف تسمِّيه يسوع؛ انه سيكفِّر عن خطايا شعبه.» فنهض يوسف ومجَّد إله اسرائيل.

---

١ ـ ثوب الحداد مُستخدَم فراشاً.

١٥ ـ حنانيا يشي بمريم

والحال هذه، قَدِمَ الكاتبُ حنانيا إلى يوسف وقال له: «لِمَ لم تأتِ إلى المحفل؟» فأجابه يوسف: «كنت متعباً من الدرب التي قطعتها، وأردت ان أرتاح في اليوم الأول.» وإذ التفت الكاتب، رأى ان مريم كانت حبلى، فمضى مسرعاً نحو الكاهن الأعظم، وقال له: «ان يوسف، الذي تثق به، اخطأ في شكل خطير.» فقال الكاهن الأعظم: «ماذا فعل؟» فأجاب الكاتب: «لقد دنَّس العذراء التي تلقاها من هيكل الربّ، وتحايل على قانون الزواج، واختبأ من ابناء إسرائيل.» وأجاب أمير الكهنة: «أهو يوسف؟ أوَرتكب هذه الجريمة؟» فقال الكاتب حنانيا: «أرسِلْ كهنة، وسوف يرَون ان مريم حبلى.» ومضى الكهنة، ووجدوا ان الكاتب قال الحقيقة. فقادوا مريم ويوسف ليُحاكما، وقال الكاهن الأعظم: «يا مريم، كيف تصرَّفتِ هكذا، ولِمَ خسرتِ نفسك، أنتِ التي ربيتِ في قدس الاقداس، وتلقَّيت الطعام من يد الملائكة، وسمعتِ اسرار الربّ واغتبطتِ في حضرته؟» وكانت تبكي بمرارة كبيرة، وأجابت: «ليحيَ الربّ إلهي، انني طاهرة في حضرة الربّ، ولم أعرف رجلاً.» فقال الكاهن الأعظم ليوسف: «لِمَ تصرَّفت هكذا؟» فقال يوسف: «ليحيَ الربّ الإله وليحيَ مسيحه؛ انني اشهِّدهما على انني طاهر من كلّ علاقة بها.» وأجاب الكاهن الأعظم: «لا تُدْلِ بشهادة زور، بل قُل الحقيقة؛ لقد تزوَّجتها سرّاً وأخفيتها عن ابناء اسرائيل، ولم تحنِ رأسك تحت يد العليّ القدير، ليكون نسلك مباركاً.»

١٦ ـ إمتحان يوسف ومريم

وقال الكاهن الأعظم ايضاً: «أعِدْ هذه العذراء التي تقبَّلتها من هيكل الربّ.» وكان يوسف يذرف دموعاً كثيرة، فقال له الكاهن

الأعظم: «سوف أسقيك ماء إدانة الربّ[١]، وسوف تظهر خطيئتك لعينيك.» وإذ اخذ الماء، سقى الكاهن الأعظم منه يوسف، وأرسله إلى الأماكن العالية، فعاد يوسف منها في صحة تامة. وشربت مريم منه أيضاً، ومضت إلى الجبال، وعادت من دون ان تعاني أيَّ ألم. وصُعِقَ الشعب كله دهشةً من عدم ظهور خطيئة فيهما. وقال الكاهن الأعظم: «ان الله لم يُظهِرْ خطيئتكما، وأنا لن أدينكما.» وصرفهما مغفورًا لهما. وأخذ يوسف مريم، وأعادها إلى بيته، ملؤه الفرح وممجِّداً إله اسرائيل.

١٧ ــ حزن مريم وفرحها

وأصدر الإمبراطور أُوغسطوس قراراً بأن على كلّ الذين ولدوا في بيت لحم ان يتسجّلوا. فقال يوسف: «سوف أُسجِّل إبنَيَّ، إنما ماذا افعل حيال هذه المرأة؟ بأي صفة أُقيِّدها؟ أبصفتها زوجة؟ انها ليست زوجتي، ولقد تقبّلتها بالأمانة من هيكل الربّ. أأقول انها ابنتي؟ لكن كلّ أبناء إسرائيل يعلمون انها ليست ابنتي. ماذا افعل إذاً حيالها؟» وأسرج يوسف أتاناً أركب مريم عليها. وكان يوسف وسمعان يتبعان على بعد ثلاثة أميال. وإذ التفت يوسف، رأى ان مريم كانت حزينة، فقال لنفسه: «ربما ما فيها يكدِّرها.» وإذ التفت مجدداً، رأى انها تضحك، فقال لها: «يا مريم من اين السبب في ان وجهك تارةً حزين وتارةً فَرِح؟» فقالت مريم ليوسف: «هذا لانني أرى شعبَين[٢] أمام عينَي؛ واحد يبكي وينوح، والآخر يضحك ويستسلم للفرح.» وقالت له مريم،

١ـ ماء مخصَّص للمرأة المتُّهمة بالزنا. إذا كانت مذنبة حقاً، ينتفخ بطنها ويذبل صدرها حين تشرب منه. على يوسف أيضاً الخضوع لهذا الامتحان باعتباره عشيقاً لا زوجاً.

٢ـ الكافرون والمؤمنون.

وقد وصلوا إلى منتصف الدرب: «أنزلني عن أتاني، لان ما فيَّ يضغط عليَّ للغاية، وأنزلها يوسف من فوق الأتان وقال لها: «اين أقودك، فهذا المكان قفر؟»».

١٨ ــ رؤيا يوسف

وإذ وجد في ذلك الموضع مغارة[١]، أدخل مريم إليها، وترك ابنه ليحرسها، ماضياً بنفسه إلى بيت لحم ليأتي بقابلة. وحين كان سائراً، رأى القطب حيث السماء كانت جامدة، والهواء مظلماً، والطيور متو وسط طيرانها. وإذ نظر إلى الأرض، رأى وعاءً مليئاً لحماً مُحضَّرا، وعمّالاً متمدِّدين وايديهم في الوعاء. ولحظة الأكل لم يكونوا يأكلون، ومَنْ كانوا يمدُّون اليد لم يكونوا يتناولون شيئاً، ومَنْ كانوا يريدون إيصال شيء ما إلى فمهم، لم يكونوا يوصلون شيئاً، وكلهم كانوا يحافظون على أنظارهم مرتفعةً إلى فوق. وكانت النعاج مشتَّتة، ولم تكن تسير، بل كانت لابثةً جامدة. والراعي الرافع يده ليضربها بعصاه، كانت يده باقية من دون انخفاض. وإذ نظر من ناحية نهرٍ، رأى كباشاً يلامس فمها الماء، لكنها لم تكن تشرب، فكلّ الأشياء كانت في تلك اللحظة جامدة.

١٩ ــ نور من نور

وإذا بامرأةٍ نازلةٍ من الجبال قالت له: «أسألك إلى أين تذهب؟» فأجاب يوسف: «انني أبحث عن قابلة من نسل العبرانيين.» فقالت له: «أأنت من نسل اسرائيل؟» فردَّ بنعم. إذاك قالت: «مَنْ هي تلك المرأة التي تلد في هذه المغارة؟» فأجاب: «انها المخطوبة لي.» وقالت: «أليست زوجتك؟» فقال يوسف: «انها ليست زوجتي، بل هي مريم

١ ـ في زمن أوريجانوس كان يُشار إلى مغارة الميلاد في ضواحي بيت لحم.

التي ربيت في هيكل الربّ وحبلت من الروح القدس.» وقالت له القابلة: «أهذا ممكن؟» فقال: «تعالي انظري ذلك.» ومضت القابلة معه. وتوقفت حين اصبحت أمام المغارة. وإذا بسحابة مضيئة تغطي تلك المغارة. وقالت القابلة: «ان نفسي تجمَّدت اليوم، لأن عينَيَّ رأتا معجزات.» وفجأة امتلأت المغارة ضياءً حاداً بحيث ان العين لم تكن تستطيع تأمُّله، وحين تبدَّد ذلك النور قليلاً، رُؤي الطفل. وكانت أُمه مريم تُرضِعه. فصاحت القابلة: «هذا يوم عظيم بالنسبة إليَّ، لأنني رأيت منظراً بهياً.» وخرجت من المغارة، وكانت صالومة قبالتها. فقالت القابلة لصالومة: «لديَّ معجزات عظمى أرويها لك: «ان عذراء ولدت ولا تزال عذراء.» وقالت صالومة: «ليحيَ الربّ، إلهي؛ إذا لم أتأكد بنفسي، فلن أُصدِّقك.»

٢٠ ـ صالومة تحمل الطفل

وقالت القابلة لمريم، وقد دخلت المغارة: «نامي، لأن صراعاً عظيماً ينتظرك.» وإذ لمستها صالومة، خرجت وهي تقول: «الويل لي، أنا الخائنة والكافرة، لأنني جرَّبت الله الحي. وان يدي التي تحرقها نار آكلة تسقط وتنفصل عن ذراعي.» وسجدت أمام الله، وقالت: «يا إله آبائنا، تذكَّرني، لأنني من نسل إبراهيم، وإسحق ويعقوب، ولا تَخزِني أمام ابناء إسرائيل، بل أعِدْني إلى أهلي. انت تعلم، يا ربّ، انني باسمك كنت أُنجز معالجاتي وشفاءاتي كلها، غير طامحة إلى مكافأة إلا منك.» فظهر لها ملاك الربّ وقال لها: «يا صالومة، يا صالومة، ان الربّ سمعكِ؛ مُدِّي يدكِ إلى الطفل، واحمليه؛ فسيكون لكِ الخلاص والفرح.» ودنت صالومة من الطفل وحملته في ذراعَيها، وهي تقول:

«سوف أسجد لكَ، لأن ملكاً عظيماً وُلد في إسرائيل.» وشفيت على الفور، وخرجت من المغارة مُبَرَّأة. وسُمِعَ صوت قربها وقال لها: «لا تُعلني المعجزات التي رأيتها، إلى ان يكون الطفل قد دخل أُورشليم.»

٢١ ــ وصول المجوس

وإذا بيوسف يستعدّ للذهاب إلى اليهودية. وعلا صَخَبٌ عظيم في بيت لحم، لأن المجوس[١] كانوا قد وصلوا، قائلين: «اين هو الذي وُلد ملكاً لليهود؟ لقد رأينا نجمه في الشرق، وجئنا لنعبده.» فاضطرب هيرودس، وقد سمع ذلك، وبعث برُسُل إلى المجوس. واستدعى أُمراء الكهنة، واستجوبهم، قائلاً: «ماذا ترَون مكتوباً عن المسيح؟ أين يجب ان يولَد؟» فقالوا: «في بيت لحم اليهودية، فهذا ما هو مكتوب.» فصرفهم هيرودس، واستجوب المجوس، قائلاً: «أعلموني أين رأيتم العلامة التي تشير إلى الملك الوليد؟» فقال المجوس: «لقد ارتفع نجمه ساطعاً، وفاق بضيائه نجوم السماء الأخرى إلى حد اننا ما عدنا رأيناها. وعرفنا هكذا ان ملكاً عظيماً وُلِد في إسرائيل وجئنا نسجد له.» فقال لهم هيرودس: «هيّا، واستعلموا عنه، وإذا وجدتموه، تعالوا أعلموني بذلك لأذهب وأسجد له.» ومضى المجوس، وإذا بالنجم الذي رأَوه في الشرق يرشدهم إلى ان بلغوا المغارة، وتوقَّف فوق مدخل المغارة. ورأى المجوس طفلاً مع مريم أُمه، فسجدوا له. وإذ اخرجوا تقدمات من خزائنهم، أهدَوه ذهباً، وبخوراً ومرّاً. وإذ اعلمهم الملاك بأن عليهم ألا يعودوا إلى هيرودس، سلكوا درباً اخرى للعودة إلى بلادهم.

---

١ ـ لا إشارة إلى عدد المجوس أو أسمائهم أو صفتهم الملكية.

٢٢ ـ الخوف من هيرودس

واستولى الحنق على هيرودس، وقد رأى ان المجوس خدعوه، فأرسل أتباعاً ليقتلوا كلّ الأطفال الذين كانوا في بيت لحم، من عمر سنتين وأدنى. وامتلأت مريم خشيةً، وقد علمت انهم يقتلون الأطفال؛ فأخذت الطفل، وإذ لفّته بأقمطة، اضجعته في مذود الثيران[١]. وهربت اليصابات إلى الجبال، وقد أُعلمت بانهم يبحثون عن يوحنا، وكانت تنظر حولها لترى اين يمكنها إخفاؤه ولم تكن تجد أي موضع مناسب. فقالت بصوتٍ عالٍ وهي تنوح: «يا جبل الله، تقبَّل الأُم مع ابنها.» وانفرج على الفور الجبل الذي لم تكن تستطيع تسلُّقه وتقبَّلها. وكان يضيئهما نور عجائبي، وملاك الربّ معهما ويحرسهما.

٢٣ ـ مقتل زكريا

خلال ذلك الوقت، كان هيرودس يبحث عن يوحنا، وأرسل بعض ضباطه إلى أبيه زكريا، قائلين: «أين خبَّأت ابنك؟» فأجاب: «أنا الكاهن العامل في خدمة الله، وأقف اهتماماتي على هيكل الربّ؛ لا أعلم أين ابني.» وخرج المبعوثون ونقلوا ذلك إلى هيرودس. فقال بغضب: «انه ابنه مَنْ سيملك على إسرائيل.» وأرسلهم مجدداً إلى زكريا، قائلين: «تكلَّمْ بصدق، اين ابنك؟ ألا تعلم ان دمك في متناول يدي؟» وعندما نقل الرسل إلى زكريا كلام الملك، قال: «انني أُشهِّد الله على انني أجهل أين هو ابني. أهرِقْ دمي، إذا شئت؛ إن الله يتقبَّل روحي، لانك تكون قد أرقت الدم البريء.» وقُتِل زكريا في رواق هيكل الربّ، قرب حاجز المذبح.

---

[١] يبدو هنا ان مريم غادرت المغارة.

٢٤ ــ الأسباط تبكي زكريا

ومضى الكهنة إلى الهيكل في موعد السلام. ولم يكن زكريا في استقبالهم لمنحهم البركة، وفقاً للعادة. وإذ لم يظهر لهم، لم يجرأوا على الدخول. وولج أحدهم الهيكل، وكان أكثر إقداماً من الآخرين، وعاد يُنبىء الكهنة بأن زكريا قُتِل. ودخلوا إذاك، ورأَوا ما صُنِع؛ وكانت كسوات الهيكل تُطلِق عويلاً، وكانت مشقوقة من أعلى إلى أسفل. إنما لم يُعثَر على جسده، لكن دمه كان يُشكِّل، في رواق الهيكل، كتلةً شبيهةً بصخر. وخرجوا مذعورين، وأعلنوا للشعب ان زكريا قُتِل. وبكته أسباط الشعب ثلاثة أيام وثلاث ليال. وبعد تلك الأيام الثلاثة، اجتمع الكهنة لينتخبوا واحداً مكانه. وحلَّت القرعة على سمعان. وأُنبىء بواسطة الروح القدس بأنه لن يموت قبل أن يعاين المسيح.

٢٥ ــ يعقوب يلجأ إلى الصحراء

أنا، يعقوب، الذي كتب هذه القصة، لجأت إلى الصحراء، إبان تمرُّد أثاره في أُورشليم المدعو هيرودس، ولم أعُدْ إلا بعدما هدأت البلبلة. انني أحمد الله الذي منحني مهمة كتابة هذه القصة. لتكن النعمة مع الذين يخشَون سيِّدنا يسوع المسيح، الذي له المجد والقوة مع الآب الأبدي والروح القدس المحيي، الآن، ودائماً، وإلى أبد الآبدين. آمين.

إنجيل الطفولة العربي

أو «حياة يسوع بالعربية». ليس سابقاً على الأرجح القرن السادس م. جزؤه الأول يستند إلى إنجيل يعقوب التمهيدي، وجزؤه الأخير إلى إنجيل توما. يتضمَّن القسم الأوسط قصصاً عدة من أساطير شرقية مثيرة في البعض منها؛ أما مسرحها، فمصر. لغته الأساسية سريانية، ومنها نُقِل إلى العربية في ثلاث روايات. الشخصية الرئيسية فيه هي مريم لا يسوع.

باسم الآب، والإبن، والروح القدس، الإله الواحد[1].

نبدأ بمعونة الله العليّ القدير ومساعدته، وضع كتاب آيات مخلِّصنا، وسيِّدنا وربنا يسوع المسيح، المدعو إنجيل الطفولة، في سلام المخلِّص. آمين[2].

---

١ - في مخطوط آخر، نجد مكان هذه العبارة: باسم الله، الرحمن، الرحيم.

٢ - في مخطوط آخر، يبدأ «إنجيل الطفولة العربي» كما يلي:

في أيام موسى النبي، ليكن السلام معه، كان يعيش رجل يُدعى زرادشت؛ هو الذي كشف علوم المجوسية. فيما كان جالساً ذات يوم إلى جوار نبع يعلِّم الناس [...] علم المجوسية، إذا به يقول لهم خلال الحديث: «العذراء ستحبل من دون أن تعرف رجلا [...] من دون أن يُفَضَّ ختم البكارة [...] بشارتها في أقاليم العالم السبعة واليهود سيصلبونه في أُورشليم التي بناها ملكيصادق؛ سيقوم من بين الأموات ويصعد إلى السماء. أما علامة ميلاده، فسوف ترَون إلى الشرق نجماً، بل ملاك من الله. حين سترَونه، انطلقوا إلى بيت لحم، اسجدوا أمام الملك الوليد وقدِّموا له تقدمة: النجم سيُرشِدكم إليه.» هذا الحديث كان نوعاً من نبوءة. يشوع بن نون، المتروبوليت، قال إن زرادشت هذا هو بلعام المنجِّم، ونبوءته تحقّقت في نهاية الزمن المحدَّد. (يشوع بن نون هذا، هو إيشوداد المَرْوِي، أُسقف حداثا النسطوري).

١[١] ــ يسوع تكلَّم في المهد

نجد في كتاب الكاهن الأعظم يوسف الذي عاش في زمن يسوع المسيح (والذي يدعوه البعض قيافا)، ان يسوع تكلَّم حين كان في المهد وانه قال لأُمه مريم: أنا الذي ولدتِه، أنا يسوع، ابن الله، الكلمة، كما بشَّرك بذلك الملاك جبرائيل، وأبي أرسلني لخلاص العالم.

٢ ــ زمن مريم يحلّ

في العام ٣٠٤ من تاريخ الإسكندر، أمر أُوغسطوس بأن يتسجَّل كلّ واحد في مدينة مولده. فقام يوسف إذاً مرافقاً زوجته، وأتى إلى أُورشليم، ومنها قصد بيت لحم ليتقيَّد مع عائلته في المكان الذي وُلِد فيه؛ وعندما وصلا إلى قرب مغارة، قالت مريم ليوسف ان زمن ولادتها حلَّ وانها لا تستطيع الذهاب حتى المدينة. «إنما، قالت، لندخُلْ هذه المغارة.» وكانت الشمس في لحظة الغياب. فأسرع يوسف في طلب امرأة تُعين مريم في الولادة، والتقى اسرائيلية عجوزاً كانت آتية من أُورشليم، فقال لها محيِّياً إياها: «أُدخلي هذه المغارة حيث تجدين امرأةً في لحظة وضعها.»

٣ ــ المغارة ساطعة بنور فائق

وبعد غياب الشمس، وصل يوسف مع العجوز إلى أمام المغارة ودخلا. فإذا بالمغارة ساطعةً تماماً بنور يفوق نور مشاعلَ لا متناهية ويلمع أكثر من الشمس في عزِّ الظهيرة. وكان الطفل، ملفوفاً بأقمطة وراقداً في مذود، يرضع من ثدي أُمه مريم. وظل الإثنان مصعوقَين

١ ـ مريم: ٢٩ إلى ٣٣: ... قالوا كيف نكلّم مَنْ كان في المهد صبياً... والسلام عليّ يوم وُلِدت...

دهشةً لمرأى ذلك النور، وقالت العجوز لمريم: «أأنتِ أُم هذا الطفل؟» وإذ أجابت مريم بالإيجاب، قالت لها العجوز: «لستِ شبيهةً ببنات حواء»، وردَّت مريم سريعاً: «كما ان ليس هناك أحد بين بني البشر شبيهاً بابني، كذلك أُمه لا نظير لها بين كل النساء.» إذاك قالت العجوز: «يا سيِّدتي ومعلِّمتي، أتيت لأتلقى مكافأةً تدوم إلى الأبد.» فأجابتها مريم: «ضعي يديك على الطفل.» وعندما فعلت العجوز ذلك، ذُهِلت، وحين خرجت، كانت تقول: «منذ هذه اللحظة، سأكون أمَةَ هذا الطفل، وأُريد ان أنذرَ نفسي لخدمته خلال كلّ أيام حياتي.»

٤ ـ الاحتفال بمجد الله

ثم استسلموا للحبور، عندما وصل الرعاة، وبعدما اشعلوا النار، وظهرت لهم الفرق السماوية، مسبِّحةً ومعظِّمةً الربّ، فقد حاكت المغارة هيكلاً مهيباً، حيث كان ملوك سماويون وأرضيون يحتفلون بمجد الله ومدائحه لأجل ميلاد الربّ يسوع المسيح. وكانت تلك العجوز الإسرائيلية إذ رأت هذه الآيات الباهرة تحمد الله، قائلةً: «أحمدك، يا إله إسرائيل، لأن عينَيَّ رأتا ميلاد مخلِّص العالم.»

٥ ـ زمن الختان

وعندما حل زمن الختان، أي اليوم الثامن، وهو الفترة التي يجب ان يُختَن فيها الوليد، وفقاً للشريعة، ختناه في المغارة، وتلقَّت العجوز الإسرائيلية القلف (أو بحسب آخرين، حبل الوليد)، ووضعته في إناءٍ من المرمر مليءٍ زيت ناردين عتيقٍ. وكان لها ابن يتاجر بالعطور، فأعطته ذلك الإناء، وهي تقول: «حاذِرْ جيداً بيع هذا الإناء المليء عطر ناردين، حتى لو عرضوا عليك ثلاثمئة درهم.» وهو هذا الإناء الذي

اشترته مريم الخاطئة واراقته على رأس سيِّدنا يسوع المسيح وقدمَيه، ماسحةً إياهما بشعرها. وعندما انقضت عشرة أيام، حملا الطفل إلى أُورشليم، ولدى انتهاء الأربعين، قدّماه في هيكل الربّ، باذلين التقدمات التي أمرت بها شريعة موسى، حيث قيل: «كل طفلٍ ذكرٍ يخرج من بطن أُمه يُدعى قدوس الله.»

٦ ــ سمعان الشيخ والطفل

ورأى سمعان الشيخ الطفل يسوع ساطعاً ضياءً مثل عمود نورٍ، فيما كانت العذراء مريم، أُمه، تحمله في ذراعَيها وتشعر بفرح شديد، وكان جمع ملائكةٍ يشكّل مثل بلاطٍ حوله، مسبِّحاً بحمده ومرافقاً له، كما اتباع ملكٍ يقتفون اثره. إلا ان سمعان كان يقول للربّ يسوع، مقترباً بمسارعةٍ من مريم وباسطاً يدَيه نحوها: «الآن، يا ربّ، يستطيع خادمك الخروج بسلام وفقاً لكلامك، لان عينيَّ رأتا رحمتك وما أعددته لخلاص كلّ الأُمم، من أجل نور كلّ الشعوب ومجد شعبك إسرائيل.» وكانت حنة النبيَّة حاضرةً ايضاً، فشكرت الله، ومجَّدت غبطة مريم.

٧ ــ قدوم المجوس

وهذا ما حدث فيما كان الربّ يسوع يأتي إلى العالم في بيت لحم، مدينة اليهودية، في عهد الملك هيرودس، فقد قدم مجوس من بلاد الشرق، إلى أُورشليم، كما تنبَّأ بذلك زرادشت، وكانوا يحملون معهم هدايا، ذهباً، بخوراً ومرّاً، فسجدوا للطفل وكرَّموه بهداياهم. إذاك تناولت مريم إحدى قطع القماش التي كان ملفوفاً بها الطفل وأعطتها

المجوس الذين تقبَّلوها عطيَّةً لا متناهية القيمة. وفي تلك الساعة بالذات، ظهر لهم ملاك في هيئة نجمٍ سبق ان هداهم، فمضَوا مستنيرين بنوره إلى أن عادوا إلى وطنهم.

٨ ــ "هذا هو الحق"

وسارع الملوك والأمراء إلى التحلُّق حول المجوس، سائلينهم عما رأَوه وعما فعلوه، وكيف ذهبوا وكيف عادوا، وأي رفاق كانوا لهم انذاك خلال سفرهم. فأراهم المجوس قطعة القماش التي أعطتهم إياها مريم؛ ثم أحيَوا احتفالاً، وأشعلوا ناراً بحسب عادتهم، وسجدوا لقطعة القماش تلك، ورمَوا بقطعة القماش تلك في النيران، فأحاطت بها النيران. وإذ خمدت النار، سحبوا منها قطعة القماش كاملةً ورأَوا ان النيران لم تخلِّف عليها اي أثر. إذاك اخذوا يقبِّلونها ويضعونها على رؤوسهم وعيونهم، قائلين: «هذا هو الحق[1] بالتأكيد! ما هو إذاً ثمن هذا الشيء الذي لم تستطع النار التهامه، ولا إتلافه؟» وإذ التقطوه، وضعوه بإجلال عظيم في خزائنهم.

٩ ــ هرب العائلة إلى مصر

وجمع هيرودس الكهنة والعلماء، وقد لاحظ أن المجوس لم يعودوا إليه، وقال لهم: «أعلِموني اين يجب ان يولد المسيح.» وعندما أجابوه بان ذلك في بيت لحم، مدينة اليهودية، بدأ هيرودس يدبِّر في فكره قتل الربّ يسوع. عندها ظهر ملاك ليوسف في نومه، وقال له: «قُمْ، خُذ الطفل وأُمه، واهرُبْ إلى مصر.» ولدى صياح الديك، قام يوسف ومضى.

---

[1] من أسماء الله الحسنى في القرآن.

١٠ ــ سقوط الأوثان

وفيما كان يفكّر بالدرب التي عليه سلوكها، حلَّ النهار، وكان تعب السفر قد قطع حزام السَّرج. وكان يقترب من مدينة كبيرة حيث شيطان مارد كان يسكن وثنًا. وكانت أوثان مصر وآلهتها الأخرى تقدِّم له الخضوع وهدايا، وكان هناك كاهن ملحق بخدمة ذلك الوثن، وفي كلّ المرات كان الشيطان يتكلَّم بفم الوثن، كان الكاهن ينقل ما يقوله إلى سكان مصر وسواحلها. والحال هذه، كان لذلك الكاهن طفل في الثالثة من عمره يسيطر عليه عدد كبير من الشياطين؛ وكان يتنبَّأ ويعلن أشياء كثيرة، وحين كانت الشياطين تستحوذ عليه، كان يمزِّق ثيابه، ويركض عارياً تماماً في المدينة، راشقاً الناس بالحجارة. وكان نُزل تلك المدينة قرب ذلك الوثن؛ وعندما وصل يوسف ومريم وحلا في ذلك النُّزل، استولى الذعر على السكان، وتحلَّق الأمراء وكهنة الأوثان كلّهم حول ذلك الوثن، سائلينه: «من اين أتى هذا الذعر العام، وما هو سبب هذا الهلع الذي استولى على بلادنا؟» فأجاب الوثن: «هذا الرعب حمله إله مجهول هو الإله الحقيقي، وما من احد سواه جدير بالتكريم الإلهي، فهو ابن الله الحق. عند اقترابه زلزل هذا الصَّقع؛ وانصدم وارتعب، ونحن نشعر بخوف عظيم بسبب سلطانه.» وفي تلك اللحظة سقط ذلك الوثن وتحطَّم كما الأوثان الأخرى التي كانت في البلاد، ودفع سقوطها سكان مصر كلّهم إلى الهلع.

١١ ــ شفاء الممسوس

لكن ابن الكاهن، حين هاجمه الشر الذي كان عرضةً له، دخل النُّزل، وكان يشتم يوسف ومريم، والآخرون كلّهم هربوا؛ وفيما كانت

مريم تغسل أقمطة الربّ يسوع، وتعلّقها على عصا طويلة، أخذ المسوس الفتيّ أحد تلك الأقمطة ووضعه على رأسه، فشوهدت غربان وحيتان تبتعد. وشفي الطفل حالاً بقدرة يسوع المسيح، وأخذ يُنشِد تسابيح الربّ الذي خلّصه ويقدّم الف حمد لله. وحين رأى أبوه انه استردّ صحته، صاح ملؤه الإعجاب: «يا بُنَيَّ، ماذا حدث لك، وكيف شفيت؟» فأجاب الإبن: «حين كانت الشياطين تعذّبني، دخلت النُّزل، ووجدت هناك امرأةً عظيمة البهاء كانت مع طفل، وكانت تعلّق على عصا طويلة أقمطة غسلتها؛ فأخذت واحداً منها ووضعته على رأسي فهربت الشياطين على الفور وتركتني.» فامتلأ الأب فرحاً وصاح: «يا بنيّ، قد يكون هذا الطفل ابن الله الحي الذي خلق السماء والأرض، فما ان مرَّ قربنا، حتى تحطَّم الوثن، وسقطت تماثيل كلّ آلهتنا، ودمّرتها قوة تفوق قوتها.»

١٢ ـ الخوف من المصريين

هكذا تمّت النبوّة القائلة: «دعوت ابني من مصر.» وعندما علم يوسف ومريم ان ذلك الوثن انقلب وتحطَّم، استولى عليهما خوف وهلع، وقالا لبعضهما بعضاً: «حين كنا في ارض إسرائيل، اراد هيرودس إهلاك يسوع، ولهذا القصد، أمر بقتل كلّ أطفال بيت لحم وجوارها، ويُخشى ان يُحرقنا المصريون أحياءً تماماً، إذا علموا ان ذلك الوثن سقط.

١٣ ـ بلبلة اللصوص

ورحلا إذاً، ووصلا إلى قرب مأوى لصوص كانوا يجرّدون من ثيابهم وحوائجهم المسافرين الذين كانوا يمرّون قربهم ويجرّونهم بعد

توثيقهم بالقيود. فسمع هؤلاء اللصوص ضجة عظيمة شبيهة بالتي لموكب ملك خارج من عاصمته على صوت الآلات الموسيقية، يحرسه جيش عظيم وخيّالة كثر، إذاك تركوا هناك في ذعرهم كلّ غنيمتهم وسارعوا في الهرب. عندها نهض الأسرى، وحطموا قيود بعضهم بعضاً، وهمُّوا بالابتعاد، وقد استعادوا امتعتهم، حين رأوا يوسف ومريم يقتربان، فسألوهما: «اين هو الملك الذي أرعب موكبه، بجَلْجَلَتِهِ، اللصوص بحيث هربوا ونجونا؟» فأجاب يوسف: «انه يتبعنا.»

١٤ ــ شفاء امرأة شيطانية

ثم قدما إلى مدينة أخرى حيث امرأة شيطانية، كانت حين تذهب لاستقاء الماء خلال الليل، تستحوذ عليها الروح العاصية والنجسة. ولم تكن تستطيع احتمال أي لباس، ولا سكنى اي منزل، وفي كلّ المرات التي كانوا يوثقونها بقيود أو بسلاسل، كانت تحطِّمها وتهرب عارية إلى الأمكنة القفر؛ وكانت تقف على الطرق وقرب القبور، وتلاحق بالحجارة مَنْ تصادفهم، بحيث كانت لأهلها مبعث حزن كبيراً. ورأتها مريم، فادركتها الرحمة، وعلى الفور فارق الشيطان تلك ٱلمرأة، وهرب في هيئة شاب، وهو يقول: «الويل لي، بسببك، يا مريم، وبسبب ابنك!» وحين خُلِّصت تلك المرأة مما كان يسبِّب عذاباتها، نظرت حولها، وخجلت من عريها، وذهبت نحو اهلها، هاربةً من مرأى الناس، وبعدما ارتدت ثيابها، عرضت لأبيها واهلها ما حدث لها، وكانوا في عداد السكان الأرقى في المدينة، فاستضافوا عندهم يوسف ومريم، مبدين لهما احتراماً عظيماً.

١٥ ـ شفاء بكماء

وفي الغد، انطلق يوسف ومريم، ووصلا مساءً إلى مدينة أخرى حيث كان يُحتفَل بعرس؛ انما، بسبب مكائد الشيطان الرجيم وتعازيم بعض السَّحرة، كانت الزوجة قد غدت بكماء، بحيث انها ما عادت تستطيع فتح فمها. وحين دخلت مريم حاملةً في ذراعَيها ابنها، الربّ يسوع، لمحتها التي فقدت عادة النطق وعلى الفور بسطت يدَيها نحو يسوع، وحملته في ذراعَيها وضمَّته إلى صدرها واشبعته ملاطفةً. وعلى الفور تحطَّم الوثاق الذي كان يلجم لسانها وانفتحت أُذناها، وبدأت تمجِّد الله الذي شفاها وتشكره. وكان تلك الليلة فرح عظيم بين سكان تلك المدينة، لأنهم كانوا يعتقدون بأن الله وملائكته نزلوا بينهم.

١٦ ـ طرد الروح الملعونة

وأمضى يوسف ومريم ثلاثة أيام في ذلك الموضع، حيث احتُرما كثيراً وعوملا بأبهة. وإذ كانا مزوَّدَين بمؤونة لسفرهما، رحلا من بَعْدُ وقدما إلى مدينة أخرى، ولما كانت مزدهرة وآهلة، رغبا في قضاء الليل فيها. والحال هذه كان في تلك المدينة امرأة نبيلة، وفيما كانت تنزل ذات يوم إلى النهر لتغتسل، إذا بالروح الملعونة، متَّخِذَةً هيئة حيّة، انقضَّت عليها والتفَّت حول بطنها، وكانت كلّ ليلة تتمدَّد عليها. والحال هذه عندما رأت تلك المرأة مريم والربّ يسوع الذي كانت تحمله إلى صدرها، رجت العذراء القديسة ان تسمح لها بحمل ذلك الطفل وتقبيله. فوافقت مريم على ذلك، وما ان لمست تلك المرأة الطفل، حتى فارقها الشيطان وهرب، ومذاك ما عادت تلك المرأة رأته ثانيةً. وسبّح كلّ الجيران الربّ وكافأتهم تلك المرأة بسخاء كبير.

١٧ ـ شفاء برصاء

وفي الغد،اخذت تلك المرأة نفسها ماءً عَطِراً لغسل الطفل يسوع، وبعد غسله، احتفظت بذلك الماء. وكانت هناك صبيَّة جسدها مكسو برصاً ابيض؛ فاغتسلت بذلك الماء، وشفيت حالاً. وكان الشعب يقول: «لا شك في أن يوسف ومريم وهذا الطفل هم آلهة، فلا يمكنهم ان يكونوا بشراً عاديين.» وحين تهيَّأا للرحيل، اقتربت منهما تلك الفتاة، التي شفيت من البرص، ورجتهما ان يسمحا لها بمرافقتهما.

١٨ ـ شفاء طفل أبرص

ووافقا على ذلك فذهبت معهما ووصلوا إلى مدينة حيث قصر أمير جبّار، ولم يكن ذلك القصر بعيداً عن النُّزل. فقصدوه، وإذ دنت الصبيَّة على الأثر من زوجة الأمير، وجدتها حزينةً وذارفةً دموعاً؛ عندها سألتها عن سبب كآبتها. فأجابتها هذه الأخيرة: «لا تدهشي لرؤيتي مستسلمةً للأسى؛ فأنا فريسة مصيبة عظيمة لا أجرؤ على روايتها لأي إنسان.» وردَّت الصبيَّة سريعاً: «إذا اعترفتِ لي بما هو مصابك، فربما تجدين له الدواء عندي.» فقالت لها امرأة الأمير: «لا تبوحي بهذا السر لأحد. لقد تزوَّجت أميراً يمتد سلطانه، كما سلطان ملكٍ، على أقطار واسعة، وبعدما عشت طويلاً معه، لم يُرزَق مني أي عقب. وأخيراً حبلت، لكنني وضعتُ طفلاً أبرصَ؛ وبعدما رآه، لم يشأ الاعتراف به من صُلبه، وقال لي: «أُقتلي هذا الطفل أو أَعطِهِ لمرضعةٍ تربِّيه في موضع بعيدٍ بحيث لا يُسمَع به أبداً. واستردي مالكِ، لأنني لن أراكِ ثانيةً أبداً.» لهذا استسلم للألم نائحة على المصيبة التي أصابتني، وأبكي زوجي وطفلي.» فأجابتها الصبيَّة: «أَلَمْ أقل لك ان

عندي حقاً الدواء الذي وعدتك به؟ أنا أيضاً أُصِبت بالبرص، لكنني شفيت بفضلٍ من الله، الذي هو يسوع، ابن مريم.» وإذ سألتها المرأة عندها اين هو ذلك الإله الذي تتحدَّث عنه، أجابت الصبيَّة: «انه في هذا المنزل بالذات حيث نحن. ــ وكيف يمكن أن يحدث ذلك، أين هو؟» ردَّت الأميرة سريعاً. فجاوبتها الصبيَّة: «ها هما يوسف ومريم، والطفل الذي معهما هو يسوع، وهو الذي شفاني من آلامي. ــ وبأي وسيلة، قالت المرأة، استطاع شفاءك؟ ألَنْ تقولي لي ذلك؟» فأجابت الصبيَّة: «لقد تلقَّيت من أُمه ماءً غُسِلَ فيه وأرَقْتُه على جسدي فاختفى برصي.» عندها نهضت امرأة الأمير واستقبلت في بيتها يوسف ومريم، وأعَدَّت ليوسف وليمة رائعة دُعي إليها جمع غفير. وفي الغد، تناولت ماءً عَطِراً لتغسل الربّ يسوع، وغسلت بالماء نفسه ابنها الذي حملته معها، وعلى الفور شفي ابنها من برصه. إذاك اخذت تُنشِد تسابيح الله، وتحمده قائلةً: «طوبى للأم التي ولدتك، يا يسوع! ان الماء الذي رُشَّ به جسدك يشفي البشر الذين هم من أبناء جنسك.» وقدّمت لمريم هدايا نفيسة وصرفتها معاملةً إياها بإجلال عظيم.

١٩ ــ زوال سحرٍ عن زوج

ثم قَدِما إلى مدينة أخرى حيث كان عليهما قضاء الليل. وذهبا إلى عند رجل كان متزوِّجاً منذ حينٍ، لكنه، لإصابته برُقية مؤذية، لم يكن يستطيع التمتُّع بامرأته؛ لكنّهما حين أمضيا الليل قربه، زال السحر. وحين طلع النهار، تمنطقا لاستئناف المسير، لكن الزوج منعهما من ذلك وأعدَّ لهما وليمة كبرى.

٢٠ ــ مأساة ثلاث نسوة

وفي الغد رحلا، وفيما كانا يقتربان من مدينة أخرى، رأيا ثلاث نسوةٍ يبتعدن عن قبرٍ ذارفات دموعاً غزيرة. وإذ لمحتهن مريم قالت للصبيَّة التي كانت ترافقهما: «إسأليهن مَنْ هن وما هو المصاب الذي حلَّ بهن.» لكنهن لم يقدِّمن جواباً على السؤال الذي طرحته عليهن الصبيَّة، بل أخذن يسألنهم من جهتهن، قائلات: «مَنْ أنتم، وإلى اين تذهبون؟ فالنهار يميل والليل يتقدَّم.» فأجابت الصبيَّة: «نحن مسافرون ونبحث عن نُزل لقضاء الليل فيه.» فرددن سريعاً: «رافقونا وامضوا الليل عندنا.» وتبعوا اولئك النسوة، وأُدخِلوا منزلاً جديداً، مزيَّناً ومجهَّزاً بأثاث مختلف. والحال ان ذلك كان في موسم الشتاء، وإذ دخلت الصبيَّة غرفة اولئك النسوة، وجدتهن لا يزلن يبكين وينحن. وكان إلى جانبهن بغل، مكسو بغطاء حريري، وموضوع أمامه عَلَف، وكن يُطعمنه ويقبِّلنه. عندها قالت الصبيَّة: «آهٍ يا معلِّمتي، كم جميل هذا البغل»، فأجبن باكيات: «هذا البغل الذي ترينه هو أخونا، ووُلِد من أُمنا نفسها. لقد ترك لنا أبونا عند موته ثروات طائلة ولم يكن لنا سوى هذا الأخ الوحيد الذي كنا نسعى إلى تأمين زواج مناسب له. لكن نسوة تسيطر عليهن روح الحسد رمَينه بسحر، من دون علمنا، وذات ليلة، قبل بزوغ النهار بقليل، وأبواب منزلنا مُقفَلة، وجدنا أخانا مستحيلاً بغلاً وكما ترينه الآن. فلبثنا مستسلمات للحزن، إذ لم يعد لدينا أبونا ليعزِّينا؛ واستشرنا كلّ العلماء في العالم، كلّ الرُّقاة، كلّ السَّحرة، لجأنا إلى الجميع، إنما ما من واحد منهم استطاع أن يفعل شيئاً من أجلنا. لذا، في كلّ المرات التي يعتصر الحزن قلوبنا، ننهض ونمضي مع أُمنا هذه، إلى قبر أبينا، وبعد أن نبكي هناك، نعود.»

٢١ ـ عودة الشاب إلى طبيعته

عندما سمعت الصبيَّة هذه الأمور قالت: «تشجَّعن واكففن عن البكاء، فدواء آلامكن قريب، وهو حتى معكن وفي وسط مسكنكن؛ لقد كنت برصاء، لكنني بعدما رأيت هذه المرأة وهذا الطفل الصغير الذي معها والذي يُسَمَّى يسوع، وبعدما سكبتُ على جسدي الماء الذي غسلته أُمه به، شفيت. إنني أعلم أيضاً انه يستطيع وضع حد لمصابكن: إنهضن، واقتربن من مريم، وبعد مرافقتها إلى عندكن، بِحن لها بالسر الذي أفصحتن لي عنه، متوسِّلات إليها الرأفة بكن.» وعندما سمعت اولئك النسوة كلمات الصبيَّة هذه، سارعن إلى الذهاب الى جوار مريم واصطحبنها إلى عندهن وقلن لها باكيات: «يا مريم، معلّمتنا، إرحمي خادماتك، فعائلتنا محرومة من ربِّها وليس لدينا أب او اخ يدخل أو يخرج أمامنا. هذا البغل الذي ترينه هو أخونا، وقد حوّلته نسوة، برُقاها المؤذية، إلى هذه الحال. نرجوكِ إذاً ان ترأفي بنا.» إذاك رفعت مريم الطفل يسوع، وقد ادركتها الرحمة، ووضعته على ظهر البغل وكانت تبكي، كما النسوة، وقالت: «واأسفاه! يا بُنَيَّ، اشفِ هذا البغل بتأثير من سلطانك العظيم واجعَلْ هذا الرجل يستعيد العقل الذي حُرِمَه.» وما كادت هذه الكلمات تخرج من فم مريم حتى استردَّ البغل على الفور الشكل البشري وظهر بقسمات شاب جميل، ولم يبقَ له أي تشوُّه. وهو، وأُمه وأُختاه سجدوا لمريم، ورافعين الطفل فوق رؤوسهم، قبَّلوه قائلين: «طوبى لأُمك، يا يسوع، مخلِّص العالم! طوبى للعيون التي تتمتَّع بسعادة حضورك.»

٢٢ ـ عرس وفرح

وقالت الأُختان لأُمهما: «ان أخانا استردَّ شكله الأول، بفضل تدخُّل الربّ يسوع والمشورة الطيبة لهذه الصبيَّة التي نصحتنا باللجوء إلى مريم وابنها. والآن، بما ان أخانا ليس متزوِّجاً، نرى ان من المناسب ان يتزوَّج هذه الصبيَّة.» وعندما قدَّمن هذا الطلب لمريم ووافقت عليه، أعددن لهذا العرس عدَّة رائعة، وتحوَّل الألم فرحاً وحلَّ الضحك مكان البكاء، ولم يفعلن سوى الابتهاج والغناء في شدَّة رضاهن، متحلِّيات بثياب بديعة وحليّ ثمينة. وكن في الوقت نفسه يسبِّحن الله، قائلات: «يا يسوع، يا ابن الله، الذي حوَّل حزننا رضىً ونحيبنا صيحات حبور!» ومكث يوسف ومريم عشرة أيام في ذلك الموضع؛ ثم رحلا مفعمَين بآيات احترام كلّ تلك العائلة، التي بعدما ودَّعتهما، عادت باكيةً، والصبيَّة خصوصاً ذرفت دموعاً.

٢٣ ـ لصّا اليمين والشمال

ثم وصلا إلى قرب صحراء، وإذ قيل لهما ان لصوصاً يعيثون فيها فساداً، استعدّا لعبورها خلال الليل. وإذ بهما يلمحان فجأة لصَّين نائمَين وقربهما جمعٌ من لصوصٍ آخرين كانوا رفاق هذَين الرجلَين، وكانوا أيضاً غارقين في النوم. وكان اسم هذَين اللصَّين تيطوس ودوماخوس. والحال هذه، قال الأول للآخر: «أرجوك أن تدع هذَين المسافرَين يذهبان في سلام، خوفاً من أن يلمحهما رفاقنا.» وإذ رفض دوماخوس ذلك، قال له تيطوس: «إقبَلْ مني أربعين دراخمة وخُذْ حزامي رهناً.» وقدَّمه له في الوقت نفسه، راجياً إياه ألا ينادي وألا يُطلِقِ الإنذار. وقالت مريم لهذا اللص، وقد رأته مستعداً جداً

لتأدية خدمة لهما: «ليحمك الله بيمينه ويمنحك مغفرة خطاياك.» وقال الربّ يسوع لمريم: «بعد ثلاثين عاماً، يا أُمي، سيصلبني اليهود في أورشليم، وهذان اللصان سيُعلَّقان على خشبة إلى جانبَيَّ، تيطوس الى يميني ودوماخوس إلى شمالي، وذلك اليوم سيتقدَّمني تيطوس إلى الفردوس.» وعندما تكلَّم هكذا، أجابته أُمه: «ليحوِّل الله عنك مصاباً كهذا، يا بُنَيّ»، ورحلا من ثمَّ صوب مدينة ملأى أوثاناً، وإذ كانا يقتربان منها، استحالت كومة رمل.

٢٤ ــ تفجُّر نبع

ثم أتيا شجرة جمَّيز تُدعى اليوم مَطَرِيَّة، ففجَّر الربّ يسوع في ذلك الموضع نبعاً غسلت فيه مريم قميصها. والبلسم الذي يُنتِجه ذلك البلد ات من العَرَق الذي سال من أطراف يسوع.

٢٥ ــ لقاء فرعون

إذاك قصدا ممفيس، وبعدما لقيا فرعون، لبثا ثلاثة أعوام في ـصر، وصنع الربّ يسوع هناك كثيراً من الآيات، غير المدوَّنة في إنجيل الطفولة ولا في الإنجيل الكامل.

٢٦ ــ العودة إلى اليهودية

وبعد ثلاثة أعوام غادرا مصر، وعادا إلى اليهودية، وعندما اصبحا قريبَين منها خشي يوسف دخولها، لأنه علم للتو ان هيرودس ـات وخلفه ابنه أرخيلاوس؛ لكن ملاك الله ظهر له وقال له: «يا ـوسف، إمضِ إلى مدينة الناصرة وأقِمْ فيها مسكنك.»

٢٧ ــ أمراض بيت لحم

وعندما وصلا إلى بيت لحم، ظهرت هناك أمراض خطيرة وصعبة الشفاء، كانت تضرب عيون الأطفال ويموت بها كثيرون. وكان لامرأة ابن على وشك الموت بذلك المرض، فحملته إلى مريم، فوجدتها تغسل الربّ يسوع. فقالت هذه المرأة: «يا مريم، أُنظري ابني الذي يتألم بمرارة.» وإذ سمعتها مريم قالت لها: «خُذي قليلاً من هذا الماء الذي غسلت به ابني واسكبيه على ابنك.» وصنعت المرأة كما نصحتها مريم، فنام ابنها، بعدما اضطرب جداً، وعندما استيقظ، ألفى نفسه متعافياً تماماً. وقصدت المرأة، ملؤها الفرح، مريم التي قالت لها: «أُحمدي الله لشفائه ابنك.»

٢٨ ــ شفاء طفل ثانٍ

وكان لهذه المرأة جارةٌ ابنها مصاب بالمرض نفسه وكانت عيناه مطبقتَين تقريباً؛ وكان يصرخ ويبكي ليل نهار. فقالت لها التي شفي ابنها: «لِمَ لا تحملي ابنك إلى مريم كما حملت إليها ابني عندما كان على وشك الموت، وشفي بهذا الماء الذي استحمَّ به يسوع؟» فذهبت هذه المرأة الثانية أيضاً تأخذ من هذا الماء، وما ان سكبت منه على ابنها حتى شفي. وجاءت بابنها في صحة تامة إلى مريم، التي نصحتها بحمد الله وعدم رواية ما حدث له لأحد.

٢٩ ــ عقوبة الغيرة

وكان في المدينة نفسها امرأتان متزوِّجتان الرجل نفسه، ولكلٍّ ابن مريض. وكان اسم واحدة مريم وابنها كَلْجوف. هذه المرأة قامت

وحملت طفلها إلى مريم، أُم يسوع، وقدَّمت لها سِماطاً جميلاً جداً، وهي تقول لها: «يا مريم، إقبلي مني هذا السِّماط، وفي المقابل، أعطني أحد أقمطتك.» ووافقت مريم على ذلك وصنعت أُم كَلْجوف من هذا القماط قميصاً ألبسته ابنها. فألفى نفسه معافى ومات طفل غريمتها في اليوم نفسه، ونشأت من ذلك اختلافات كبيرة بين هاتَين المرأتَين؛ وكانتا تقومان، كلٌّ بدورها، خلال أسبوع، بالأعمال المنزلية، وعندما جاء دور مريم، أُم كَلْجوف، كانت منشغلة بتحمية الفرن للخَبز، وإذ احتاجت إلى طحين، خرجت، تاركةً طفلها قرب الفرن. وإذ رأت غريمتها ان الطفل كان وحيداً، حملته وألقته في الفرن المشتعل وهربت. وسرعان ما عادت مريم، وكم كانت دهشتها حين رأت طفلها في وسط الفرن حيث كان يضحك، لأن الفرن برد فجأةً، كما لو انه لم يُحَمَّ أبداً، وارتابت بان غريمتها رمته هناك. فسحبته منه وحملته إلى العذراء مريم، وروت لها ما حدث. فقالت لها مريم: «اصمتي، لأنني اخشى عليك إنْ أذعتِ هذه الأمور.» ثم راحت الغريمة تستقي من البئر، وإذ رأت كَلْجوف يلعب قربها، ولم يكن في الجوار أي مخلوق بشري، حملته وألقته في البئر. ورأى رجال قدموا للتزوُّد بالماء، الطفل جالساً من دون أي أذى، على صفحة الماء، وإذ انزلوا حبالاً، سحبوه وملأهم إعجاب بهذا الطفل إلى حد انهم أدّوا له الإكرام نفسه كما لإله. وحملته أُمه باكيةً إلى مريم وقالت لها: «يا معلِّمتي، أُنظري ما فعلت غريمتي بابني، وكيف أوقعته في البئر. آه! سوف تنتهي من دون شك إلى تسبيب موته.» فأجابتها مريم: «ان الله يجازي الشر الذي ألحِق بك.» وبعد أيام قليلة، ذهبت الغريمة تستقي من البئر ماءً فأعاق الحبل قدمَيها، بحيث سقطت في البئر، وعندما هُرعوا لنجدتها،

وجدوا انها حطَّمت رأسها. وماتت بطريقة مشؤومة، وتمَّ فيها قول الحكيم: «حفروا بئراً ورمَوا التراب إلى فوق، لكنهم وقعوا في الحفرة التي حفروها.»[1]

٣٠ ـ شفاء برتلماوس

وكان لامرأة أخرى من المدينة نفسها طفلان، مريضان كلاهما، واحد مات والآخر على وشك الموت؛ فأخذته أمه بين ذراعَيها وحملته إلى مريم ذارفةً سيلاً من الدموع، وقالت لها: «يا معلِّمتي، تعالي لنجدتي واشفقي عليَّ؛ كان لي ابنان، وقد فقدت احدهما للتو وأُعاين الآخر لحظة موته. أُنظري كيف ألتمس رحمة الربّ.» وأخذت تصرخ: «يا ربّ، ملؤك الرأفة والرحمة؛ لقد رزقتني ابنَين، واستدعيت احدهما إليك، فاترُكْ لي الآخر على الأقل.» فأشفقت عليها مريم، شاهدةً على ألمها الشديد، وقالت لها: «ضعي طفلك في سرير ابني وغطِّيه بثيابه.» وحين وُضِع الطفل في السرير إلى جانب يسوع، انفتحت ثانيةً عيناه المطبقتان بالموت، وطلب خبزاً، منادياً أُمه بصوتٍ عالٍ، وحين زُوِّد منه، أكله. عندها قالت أُمه: «يا مريم، أعرف ان فضيلة الله تسكنك، إلى حد ان ابنك يشفي الأطفال ما ان يلمسوه.» والطفل الذي شفي هكذا هو برتلماوس نفسه المحكي عنه في الإنجيل.

٣١ ـ شفاء برصاء

وكانت في الموضع نفسه امرأة برصاء قصدت مريم، أُم يسوع، وقالت لها: «يا معلِّمتي، أشفقي عليّ.» فأجابتها مريم: «أي عونٍ

---

[1] ١ـ مز: ٧:١٦،٧:٥٧،٧.

تطلبين؟ أذهبٌ أم فضة، أم تريدين الشفاء من برصك؟» وردّت هذه المرأة سريعاً: «ماذا تستطيعين أن تفعلي من أجلي؟» فقالت لها مريم: «انتظري قليلاً حتى أكون قد غسلت طفلي ووضعته في سريره.» وانتظرت المرأة، وبعدما أرقدته، ناولت مريم المرأة وعاءً مليئاً بالماء الذي غسلت به طفلها، وقالت لها: «خذي قليلاً من هذا الماء، واسكبيه على جسدك.» وما ان فعلت المريضة ذلك، حتى ألفت نفسها متعافية، فحمدت الله.

٣٢ ـ شفاء أميرة

ثم مضت، بعدما لبثت ثلاثة أيام قرب مريم، وأتت إلى مدينة كان يقطنها أمير تزوّج ابنة أمير آخر؛ لكنه عندما رأى امرأته، لمح بين عينَيها آثار البرص، في شكل نجمة، فأعلن زواجهما باطلاً وغير شرعي. وإذ رأت هذه المرأة الأميرة مستسلمة لليأس، سألتها عن سبب دموعها، فأجابتها الأميرة: «لا تسأليني، فمصابي إلى درجة لا استطيع معها البوح به لأحد.» وألحّت المرأة للاطلاع عليه، قائلةً انها قد تعرف دواءً ما يوصف له. عندها رأت آثار البرص الظاهرة بين عينَي الأميرة. «أنا أيضاً، قالت، أُصِبت بهذا المرض نفسه وقصدت بيت لحم في عمل. وهناك دخلت مغارة حيث رأيت امرأةً اسمها مريم، ولها طفل يُدعى يسوع. فأشفقَت عليَّ، إذ رأتني مصابة بالبرص، واعطتني من الماء الذي غسلت به جسد ابنها. فسكبتُ هذا الماء على جسدي وشفيتُ على الفور.» عندها قالت لها الأميرة: «قومي وتعالي معي وأريني مريم.» ومضَت إليها حاملةً هدايا نفيسة. وعندما رأتها مريم، قالت: «لتحلَّ عليك رحمة الربّ يسوع.» واعطتها قليلاً من الماء الذي غسلت فيه طفلها. وما ان سكبت الأميرة منه عليها، حتى ألفت

نفسها متعافية، فحمدت الربّ، كما كلّ الحاضرين. وإذ علم الأمير ان امرأته شفيت، استقبلها لديه، وحمد الله محتفلاً بعرسٍ ثانٍ.

٣٣ ــ صبيَّة يعذِّبها الشيطان

وكان في المكان نفسه صبيَّة يعذِّبها الشيطان؛ فقد كانت الروح الشريرة تظهر لها في شكل تنين عظيم يريد افتراسها؛ وكان قد امتصَّ كلّ دمها بحيث كانت تشبه جثّة. وفي كلّ المرات التي كان ينقضُّ عليها، كانت تصرخ، وتقول، ضامَّةً يدَيها فوق رأسها: «الويل، الويل لي، فما من أحد يمكنه إنقاذي من هذا التنين المريع.» وكان أبوها وأُمها وكلّ الذين يحيطون بها، وهم شهود على شقائها، يستسلمون للحزن ويذرفون دموعاً، خصوصاً عندما كانوا يرَونها تبكي وتصيح: «يا إخوتي وأصدقائي، أليس هناك أحد ينقذني من هذا الوحش؟» وإذ سمعت ابنة الأمير التي شفيت من البرص، صوت هذه الشقيَّة، صعدت إلى سطح قصرها ورأتها، يداها مضمومتان فوق رأسها، ذارفةً دموعاً غزيرة، وكان كلّ الذين يحيطون بها في أسىً عظيم. فسألت عما إذا كانت أُم الممسوسة لا تزال حيَّة. وحين أُجيبت بأن أباها وأُمها كانا كلاهما على قيد الحياة، قالت: «استدعوا أُمها إلي.» وحين جاءت، سألتها: «أهي ابنتك الممسوسة على هذه الصورة؟» وإذ أجابت الأُم بنعم، ذارفةً دموعاً، قالت ابنة الأمير: «لا تبوحي بما سوف أسرُّ به إليك؛ كنت برصاء لكن مريم، أُم يسوع المسيح، شفتني. إذا أردت أن تكون لابنتك السعادة نفسها، فقوديها إلى بيت لحم، وتوسَّلي بإيمان مساعدة مريم، واعتقد بأنك ستعودين مملوءةً فرحاً مُرجِعةً ابنتك متعافية.» فنهضت الأُم على الفور، ومضت، وقصدت مريم، وعرضت لها الحال التي كانت فيها ابنتها.

وعندما سمعتها، اعطتها قليلاً من الماء الذي غسلت فيه ابنها يسوع، وقالت لها أن تسكبه على جسد الممسوسة. ثم أعطتها قطعةً من أقمطة الطفل يسوع، وقالت لها: «خذي هذا وأريه لعدوِّك، في كلّ المرات التي ترينه فيها.» ومن ثمَّ صرفتها في سلام.

٣٤ ــ هرب الشيطان

وعندما عادتا إلى مدينتهما بعد مغادرتهما مريم، وعندما حلَّ الوقت الذي كان فيه الشيطان معتاداً تعذيبها، ظهر لها في شكل تنين عظيم؛ فاستولى الذعر على الصبيَّة، لمنظره، لكن أُمها قالت لها: «لا تخشي شيئاً، يا ابنتي، دعيه يقترب أكثر منك وأريه قطعة القماش هذه التي أعطتنا إياها مريم، وسوف نرى ماذا يمكنه أن يفعل.» وحين أصبحت الروح الشريرة، التي اتخذت شكل ذلك التنين، قريبة جداً، وضعت المريضة، وهي ترتجف بشدة خوفاً، قطعة القماش على رأسها وبسطتها، وفجأة خرجت منها ألسنة لهب كانت تثب نحو رأس التنين ونحو عينَيه، وسُمِع صوت يصرخ: «ماذا يوجد بيني وبينك، يا يسوع، ابن مريم؟ اين أجد ملاذاً ضدك؟» وهرب الشيطان برعب، تاركاً تلك الصبيَّة، ومذاك ما عاد ظهر أبداً. وهكذا وجدت نفسها ناجيةً، وحمدت الله في اعترافها بالجميل، كما كلّ الذين كانوا حاضرين عند هذه الأُعجوبة.

٣٥ ــ شفاء يهوذا الإسخريوطي

وكان في تلك المدينة نفسها امرأة أخرى يعذِّب ابنها الشيطان. وكان اسمه يهوذا، وفي كلّ المرات التي كانت الروح الشريرة تستحوذ عليه، كان يسعى إلى عضِّ من هم قربه، وإذا كان وحده، كان يعضُّ

يدَيه وأطرافه. وإذ سمعت أُم هذا الشقي بمريم وابنها يسوع، نهضت، وحملت ابنها إلى مريم، ممسكةً إياه في ذراعَيها. وأثناء ذلك كان يعقوب ويوسف قد قادا الطفل إلى الخارج ليلعب مع الآخرين، وكانا جالسَين خارج المنزل ويسوع معهما. فاقترب يهوذا أيضاً وجلس إلى يمين يسوع، وحين بدأ الشيطان يثيره كالعادة، سعى إلى عضِّ يسوع، ولما لم يكن يستطيع الوصول إليه، كان يوجِّه إليه ضربات في جنبه الأيمن، بحيث أخذ يسوع يبكي. لكن الشيطان خرج من ذلك الطفل، في تلك اللحظة، في هيئة كلب كلبان. وذلك الطفل كان يهوذا الإسخريوطي، الذي خان يسوع، والجنب الذي ضربه شقَّه اليهود بطعنة حربة.

٣٦[١] ـ يسوع يحرِّك الصور

وعندما أتمَّ يسوع عامه السابع، كان يلعب يوماً مع أطفال آخرين من عمره، وكانوا ليتسلُّوا، يصنعون من التراب المبلول صور حيوانات متنوِّعة، ذئاباً، وحميراً، وطيوراً، وكلٌّ متباهياً بعمله، يجهد لرفعه فوق مستوى عمل رفاقه. عندها قال يسوع للأطفال: «انني آمر الصور التي صنعتها بالسير، فتمشي.» وإذ سأله الأطفال عما إذا كان ابن الخالق، أمر الربّ يسوع الصور بالسير فتقدّمت على الفور. وحين كان يأمرها بالعودة، كانت تعود. وقد صنع صور طيور وعصافير دوريّ كانت تطير حين يأمرها بالطيران وتتوقّف حين يقول لها ان تتوقَّف، وحين كان يقدِّم لها شراباً وطعاماً، كانت تأكل وتشرب. وحين غادر الأطفال، ورووا لأهلهم ما رأوا، قال لهم هؤلاء: «ابتعدوا من الآن فصاعداً عن مجلسه، فهو ساحر، وكفوا عن اللعب معه.»

١ـ آل عمران: ٤٩.

٣٧ ـ معجزة صبغ الأقمشة

وذات يوم والربّ يسوع يلعب ويركض مع الأطفال الآخرين، مرَّ امام دكان صبّاغ اسمه سالم؛ وكان في ذلك الدكان أقمشة تعود إلى عدد كبير من سكان المدينة، وكان سالم يستعد لصبغها بألوان متنوّعة. وإذ دخل يسوع ذلك الدكان، تناول كلّ تلك الأقمشة ورماها في الخلقين. فأخذ سالم وقد التفت، ورأى الأقمشة تالفةً، يُطلِق صيحات عظيمة ويوبِّخ يسوع، قائلاً: «ماذا فعلت، يا ابن مريم؟ لقد اذيتني أنا ومواطنيّ؛ فقد كان كلّ واحد يطلب لوناً مختلفاً، وانت جئت بغتةً، وأتلفت كلّ شيء.» فأجاب الربّ يسوع: «أي قطعة قماش تريد تغيير لونها، أغيِّره.» وأخذ على الفور يسحب الأقمشة من الخلقين، وكان كلٌّ منها مصبوغاً باللون الذي يرغب فيه الصَّباغ. فعظَّم اليهود، لشهود هذه المعجزة، قدرة الله.

٣٨ ـ يسوع يساعد يوسف

وكان يوسف يجوب المدينة كلّها، مصطحباً معه الربّ يسوع، وكانوا يدعونه لصنع أبواب، أو غرابيل، أو خزائن، وكان الربّ يسوع معه في كلّ مكان. وفي كلّ المرات التي كان يجب أن يكون العمل الذي يقوم به يوسف أطول أو أقصر، أعرض أو أضيق، كان الربّ يسوع يبسط يده، فيغدو الشيء على الفور كما اشتهاه يوسف، بحيث انه لم يكن يحتاج إلى تهذيب شيء بيده.

٣٩ ـ عرش الملك

كان يوسف ماهراً في مهنته. وذات يوم، استدعاه ملك أُورشليم وقال له: «أُريد، يا يوسف، أن تصنع لي عرشاً بحسب قياس الموضع

الذي اعتدت الجلوس فيه.» فأطاع يوسف، وإذ بدأ العمل على الفور، أمضى عامَين في القصر لصنع ذلك العرش. وعندما وُضع في المكان الذي يجب أن يكون فيه، تبيَّن نقص طولَين في القياس المحدَّد من كلّ جهة. عندها غضب الملك على يوسف، الذي لم يستطع الأكل ونام صائماً، خائفاً حنق الملك. وإذ سأله الربّ يسوع عندها عن سبب خشيته، أجاب: «ان العمل الذي اشتغلت عليه عامَين كاملَين ضاع.» فأجابه الربّ يسوع: «كُفَّ عن خوفك ولا تيأس؛ خُذ هذه الجهة من العرش وأنا الأخرى، لنجذبه إلى قياس صحيح.» وإذ فعل يوسف ما أمره به يسوع، وشدَّ كلّ واحد بقوة من جهته، أطاع العرش وارتدى بالضبط القياس المطلوب. فأُصيب الحاضرون بالذهول، وقد رأوا هذه المعجزة، وباركوا الله. وكان ذلك العرش مصنوعاً من خشب كان موجوداً في عهد سليمان، ابن داوود، وكان لافتاً بعِقَده الممثِّلة أشكالاً وصوراً متنوّعة.

٤٠ ـ الأطفال الأكباش

وفي يوم آخر، مضى الربّ يسوع إلى الساحة، وإذ رأى الأطفال مجتمعين ليلعبوا، انضمّ إليهم، لكن هؤلاء اختبأوا، وقد لمحوه، فقصد الربّ يسوع باب منزل وسأل نسوةً كن واقفات عند المدخل أين هم اولئك الأطفال. ولما أجبنه بأن ما من واحد منهم في المنزل، قال الربّ يسوع لهن: «ماذا ترين تحت هذا العَقْد؟» فأجبن بأن تلك أكباش في الثالثة من العمر، فصاح الربّ يسوع: «أُخرجي يا أكباش، وتعالي نحو راعيك.» وخرج الأطفال على الفور، مستحيلين أكباشاً، وكانوا يقفزون حوله، فاستولى الذعر على تلك النسوة، وقد رأين ذلك.

وسجدن للربّ يسوع قائلات: «يا يسوع! يا ابن مريم، يا ربنا، انت حقاً راعي إسرائيل الصالح؛ أشفِقْ على خادماتك اللواتي هن في حضرتك واللواتي لا يرتبن، يا ربّ، بأنك أتيت لتشفي، لا لتُهلِك.» وإذ اجاب الربّ يسوع بعد ذلك بان ابناء إسرائيل هم بين الشعوب مثل اثيوبيين، قالت النسوة: «يا ربّ، أنتَ تعرف كلّ الأمور، ولا يفوت علمك اللامتناهي شيء؛ اننا نسألك ونأمل برحمتك، ان تشاء حقاً ردَّ شكلهم القديم إلى هؤلاء الأطفال.» وعندها قال الربّ يسوع: «تعالَوا، يا اطفال، لنذهب ونلعب.» وعلى الفور، وفي حضور اولئك النسوة، استعادت تلك الأكباش شكل الأطفال.

٤١ ـ يسوع يتوَّج ملكاً

وفي شهر آذار، جمع يسوع الأطفال وصفَّهم باعتباره ملكهم: وقد بسطوا ثيابهم أرضاً ليُجلِسوه عليها، ووضعوا على رأسه إكليلاً من الزهور، وكما اتباعٌ يرافقون ملكاً، اصطفوا إلى يمينه وشماله. وإذا مرّ احدهم من هناك، كان الأطفال يوقفونه بالقوّة، ويقولون له: «تعال واسجُدْ للملك، لتفوز بسفر سعيد.»

٤٢ ـ الطفل والحيَّة

وفي تلك الأثناء وصل رجالٌ يحملون طفلاً على مِحَفَّة. وكان ذلك الطفل في الجبل مع رفاقه لجلب حطبٍ، وإذ عثر على عشِّ حجال، دسّ فيه يده ليسحب منه البيض، لكن حيَّةً مختبئة في وسط العشِّ، لسعته، فنادى أصحابه لنجدته. لكنهم حين وصلوا وجدوه ممدَّداً أرضاً وشبه ميت؛ عندها جاء قومٌ من عائلته، ونقلوه إلى المدينة، وحين وصلوا إلى الموضع الذي كان الربّ يسوع جالساً فيه على العرش

مثل ملك، كان الأطفال الآخرون يحيطون به بمثابة بلاطه، وهؤلاء الأطفال ذهبوا لاستقبال الذين يحملون المنازع وقالوا لهم: «تعالوا وحيّوا الملك.» ولما لم يشاؤوا الاقتراب بسبب الحزن الذي كانوا يعانونه، قادهم الأطفال بالقوة. وحين مثلوا أمام الربّ يسوع، سألهم لماذا يحملون ذلك الطفل؛ فأجابوا بأن حيَّةً لسعته، فقال الربّ يسوع للأطفال: «هيّا بنا معاً ولنقتُلْ تلك الحيَّة.» وكان أهل الطفل الذي كان على وشك الموت، يتوسلون الأطفال الآخرين أن يدَعوهم يذهبون، لكن هؤلاء أجابوا: «ألَم تسمعوا ما قاله الملك: هيّا بنا ولنقتُل الحيَّة، أوَليس عليكم الامتثال لأوامره؟» وعلى رغم معارضتهم، أعادوا المِحَفَّة على أعقابها. وعندما وصلوا إلى قرب العشّ، قال الربّ يسوع للأطفال: «ألا تختبئ الحيَّة هنا؟» وإذ أجابوا هم بنعم، خرجت الحيَّة على الفور، وقد ناداها الربّ يسوع، وخضعت له. فقال لها الربّ: «إذهبي وامتصّي السمّ كلّه الذي نفثتيه في عروق هذا الطفل.» فاستعادت إذاك الحيَّة، زاحفةً، السمَّ كلّه الذي تقيَّأته، وانشقَّت على الفور بعد ذلك وماتت، وقد لعنها الربّ. ولمس الربّ يسوع الطفل بيده، فشُفي. ولما أخذ يبكي، قال له الربّ يسوع: «لا تبكِ، فستكون تلميذي.» وكان ذلك الطفل سمعان الكنعاني المذكور في الإنجيل.

٤٣ ــ شفاء يعقوب

وفي يومٍ آخر، كان يوسف قد أرسل ابنه يعقوب للاحتطاب، وانضمَّ إليه الربّ يسوع لمساعدته، وحين وصلا إلى الموضع الذي كان فيه الحطب، وعندما أخذ يعقوب يلتقط منه، إذا بأفعى تلسعه، فبدأ يصرخ ويبكي. فدنا منه الربّ يسوع، وقد رآه في هذه الحال، ونفخ فوق الموضع الذي لُسِعَ فيه، فشفي يعقوب حالاً.

٤٤ ــ قيامة زينون

وذات يوم، كان الربّ يسوع مع أطفال يلعبون على سطح، فترك أحد هؤلاء الأطفال نفسه يسقط وقضى فوراً. عندها قال أهل الميت، وقد وصلوا، للربّ يسوع: «أنتَ مَنْ دفع ابننا من أعلى السطح.» ولما نكر ذلك، ردَّدوا بَعْدُ بصوتٍ أعلى: «إبننا مات وها هو الذي قتله.» فأجاب الربّ يسوع: «لا تتهموني بجريمة لا تستطيعون تقديم أي إثبات عليها؛ إنما لنسألْ هذا الطفل نفسه ليَقُلْ ما حقيقة الأمر.» ونزل الربّ يسوع ووقف قرب رأس الميت وقال بصوتٍ عالٍ: «يا زينون، يا زينون، مَنْ دفعك من أعلى السطح؟» فأجاب الميت: «يا ربّ، لستَ أنتَ سبب سقوطي، بل هو فلانٌ مَنْ أسقطني.» وإذ أوصى الربّ الحاضرين بالانتباه إلى هذه الكلمات، حمد كلّ الذين كانوا حاضرين الله على هذه المعجزة.

٤٥ ــ الماء في معطف يسوع

وأمرت مريم ذات يومٍ الربّ يسوع بالذهاب للاستقاء من بئر. وعندما أدى هذا العمل، ورفع على رأسه الجرَّة ملأى، انكسرت. وإذ بسط الربّ يسوع معطفه، حمل إلى أُمه الماء الذي جمعه فيه، فصُعِقَت إعجاباً، وكانت تحفظ في قلبها كلّ ما تراه.

٤٦ ــ تيبُّس ابن حنون

وفي يومٍ آخر، كان الربّ يسوع يلعب عند حافَّة الماء مع أطفالٍ آخرين، وقد شقُّوا أقنيةً ليُجروا الماء، مكوِّنين هكذا بركاً صغيرة، وصنع الربّ يسوع من التراب اثني عشر عصفوراً ووضعها حول

بركته، ثلاثة من كلِّ جهة. وكان اليوم يوم سبت، فجاء بغتةً ابن حنون، اليهودي، وقال لهم وقد رآهم منشغلين هكذا: «كيف يمكنكم يوم سبت ان تصنعوا صوراً من الوحل؟» وأخذ يخرِّب عملهم. وإذ بسط الطفل يسوع يدَيه فوق الطيور التي صنعها، طارت مزغردةً. ثم عندما اقترب ابن حنون، اليهودي، من البركة التي حفرها يسوع، لتخريبها، اختفى الماء، فقال له الربّ يسوع: «أنتَ ترى كيف جفَّ هذا الماء؛ سيحلُّ الأمر نفسه بحياتك.» وعلى الفور يبس الطفل.

٤٧ ــ سقوط طفل

وفي يومٍ آخر، والربّ يسوع يدخل مساءً مسكن يوسف، أصابه طفلٌ راكضٌ نحوه بصدمة عنيفة إلى حد أن الربّ يسوع وقع تقريباً، فقال لذلك الطفل: «كما دفعتني، أُسقُطْ ولا تنهض.» وللحال سقط الطفل أرضاً وقضى.

٤٨ ــ عند المعلِّم زكّا

وكان في أُورشليم رجل، اسمه زكّا، يعلِّم الناشئة. وكان يقول ليوسف: «لِمَ يا يوسف، لا تُرسِلِ إليَّ يسوع ليتعلَّم الأحرف؟» وكان يوسف يريد الامتثال لهذا الرأي، واتفق مع مريم على ذلك. فقادا الطفل إذاً إلى المعلِّم، وما ان رآه هذا الأخير، حتى كتب الألفباء وقال له أن يلفظ أَلِف. وحين فعل ذلك، طلب منه أن يقول بِيْت. فقال له الربّ يسوع: «قُلْ لي أولاً ما معنى حرف أَلِف، وعندها ألفظ بِيْت.» وكان المعلِّم يتهيّأ لتأديبه، لكن الربّ يسوع أخذ يشرح له معنى حرفَي أَلِفَ وبِيْت، وما هي الأحرف ذات الشكل المستقيم، والتي هي مائلة، والأحرف المصوِّتة، والتي هي مزدوجة، والتي ترافقها نقاط، وأخيراً،

التي تفتقر إليها، ولِمَ هذا الحرف يتقدَّم آخر، وأخيراً قال أشياء كثيرة لم يسمَعْ بها المعلِّم أبداً ولم يقرأها في أي كتاب. وقال الربّ يسوع للمعلِّم: «إنتبِهْ إلى ما سأقوله لك.» وأخذ يتلو بوضوح وجلاء أَلِف، بيْت، غيْميل، دالِتْ، حتى نهاية الألفباء. وأُعجِب المعلِّم بذلك، وقال: «اعتقد بأن هذا الطفل وُلِد قبل نوح»، وأضاف، ملتفتاً نحو يوسف: «لقد قُدْتَ إليَّ، لأُعلِّمه، طفلاً يعلم أكثر من كلّ الأحبار.» وقال لمريم: «ان ابنك لا يحتاج على الإطلاق إلى تعليمنا.»

٤٩ ـ عند معلِّم أعلم

ثم قاداه إلى معلِّم أعلم، وما ان لمحه، حتى سأله: «قل أَلِف». وعندما قال أَلِف، أمره المعلِّم بأن يلفظ بيْت. فأجابه الربّ يسوع: «قُلْ لي ماذا يعني الحرف أَلِف، وعندها ألفظ بِيْت.» فرفع المعلِّم يده، غاضباً ليضربه، فيبست يده على الفور، ومات. عندها قال يوسف لمريم: «من الآن فصاعداً ما عاد ينبغي ترك الطفل يخرج من البيت، فأي امرىءٍ يعارضه يُصاب بالموت.

٥٠ ـ محاورة الأحبار والشيوخ والعلماء

وعندما بلغ الثانية عشرة، قاداه إلى أُورشليم في زمن العيد، وإذ انتهى العيد، عادا: لكن الربّ يسوع بقي في الهيكل، بين أحبار ابناء اسرائيل وشيوخهم وعلمائهم، الذين كان يسألهم في نقاط علمية مختلفة، وبدوره، يجيبهم، وقد سألهم: «إبن مَنْ هو المسيح؟» فأجابوا: «انه ابن داوود.» وأجاب يسوع: «لِمَ إذاً داوود، مدفوعاً من الروح القدس، يدعوه ربَّه، عندما يقول: قال الربّ لربّي: إجلِسْ عن يميني لأضع أعداءك تحت قدميك.» عندها سأله أحد رؤساء الأحبار، قائلاً:

«هل قرأت الكتب المقدّسة؟» فأجاب الربّ يسوع: «لقد قرأت الكتب وما تحتويه»، وكان يشرح لهم الكتاب المقدّس، والشريعة، والوصايا، والقوانين، والأسرار التي تحتويها كتب الأنبياء، والتي لا يستطيع عقل أي مخلوق فهمها. وقال رئيس الأحبار: «لم أرَ أبداً ولا سمعت تعليماً كهذا؛ مَنْ تعتقدون بأنه هذا الطفل؟»

٥١ ـ في علم الكواكب

وكان هناك فيلسوف، عالم فلك، سأل الربّ يسوع عما إذا كان قد درس علم الكواكب. وعرض يسوع مُجيباً إياه عدد الأفلاك والأجسام السماوية، وطبيعتها وتعارضاتها، وشكلها الثلاثي، والرباعي والسداسي، وسيرها وحركتها العكسية، وحساب الأعياد ودرس التأثيرات في البشر وأموراً أخرى لم يسبِرْها عقل أي إنسان.

٥٢ ـ في الجسد والنفس

وكان هناك أيضاً في ما بينهم فيلسوف عالم جداً في الطب والعلوم الطبيعيّة، وعندما سأل الربّ يسوع عما إذا كان قد درس الطب، عرض له هذا الأخير الفيزياء وما وراء الطبيعة، والفيزياء العليا والفيزياء السفلى، وخاصيَّات الجسم والسوائل ومفاعيلها، وعدد الأطراف والعظام، والإفرازات البولية، والشرايين والأعصاب، والأمزجة المختلفة، الحار والجاف، البارد والرطب، وما هي تأثيراتها؛ وما هي أفعال النفس في الجسد، وأحاسيسها وخاصيَّاتها، وخصائص الكلام، والغضب، والرغبة، والتجمُّع والتبعثر وأموراً

أخـرى لم يسـتطع فكر أي مـخلوق شـرحـهـا. عندها نهض ذلك الفـيلسـوف وسـجـد للربّ يسـوع قـائـلاً: «يا ربّ، من الآن فـصـاعـداً سأكون تلميذك وخادمك.»

٥٣ ـ العودة إلى الناصرة

وفيما كانوا يتحدّثون هكذا، جاءت مريم بغتةً مع يوسف، وكانت منذ ثلاثة أيام تبحث عن يسوع؛ وإذ رأته جالساً بين الأحبار، سائلاً إياهم ومجيباً إياهم بالتتالي، قالت له: «يا بُنَيَّ، لِمَ تصرَّفتَ هكذا حيالنا؟ ان أباك وأنا بحثنا عنك، وغيابك سبَّب لنا الكثير من الألم.» فأجاب: «لِمَ كنتما تبحثان عني؟ ألا تعلمان ان من المناسب ان أبقى في بيت أبي؟» لكنهما لم يفهما الكلمات التي كان يوجِّهها إليهما. عندها سأل الأحبار مريم عما إذا كان ابنها، وإذ أجابتهم بنعم، صاحوا: «أيتها المحظوظة مريم، التي ولدت طفلاً كهذا.» وعاد معهما إلى الناصرة، وكان خاضعاً لهما في كلّ الأمور. وكانت أُمه تحتفظ بكل كلماته في قلبها. وكان الربّ يسوع ينمو قامةً، وحكمةً ونعمةً أمام الله وأمام الناس.

٥٤ ـ كشف الرسالة

وبدأ منذ ذلك اليوم يحجب خفاياه وأسراره، إلى ان أتمَّ عامه الثلاثين، عندما أسمَعَ أبوه من أعلى السماء هذه الكلمات، كاشفاً علناً رسالته على ضفاف الأُردن: «هذا هو ابني الحبيب الذي وضعتُ فيه كلّ رضاي»، وعندما ظهر الروح القدس في شكل حمامة بيضاء.

٥٥ ــ "أعطانا الوجود والحياة"

هو مَنْ نعبده باتضاع، لأنه اعطانا الوجود والحياة، وأخرجنا من أحشاء أُمهاتنا؛ واتخذ من أجلنا جسد الإنسان، وافتدانا، غامراً إيانا برحمته الأبدية، ومانحاً إيانا نعمته بمحبته لنا وَجُوده. له إذاً المجد، والعزَّة، والمديح والسيادة إلى أبد الآبدين. آمين.

خاتمة إنجيل الطفولة كاملاً، بعون الله الأسمى، وفقاً لما نجد.

إنجيل مولد مريم وميلاد المخلِّص

أو «إنجيل الطفولة»، أو «كتاب مولد مريم والطفل المخلِّص». معروف خصوصاً باسم «متى المنحول». يعالج قصّة حنة ويواكيم، ومولد مريم ويسوع. تجميع غربي، يعود إلى القرن السادس م. انطلاقاً من قصص كنسية وإنجيل يعقوب التمهيدي. لا يوجد إلا باللاتينية.

تمهيد

أنا يعقوب[١]، ابن يوسف النجار، ممتلئاً مخافة الله، كتبت كلّ ما رأيته بعينَي زمن مولد الطوباوية مريم وميلاد المخلِّص، شاكراً الله لأنه منحني معرفة قصص مجيئه، ولأنه أراني تمام النبوءات المُعطاة لأسباط إسرائيل الاثني عشر.

١ ـ يواكيم المستقيم

كان في إسرائيل رجل اسمه يواكيم، من سبط يهوذا، وكان يرعى نعاجه، خائفاً الله في بساطة قلبه واستقامته، وليس له من همٍّ آخر سوى همِّ قطعانه، التي كان يستخدم منتوجاتها لإطعام الذين كانوا يخافون الله، مقدِّماً قرابين مضاعفة في خوف الربّ، ومغيثاً المعوزين. وكان يضع ثلاث حصص من خرافه، وأرزاقه وكلّ الأشياء التي

---

١ ـ هو يعقوب الصغير الذي أصبح أحد رؤساء كنيسة أورشليم الأولى (أُنظر أعمال الرسل: ١٥، ١٣؛ غلاطية ٢، ٩).

يملكها؛ ويعطي واحدة للأرامل، واليتامى، والغرباء والفقراء؛ والأخرى للمنذورين لخدمة الله، ويحتفظ بالثالثة لنفسه وكل بيته. وقد ضاعف الله قطيعه بحيث لم يكن هناك أي واحد يمكن أن يُقارَن به في كلّ بلاد إسرائيل. وبدأ باعتماد هذا المسلك منذ الخامسة عشرة من عمره. وعندما بلغ العشرين من عمره، اتخذ امرأةً حنة[١]، ابنة أَشار، التي كانت من قبيلته نفسها، من قبيلة يهوذا، من نسل داوود؛ وبعدما سكن عشرين عاماً معها، لم يُرزَق منها أولاداً.

٢[٢] ــ الملاك يبشّر حنة

وحدث ان يواكيم قَدِمَ في أيام العيد بين الذين يحملون قرابين للربّ، يقدِّم هباته في حضرة الربّ. لكن كاتباً من الهيكل، اسمه روبين، قال له وقد اقترب منه: «لا يليق منك التدخُّل في الذبائح التي تُقَدَّم لله، لأن الله لم يباركك، طالما انه لم يمنحك ولداً في إسرائيل.» وانسحب يواكيم من الهيكل باكياً، مهاناً في حضور الشعب، ولم يَعُدْ إلى بيته؛ لكنه مضى نحو قطعانه، وقاده معه الرعاة إلى الجبال، إلى بلاد بعيدة؛ وخلال خمسة أشهر، لم تتلقّ حنة، امرأته، أي خبر عنه. وكانت تبكي في صلواتها، وتقول: «أيها الربّ الكلي القدرة، يا إله إسرائيل، لِمَ لم ترزقني ولداً، ولِمَ انتزعت زوجي مني؟ انني أجهل إنْ كان ميتاً، ولا أدري كيف العمل لدفنه.» ولجأت إلى داخل بيتها، باكيةً بمرارة، وسجدت لتصلّي، موجِّهةً توسُّلاتها إلى الربّ. وفيما هي تنهض على الأثر، وترفع عينَيها إلى الله، رأت عشَّ دوريّ، فاطلقت نواحاً عميقاً وقالت: «أيها الربّ الإله الكلي القدرة، أنت الذي أعطيت

١ ـ شخصية مطابقة لحنة أُم صموئيل وحنة أُم طوبيا.
٢ ـ آل عمران: ٣٥، ٣٦.

المخلوقات كلّها نسلاً، البهائم والحيات، الأسماك والطيور، والذي يجعلها تغتبط بصغارها، أحمدك، لأنك شئت أن أكون وحدي مستثناة من أفضال جودك؛ فأنت تعرف، يا ربّي، سرَّ قلبي؛ لقد نذرت، منذ بدء رحلتي، انك لو رزقتني إبناً أو ابنةً، لكنت كرَّسته لك في هيكلك المقدَّس.» وعندما قالت ذلك، ظهر ملاك الربّ فجأةً أمام وجهها، قائلاً لها: «لا تخافي، يا حنة، لأن ولدك في مجلس الله، وما سيولد منك سيكون موضع إكبار في كلّ الأجيال، حتى انقضائها.» وعندما قال ذلك اختفى من أمام ناظرَيها. ودخلت حنة غرفتها، مرتجفةً مذعورةً لأنها شاهدت رؤيا كهذه، وسمعت كلاماً كهذا، وارتمت فوق سريرها كميتة، وخلال النهار كلّه والليل كلّه، لبثت مصلِّيةً وفي خوف عظيم. ثم نادت إليها خادمتها، وقالت لها: «لقد رأيتني حزينة لعُقْري وترمُّلي، ولم تريدي ان تأتي إليّ.» فأجابت خادمتها هامسةً: «إذا كان الله قد ضربك بالعُقْر، وإذا كان قد أبعد عنك زوجك، فماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟» فرفعت حنة صوتها، وقد سمعت ذلك، وبكت وهي تطلق صيحات ألم.

٣ ــ حنة توافي يواكيم

في ذلك الوقت، ظهر شاب وسط الجبال حيث كان يواكيم يرعى قطيعه وقال له: «لِمَ لا تعود إلى جوار زوجتك؟» فقال يواكيم: «كانت لي خلال عشرين عاماً؛ انما الآن، بما أن الله لم يشأ أن أُرزَق منها أولاداً، طُردت من الهيكل بحقارة، فلِمَ أعود إلى جوارها؟ لكنني سوف أُوزِّع، بيد خدامي، على الفقراء، والأرامل، واليتامى وكهنة الله الأرزاق التي تعود إليهم.» وعندما قال ذلك، أجابه الشاب: «أنا ملاك الله، وقد ظهرت لزوجتك التي كانت تبكي وتصلي، وعزَّيتها، لأنك

تركتها مُثقَلة بحزن شديد. إعلَمْ في خصوص امرأتك، انها ستحبل بابنة ستكون في هيكل الله، وسيستكين الروح القدس فيها، وتكون بركتها على كلّ النساء القديسات؛ بحيث لا يستطيع احد ان يقول ان مثيلةً لها وُجِدت أبداً، أو ستوجد مثيلة لها أخرى في تعاقب الأجيال؛ وسيكون ابنها مباركاً، وهي نفسها ستكون مباركة، وستكون مُثَبَّتة أُم البركة الأبدية. إنزَلْ إذاً من الجبل وعُدْ إلى زوجتك، واحمدا معاً الله العليَّ القدير.»

فقال يواكيم مُفتَتَناً به: «إذا وجدت حظوة أمامك، فاسترِحْ قليلاً تحت خيمتي، وبارِكْني، أنا خادمك.» فقال له الملاك: «لا تَقُلْ: أنا خادمك، بل: أنا رفيقك؛ فنحن خادما ربٍّ واحد؛ لأن طعامي غير مرئي، وشرابي لا يمكن أن يراه البشر الفانون. إذاً، لا يجب أن تسألني الدخول تحت خيمتك؛ بل ما كنت تريد إعطائي إياه، قدِّمْه محرقةً لله.» إذاك أخذ يواكيم حملاً بلا عيب، وقال للملاك: «ما كنت لأجرؤ على تقديم محرقتي لو لم يُعطِني أمرك حق ممارسة الكهنوت المقدس.» فقال له الملاك: «ما كنت لأدعوك إلى ان تُضَحِّي، لو لم أعرِفْ ارادة الله.» والحال هذه حدث أن يواكيم حين قدَّم ذبيحته، عاود ملاك الربّ الصعود إلى السماوات مع رائحة الأُضحية ودخانها.

إذاك سجد يواكيم ووجهه إلى الأرض، ولبثَ هكذا منذ الساعة السادسة حتى المساء. وارتعب خدامه وأُجراؤه، وقد جاؤوا ولم يعلموا ما هو سبب ما يرونه، ودنَوا منه، معتقدين بأنه يريد الانتحار، وانهضوه عن الأرض بمشقة. وعندما روى لهم ما رآه، استولى عليهم ذعر شديد وإعجاب، وحثّوه على أن يُنجِز من دون إرجاء ما أمره به

الملاك، وان يعود سريعاً إلى جوار امرأته. وحين كان يواكيم يفحص في ذهنه ما إذا كان عليه العودة أم لا، فاجأه النوم. وإذا بملاك الربّ، الذي ظهر له بالأمس، ظهر له فيما هو نائم، قائلاً: «أنا الملاك الذي أعطاك الله حارساً؛ إنزَلْ من دون خشية وعُدْ إلى جوار حنة، لأن أعمال الرحمة التي أتممتها، أنت وامرأتك، قُدِّمَتْ في حضرة العلي، وأُعطِي لك ولد بحيث ان لا الأنبياء، ولا القديسون، حصلوا عليه أبداً منذ البدء، ولن يحصلوا عليه أبداً.» وحين استيقظ يواكيم من نومه، نادى إليه حراس قطعانه، وروى لهم حلمه. فسجدوا للربّ، وقالوا له: «حاذِرْ مقاومة ملاك الله أكثر؛ بل انهَضْ، لنرحَلْ، ولنمضِ في سيرٍ بطيءٍ ونحن نرعى القطعان.»

وعندما ساروا ثلاثين يوماً، ظهر ملاك الربّ لحنة، التي كانت تتضرّع، وقال لها: «إذهبي إلى الباب المدعو المذهّب، وتوجَّهي لاستقبال زوجك، لأنه سيأتي إليك اليوم.» فنهضت سريعاً، وانطلقت مع خادماتها، ووقفت قرب ذلك الباب وهي تبكي؛ وعندما انتظرت طويلاً، وكانت على وشك الإغماء من ذلك الانتظار الطويل، إذا بها وهي ترفع عينَيها، تُبصِر يواكيم الذي كان آتياً مع قطعانه. فركضت حنة ترتمي على عنقه، حامدةً الله، وقائلةً: «كنتُ أرملةً، وها انني لن أعود عاقراً، وها انني سأحبل.» وحلّ فرح عظيم بين الأهل كلّهم والذين يعرفونهما، وكانت ارض إسرائيل بأسرها في حبور ذلك النبأ.

١٤ ـ الولادة والتقدمة

ومن ثمَّ، حبلت حنة، وبعد تسعة أشهر تامة، أنجبت ابنةً أسمتها مريم. وحين فطمتها في العام الثالث، مضيا معاً، يواكيم وامرأته حنة،

١. آل عمران: ٣٦.

إلى هيكل الربّ، وإذ قدّما قرابين، قدّما للهيكل ابنتهما مريم، لتكون مقبولة بين العذارى اللواتي يمضين النهار والليل محتفلات بتسابيح الربّ. وحين وُضِعت في هيكل الربّ، صعدت راكضةً الدرجات الخمس عشرة، من دون أن تنظر إلى الوراء ومن دون ان تسأل عن أبوَيها، كما يفعل الأطفال عادةً. فامتلأوا كلّهم دهشةً لهذا المشهد، واستولت الدهشة على كهنة الهيكل.

٥ ـ الربّ افتقد شعبه

إذاك قالت حنة في حضور الجميع، ممتلئةً من الروح القدس: «الربّ، إله الجنود، تذكّر كلامه، وافتقد شعبه في مدينته المقدسة، ليُذِلّ الأُمم التي كانت تقاومنا ويهدي قلوبها إليه. فتح أُذنَيه لصلواتنا، وأبعد عنا شتائمَ أعدائنا. المرأة العاقر غدت أُمّاً، وولدت لفرح إسرائيل وحبورها. ها انني استطيع تقديم قرابين للربّ، وكان أعدائي يريدون منعي من ذلك. الربّ صرعهم أمامي، ووهبني فرحاً أبدياً.»

٦[١] ـ مريم موضع إعجاب

كانت مريم موضع إعجابٍ للشعب كلّه، فحين كانت في الثالثة من عمرها، كانت تمشي بوقار، وتكرّس نفسها لتسبحة الربّ بغيرةٍ وهِمّة إلى حد ان الجميع كانوا مصعوقين إعجاباً ودهشةً: فلم تكن تبدو طفلةً، بل تظهر كبيرة ومُشبَعة أعواماً، من فرط تفرُّغها للصلاة بعناية ومثابرة. وكان وجهها يسطع كالثلج، بحيث يكاد لا يمكن تأمُّل وجهها. وكانت تدأب على عمل أشغال الصوف، وكلّ ما كانت لا تستطيع فهمه نساء مسنّات، كانت تشرحه، وهي لا تزال في نعومة أظفارها. وكانت

---

١ ـ آل عمران: ٣٧.

قد فرضت على نفسها نظاماً هو الدأب على التضرُّع منذ الصباح حتى الساعة الثالثة وتكريس نفسها للعمل اليدوي منذ الساعة الثالثة حتى التاسعة. ومنذ الساعة التاسعة، لم تكن تتوقَّف عن الصلاة إلى ان يظهر لها ملاك الربّ؛ إذاك كانت تتلقى طعامها من يده، لتتقدَّم في صورة أفضل في محبة الله. ومن العذارى الأُخريات كلّهن الأكبر سنّاً منها واللواتي كانت تتهذَّب وإياهن في خدمة الله، لم تكن توجد مَنْ هي أدقُّ في السهر، أعلم بحكمة شريعة الله، اكثر امتلاءً تواضعاً، أمهر في إنشاد مزامير داوود، أكثر امتلاءً محبةً لطيفةً، أنقى عِفَّةً، أكمل في كلّ فضيلة. لأنها كانت وفيَّة، مستقرَّة، مثابرة، وكانت تفيد في كلّ يوم مواهب من كلّ نوع.

لم يسمعها أحد أبداً تقول سوءاً، ولم يرها أحد أبداً تغضب. كلّ أحاديثها كانت مملوءة لطافةً، وكانت الحقيقة تظهر من فمها. كانت منشغلةً دوماً بالصلاة وتأمُّل شريعة الله، وكانت تنشر اهتمامها على رفيقاتها، متخوِّفةً من أن تخطىء إحداهن بالكلام، أو ترفع صوتها ضاحكةً، أو تنتفخ كبرياءَ، أو تكون لها مسالك سيئة حيال أبيها وأُمها. وكانت تحمد الله بلا انقطاع، ولئلا يتمكَّن مَنْ يحيّونها من أن يحرفوها عن تسبيح الله، كانت تجيبهم: «الشكران لله!» ومنها جاءت العادة التي اتَّبعها الناس الوَرِعون بالاجابة على مَنْ يحيّونهم: «الشكران لله!» كانت تتناول كلّ يوم الطعام الذي كانت تتلقاه من يد الملاك، وتوزِّع على الفقراء الغذاء الذي كان يسلِّمها إياه كهنة الهيكل. وكان الملائكة يُرَون غالباً جداً يتحدَّثون معها، وكانوا يطيعونها بأعظم احترام. وإذا لمسها شخص مصاب بعاهةٍ ما، كان يرتدُّ متعافياً على الفور.

٧ ـ مريم تعارض الزواج

آنذاك قدَّم الكاهن أَبياتار هدايا هائلة للأحبار، ليزوِّجوا مريم ابنه. لكن مريم كانت تعارض ذلك، قائلةً: «لا أُريد ان أعرف رجلاً، ولا أن يعرفني رجل.» وكان الكهنة وأهلها كلّهم يقولون لها: «ان الله مكرَّم بالأبناء كما كان دائماً شعب اسرائيل.» فتُجيب مريم: «ان الله مكرَّم أولاً بالعفَّة. فقبل هابيل، لم يكن هناك أي بارٍّ بين الناس، وكان مَرْضياً عند الله لقربانه، فقتله بخبثٍ مَنْ لم يرض الله عنه. إلا انه تلقى إكليلَين، إكليل التضحية وإكليل العذريَّة، لان جسده لبث منزَّهاً من العيب. ولاحقاً، رُفِعَ إيليا، حين كان في هذا العالم، لأنه حفظ جسده في العذريَّة. لقد تعلَّمت في هيكل الربّ، منذ طفولتي، ان عذراء يمكن ان تكون مَرْضِيَّة عند الله. واتَّخذت إذاً في قلبي القرار بأن لا أعرف رجلاً.»

٨[١] ـ يوسف مختار مريم

وحدث ان مريم بلغت الرابعة عشرة من عمرها، وكانت تلك المناسبة بالنسبة إلى الفريسيين للقول، حسب العادة، ان امرأة لا تستطيع البقاء مصلِّيةً في الهيكل. وتقرَّر إرسال بشير إلى أسباط إسرائيل كلّها، لتجتمع في اليوم الثالث. وعندما اجتمع الشعب كلّه، نهض أَبياتار، الكاهن الأعظم، وصعد أعلى الدرجات، حتى يستطيع أن يراه ويسمعه الشعب بأسره. وبعدما أمر بالصمت، قال: «إسمعوني، يا أبناء إسرائيل، ولتفتَحْ آذانكم لكلامي. منذ ان بُني هذا الهيكل على يد سليمان، ضمَّ عدداً كبيراً من العذارى الرائعات، بنات

١ ـ آل عمران: ٤٤.

ملوك، وأنبياء واحبار؛ وعندما بلغن العمر المناسب، اتخذن أزواجاً، وكنَّ مرْضِيّات عند الله باتباع تقليد اللواتي سبقنهنّ. والحال هذه، حدث ان طريقة جديدة لمرضاة الربّ أُدخلت، مع مريم، لأنها وعدت الله بالاستمرار في العذريَّة، ويبدو لي، استناداً إلى طلباتنا وأجوبة الله، اننا نستطيع أن نعرف إلى مَنْ يجب ان يُعهَد بها لحمايتها.»

وراق هذا الخطاب للجمع، واقترع الكهنة على أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر، فحلَّت القرعة على سبط يهوذا، فقال الكاهن الأعظم في اليوم التالي: «على مَنْ لا زوجة له ان يأتي وليحمِلْ قلماً في يده.» وحصل ان يوسف جاء مع الشبّان وجلب قلمه. وعندما سلَّم الجميع الكاهن الأعظم الأقلام التي تزوَّدوا بها، قدَّم تضحيةً لله، وسأل الربّ، فقال له الربّ: «إحمل الأقلام كلّها إلى قدس الأقداس، ولتَبْقَ هناك، ومُرْ كلّ الذين حملوها بأن يعودوا لأخذها صباح الغد، لتعيدها إليهم. وسوف تخرج من رأس أحد الأقلام حمامة تطير نحو السماء، وإلى الذي تميِّز هذه العلامة قلمه يجب أن تُسَلَّم مريم لحمايتها.»

وفي الغد، جاؤوا جميعاً، ودخل الكاهن الأعظم قدس الأقداس، وقد قدَّم قربان البخور، وجلب الأقلام. وعندما وزَّعها كلّها، وعددها ثلاثة آلاف، ولم يخرج من أيٍّ منها حمامة، ارتدى الكاهن الأعظم أَبياتار الثوب الكهنوتيّ والجُرَيْسات الاثني عشر[1]، وقدَّم التضحية، وقد دخل قدس الأقداس. وفيما كان يصلي، ظهر له الملاك، قائلاً: «ها هو هذا القلم الصغير جداً الذي لم تُعِرْه أي انتباه؛ حين تأخذه وتعطيه، تظهر فيه العلامة التي ذكرتها لك.» وكان ذلك القلم ليوسف،

١ - واحد عن كلٍّ من أسباط إسرائيل.

وكان شيخاً وذا مظهر بائس، ولم يُرِد المطالبة بقلمه، خشية اضطراره إلى أخذ مريم. وفيما كان واقفاً بتواضع خلف كلّ الآخرين، صاح به الكاهن أَبياتار بصوتٍ عالٍ: «تعال، وتسلَّم قلمك، فأنت منتظَر.» فدنا يوسف، مرتعباً، لأن الكاهن الأعظم ناداه بصوتٍ عالٍ جداً. وعندما مدَّ يده لتسلُّم قلمه، خرجت من طرف ذلك القلم على الفور حمامةٌ أبيض من الثلج وذات جمال خارق، وبعدما طارت طويلاً تحت قباب الهيكل، توجّهت نحو السماوات.

إذاك هنّأ الشعب كلّه الشيخ، قائلاً: «لقد أصبحت محظوظاً في سنِّك الطاعنة، واختارك الله وأشار إليك لتُعهَد مريم إليك.» وقال له الكهنة: «تقبَّلْها، فعليك ظهر خيار الله.» فقال لهم يوسف بارتباك، مبدياً لهم احتراماً عظيماً: «أنا شيخ؛ ولديَّ أولاد؛ فلِمَ تعهدون إليَّ بهذه الشابَّة؟» عندها قال له الكاهن الأعظم أَبياتار: «تذكَّرْ يا يوسف، كيف هلك داتان وأَبيرون، لأنهما احتقرا إرادة الله؛ سيحدث لك الأمر نفسه إذا ثرتَ ضد ما يأمرك الله به.» فأجاب يوسف: «انني لا أقاوم إرادة الله، أُريد أن أعرف مَنْ من أبنائي عليه اتخاذها زوجة. فلتُعطَ بعض العذارى، رفيقاتها، تمكث معهن في انتظار ذلك.» إذاك قال الكاهن الأعظم أَبياتار: «سوف نمنحها رفقة بعض العذارى ليقُمْنَ مقام تعزية لها، إلى ان يحلَّ اليوم المحدَّد لتتقبَّلها. فهي لا تستطيع الاتحاد بالزواج مع آخر.»

عندها أخذ يوسف مريم مع خمس عذارى أُخريات، ليكنَّ في بيته مع مريم. وكانت أسماء تلك العذارى رفقة، صفُّورة، سوسان، أبيجه وزحيل، وأعطاهنَّ الكهنة حريراً، وكتاناً وأُرجواناً. واقترعن في ما بينهنَّ على أيِّ عمل يُخصَّص لكلٍّ منهن. وحدث ان القرعة عيَّنت مريم

لتحيك الأُرجوان، لتصنع حجاب هيكل الربّ، فقالت العذارى الأُخريات لها: «كيف، طالما أنت أصغر من الأُخريات، استحققت نيل الأُرجوان؟» وأخذن، وقد قلن ذلك، كما بتهكُّم، يدعونها ملكة العذارى. وحين كنَّ يتحدَّثن هكذا في ما بينهن، ظهر ملاك الربّ في وسطهن وقال: «ما تقُلْن لن يكون هزءاً، بل سيتحقَّق بالضبط تماماً.» فارتعبن من وجود الملاك وكلامه، وأخذن يتوسَّلْن مريم لتسامحهنّ وتصلّي من أجلهنّ.

٩ ـ البشارة الملائكية

وفي يوم آخر، فيما كانت مريم واقفةً قرب النبع، لتملأ جرّتها، ظهر لها ملاك الربّ، قائلاً: «انت مغبوطة، يا مريم، لأن الله أعدَّ له مسكناً في روحك. ها ان النور يأتي من السماء ليسكن فيك وليسطع، بكِ، في العالم بأسره.» وفي اليوم الثالث، فيما كانت تحيك الأُرجوان بأصابعها، مَثَلَ أمامها شاب يستحيل وصف بهائه. فاستولى الذعر على مريم، وقد رأته، وأخذت ترتجف، فقال لها: «لا تخشي شيئاً، يا مريم، لقد وجدت حظوةً عند الله. ها انك تحبلين وتلدين ملكاً يمتدُّ سلطانه ليس فقط فوق الأرض كلّها، بل أيضاً في السماوات، ويحكم إلى أبد الآبدين. آمين.»

١٠ ـ يوسف يفكِّر بالاختباء[1]

وفيما كان ذلك يحدث، كان يوسف في كفرناحوم، منشغلاً بأعمال مهنته، فقد كان نجاراً، ومكث هناك تسعة أشهر. ولدى عودته إلى بيته، وجد ان مريم كانت حبلى، فارتعدت أطرافه كلّها، وصاح وقال،

١ ـ آل عمران: ٣٧، ٤٢.

مملوءاً قلقاً: «يا ربّ، يا ربّ، تقبَّلْ روحي، فمن الأفضل لي أن أموت من أن أعيش.» فقالت له العذارى اللواتي كنَّ مع مريم: «نعلم ان ما من رجل لمسها، ونعلم انها لبثت بلا عيب في العفَّة والعذريّة، لأن الله صانها وأمضت وقتها كلّه في التضرُّع. ان ملاك الربّ يتحادث كلّ يوم وإياها، وكل يوم تتلقى طعامها من ملاك الربّ. فكيف يمكنها إذاً ارتكاب خطيئة ما؟ فإذا أردتَ ان نقول لك ما نعتقد، فما من أحد جعلها حبلى، إنْ لم يكن ملاك الربّ.» فقال يوسف: «لماذا تردنَ خداعي بإقناعي بأن ملاك الربّ جعلها حبلى؟ ألا يمكن ان أحداً تظاهر بأنه ملاك الربّ، بهدف خداعها؟ وكان يبكي ويقول، وهو يقول ذلك: «كيف أذهب إلى هيكل الله؟ كيف أجرؤ على النظر إلى كهنة الله؟ ماذا أفعل في هذه الحال؟ » وكان يفكّر بالاختباء وردِّ مريم؟

١١ ــ رؤيا يوسف

وقرَّر الهرب خلال الليل، ليذهب ويختبىء في الأمكنة المنعزلة، حين ظهر له، تلك الليلة بالذات، ملاك الربّ خلال نومه وقال له: «يا يوسف، يا ابن داوود، لا تخشَ اتخاذ مريم زوجةً لكَ، فما تحمله في أحشائها هو عمل الروح القدس. سوف تلد ابناً سيُدعى يسوع، وسوف يُخلِّص شعبه ويكفِّر عن خطاياه.» فحمد يوسف الله، ناهضاً، وتحدّث إلى مريم وإلى العذارى اللواتي كنَّ معها، وروى رؤياه، ووضع عزاءه في مريم، قائلاً: «لقد خطئت، لأنني كنت أُغذِّي بعض شكٍّ فيك.»

١٢[١] ــ إمتحان يوسف ومريم

ثم حدث ان الخبر شاع ان مريم كانت حبلى. فأمسك خدام الهيكل يوسف واقتادوه إلى الكاهن الأعظم، الذي بدأ مع الكهنة،

١ ـ آل عمران: ٣٧.

تعنيفه، قائلاً: «لِمَ استبقتَ عرس عذراء بهذه الروعة، أطعمها ملائكة الله كحمامة في هيكل الله، ولم تُرِدْ أبداً رؤية رجل وكانت مثقَّفةً على وجهٍ مذهل بشريعة الله؟ لو لم تغتصبها، لبقيت عذراء حتى الآن.» وكان يوسف يقسم بأنه لم يمسَّها. فقال له الكاهن الأعظم أبياتار: ليحيَ الربّ![1] سوف نسقيك ماء امتحان الله، فتظهر خطيئتك على الفور.»

عندها اجتمع شعب إسرائيل كلّه بعددٍ كبير جداً. واقتيدت مريم إلى هيكل الربّ. وكان الكهنة والمقرَّبون منها وأهلها يبكون ويقولون: «اعترفي للكهنة بخطيئتك، أنتِ التي كنتِ كحمامة في هيكل الربّ وكنت تتلقّين طعامك من يد الملائكة.» ونُودي يوسف للصعود إلى جوار الهيكل، وأُعطي ليشرب ماء امتحان الربّ؛ وحين كان يشربه رجل مذنب، كانت تظهر على وجهه علامة ما، عندما يدور سبع مرات حول مذبح الربّ. وحين شرب يوسف بثقة ودار حول المذبح، لم يظهر على وجهه أي أثر خطيئة. إذاك برّأه كلّ الكهنة وخدام الهيكل وكل الحاضرين، قائلين: «أنتَ محظوظ، لأنك لم توجَدْ مذنباً.»

ومنادين مريم، قالوا لها: «وأنتِ، أي عذر يمكنك إعطاؤه أو أي علامة أكبر يمكنها أن تظهر فيك، طالما أن حمل بطنك كشف إثمك؟ وطالما ان يوسف تبرَّر، نطلب منكِ ان تعترفي مَنْ هو الذي غرَّر بكِ. فمن الأفضل ان يضمن اعترافك حياتك من أن يظهر غضب الله بعلامةٍ ما على وجهك ويجعل عارك معلوماً.» عندها أجابت مريم من دون ارتعاب: «إذا كان فيَّ دنس ما أو إذا كانت فيَّ شهوة نجسة، فليعاقبني الله في حضور الشعب كلّه، لأكون مثال عقاب الكذب.»

١ ـ عبارة تتردّد غالباً في العهد القديم.

ودنت بثقة من هيكل الربّ، وشربت ماء الامتحان، ودارت سبع مرات حول الهيكل، ولم يبدُ فيها أي دنس.

وفيما كان الشعب كلّه مصعوقاً بالذهول والمفاجأة وهو يرى حبلها وان أي علامة لم تظهر على وجهها، بدأت تشيع اخبار مختلفة في صفوف الشعب. كان البعض يمتدحون قداستها، وآخرون يدينونها ويظهرون سيئي النية حيالها. عندها قالت مريم بصوتٍ عالٍ، بحيث يسمعها الجميع، وقد رأت ان شكوك الشعب كلّه لم تكن مبدّدة كلّياً: «ليحيَ الربّ إله الجنود، الذي أقف في حضرته! أشهد بأنني لم أعرف أبداً ولا يجب أن أعرف رجلاً، فمنذ طفولتي، اتخذت في نفسي القرار الحازم، ونذرت لإلهي ان أكرِّس عذريتي للذي خلقني، وأضع فيه ثقتي لئلا أعيش إلا من أجله ومن أجل أن يصونني من كلّ إثم، ما حييت.»

إذاك قبّلها الجميع، راجينها ان تسامحهم على شكوكهم السيئة، ورافقها إلى بيتها الشعب كلّه، والكهنة والعذارى، مستسلمين للحبور ومطلقين صيحات، وقائلين لها: «ليكن اسم الله مباركاً، لأنه أظهر قداستك لشعب إسرائيل كلّه.»

١٣ ــ ميلاد المسيح

وحدث، بعد وقت قليل، ان قراراً صدر عن أُوغسطوس قيصر، يأمر كلّ فرد بالعودة إلى موطنه. وكان كيرينيوس، حاكم سوريا، أول مَنْ نشر هذا القرار. وبناءً عليه اضطُرَّ يوسف إلى التوجُّه مع مريم إلى بيت لحم، فقد كان اصلهما منها، وكانت مريم من سبط يهوذا ومن بيت داوود وموطنه. وعندما كان يوسف ومريم على الدرب المؤدية

إلى بيت لحم، قالت مريم ليوسف: «أرى شعبَين أمامي، واحد يبكي والآخر يستسلم للفرح.» فأجابها يوسف: «إبْقي جالسةً ولازمي دابَّتك ولا تتلفَّظي بكلامٍ عديم الجدوى.» إذاك ظهر أمامهما طفل بهيّ، تكسوه ثياب رائعةٌ، وقال ليوسف: «لِمَ وصفتَ بكلامٍ عديم الجدوى ما كانت تقوله لكَ مريم عن هذين الشعبين؟ فقد رأت الشعب اليهودي يبكي، لأنه ابتعد عن إلهه، والشعب الوثني يغتبط لأنه اقترب من الربّ، تبعاً لما وُعِدَ به آباؤنا، إبراهيم وإسحق ويعقوب. فقد حلَّ زمان انتشار بركة نسل إبراهيم في الأمم كلّها.»

وحين قال الملاك ذلك، أمر يوسف بإيقاف الدابَّة التي كانت مريم عليها، لأن زمن الوضع حلّ. وقال لمريم أن تنزل عن دابَّتها وتدخل مغارةً جوفيةً حيث لم يدخل النور أبداً وحيث لم يكن هناك ضوء أبداً، لأن العتمة مكثت هناك في استمرار. وعند دخول مريم، سطعت المغارة كلّها ببهاء باهر كما لو ان الشمس كانت هناك، وكانت الساعة السادسة من النهار، وطالما بقيت مريم في تلك المغارة، لبثت، ليلاً ونهاراً وبلا انقطاع، مستضيئةً بذلك النور الإلهي. ووضعت مريم إبناً أحاط به الملائكة منذ ولادته وسجدوا له قائلين: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام لذوي الإرادة الصالحة!»

وكان يوسف قد ذهب يبحث عن قابلة، وحين عاد إلى المغارة، كانت مريم قد اطلقت طفلها. فقال يوسف لمريم: «جئتك بقابلتَين، زيليمي وصالومة، اللتين تنتظران عند مدخل المغارة ولا تستطيعان الدخول بسبب هذا النور الحاد للغاية.» فابتسمت مريم، وقد سمعت ذلك. وقال لها يوسف: «لا تبتسمي، بل حاذري، خشية أن تحتاجي إلى بعض أدوية.» وأعطى إحدى القابلتَين الأمر بالدخول. وعندما اقتربت زيليمي من مريم، قالت لها: «إسمحي لي بأن ألمسك.» وعندما سمحت

لها مريم بذلك، صاحت القابلة بصوتٍ عالٍ: «يا ربّ، يا ربّ، إرحمني، فلم يخطر لي أبداً ولا سمعت شيئاً مشابهاً؛ إن ثدييها مملوءان حليباً ولديها طفل ذكر، على رغم انها عذراء. ما من لطخةٍ وُجدت عند الولادة وما من ألم عند الوضع. عذراء حبلت، عذراء وضعت، وعذراء تبقى.»

وقالت القابلة الأخرى، المسمَّاة صالومة، وقد سمعت كلام زيليمي: «ما أسمعه، لن أُصدِّقه، ما لم أتأكَّد منه.» ومقتربةً من مريم، قالت صالومة لها: «إسمحي لي بأن ألمس وأن أتحقَّق مما إذا كانت زيليمي قد قالت صواباً.» وإذ سمحت لها مريم بذلك، لمستها صالومة، فيبست يدها على الفور. وأخذت، شاعرةً بألم عظيم، تبكي بمرارة شديدة وتصيح، وتقول: «يا ربّ، تعلم انني خشيتك دوماً، واعتنيت دوماً بالفقراء، من دون تفكير بأجر؛ انني لم أتلقَّ شيئاً من الأرملة واليتيم، ولم أدفع عني أبداً المعوَز من دون نجدته، وها انني اصبحت بائسة بسبب ريبتي، لأنني تجرأت على الشك في عذرائك.»

وحين كانت تتكلّم هكذا، ظهر لها شاب عظيم البهاء، وقال لها: «اقتربي من الطفل، واسجدي له والمسيه بيدك، فيشفيك، لأنه مخلِّص العالم وكلّ الذين يضعون رجاءهم فيه.» فاقتربت صالومة من الطفل على الفور، ولمست طرف أقمطته التي كان ملفوفاً بها، ساجدةً له، وعلى الفور شفيت يدها. وأخذت ترفع صوتها، خارجةً، وتروي المعجزات التي رأتها وما عانت، وكيف شفيت؛ وآمن كثيرون بكلامها.

ورعاة نعاج كانوا يؤكدون أنهم رأَوا في وسط الليل ملائكةً يرنّمون نشيداً: «سبِّحوا إله السماء ومجِّدوه، لأن مخلِّص الكلّ وُلِد، المسيح الذي سيستعيد مملكة إسرائيل.»

ولمع نجمٌ عظيمٌ فوق المغارة منذ المساء حتى الصباح، ولم يُرَ أبداً مثيل له في العظمة منذ بداية العالم. وكان الأنبياء، الموجودون في أُورشليم، يقولون ان ذلك النجم كان يشير إلى ميلاد المسيح الذي سيتمِّم الخلاص الموعود به، ليس فقط لاسرائيل، بل كذلك للأمم كلّها.

١٤ ــ سجود الثور والحمار

في اليوم الثالث لولادة الربّ، خرجت الطوباوية مريم من المغارة، ودخلت الزريبة، ووضعت الطفل في المذود، فسجد له الثور والحمار. إذاك تمَّ ما أنبأ به أَشعيا النبي: «الثور يعرف سيِّده، والحمار مذود ربِّه.» وكان هذان الحيوانان، وهو في وسطهما، يسجدان له بلا انقطاع. إذاك تمَّ أيضاً ما قاله النبي: «سوف تُعرَف في وسط حيوانَين.» ولبث يوسف ومريم ثلاثة أيام في ذلك الموضع مع الطفل.

١٥ ــ التقدمة إلى الهيكل

وفي اليوم السادس، دخلت الطوباوية مريم بيت لحم مع يوسف، وأتت بالطفل إلى هيكل الربّ، وقد انقضى ثلاثة وعشرون يوماً، وقدَّما باسمه زوج فراخ يمام وفرخَي حمام.

وكان في الهيكل رجل بارٌّ وكاملٌ، اسمه سمعان، عمره مئة وثلاثة عشر عاماً. وقد تلقى من الربّ الوعد بأنه لن يذوق الموت حتى يكون قد رأى المسيح، ابن الله، مرتدياً جسداً. وعندما رأى الطفل، صاح بصوتٍ عالٍ، قائلاً: «الله زار شعبه، والربّ أتمَّ وعده.» وسارع في القدوم، وسجد للطفل، وسجد له ثانيةً، وقد حمله تحت ردائه، وكان يقبِّل باطن قدمَيه، قائلاً: «يا ربّ، أطلِقْ الآن خادمك بسلام،

وفقاً لكلامك، لأن عينَيّ رأتا المخلِّص الذي أعددته في حضور الشعوب كلّها، النور لرؤيا الأمم، والمجد لشعبك اسرائيل.»

وكانت في هيكل الربّ أيضاً امرأة، اسمها حنة، ابنة فنوئيل، من سبط أَشير، عاشت سبعة أعوام مع زوجها، وكانت أرملة منذ أربعة وثمانين عاماً؛ ولم تبتعد أبداً من هيكل الله، متفرِّغةً بلا انقطاع للصوم والتضرُّع. وإذ اقتربت، كانت تسجد للطفل، قائلةً: «ان فيه خلاص العالم.»

١٦ ـ النجم يُرشِد المجوس

وقَدِمَ مجوس من الشرق إلى أُورشليم، وقد انقضى يومان، حاملين قرابين ثمينة، وكانوا يستنطقون اليهود بتعجُّلٍ، سائلين: «أين الملك الذي وُلِد لنا؟ لأننا رأينا نجمه في الشرق، وجئنا لنسجد له.» وأرعب هذا النبأ الشعب كلّه، وأرسل هيرودس يستشير الكتبة، والفريسيين والعلماء ليستعلم منهم أين اعلن النبي ان المسيح يجب ان يولد. فأجابوا: «في بيت لحم، فمكتوب: وأنت، يا بيت لحم، ارض يهوذا، لستِ الأدنى في مقاطعات يهوذا، فمنك يخرج القائد الذي يحكم شعبي إسرائيل.» إذاك نادى الملك هيرودس المجوس، واستعلم منهم متى ظهر لهم النجم، وأرسلهم إلى بيت لحم، قائلاً: «هيّا، واستعلموا بعناية عن هذا الطفل، وعندما تجدونه، تعالَوا وقولوا لي ذلك، لأذهب وأسجد له.»

واستأنف المجوس إذاً طريقهم، وظهر لهم النجم، وكما مرشداً لهم، تقدَّمهم إلى أن بلغوا الموضع حيث الطفل. وامتلأ المجوس بفرحٍ عظيم، وقد رأَوا النجم. وإذ دخلوا البيت، وجدوا الطفل يسوع راقداً في

ذراعَي مريم. عندها فتحوا خزائنهم، وقدّموا هدايا ثمينة لمريم ويوسف. وكلٌّ منهم قدَّم للطفل تقدمات خاصة. فقرَّب واحد ذهباً، والآخر بخوراً، والآخر مرّاً. وحين كانوا يريدون العودة إلى الملك هيرودس، حُذِّروا في الحلم من العودة إليه. فسجدوا للطفل بفرح بالغ، وعادوا إلى بلادهم عبر درب أخرى.

١٧ ــ قتل أطفال بيت لحم

وعندما رأى الملك هيرودس ان المجوس خدعوه، اشتعل قلبه غضباً، وأرسل مبعوثين على الدروب كلّها، عازماً القبض عليهم وإهلاكهم، وبما أنه لم يستطع مصادفتهم، أرسل إلى بيت لحم، وقتل كلّ الأطفال من عمر عامَين وما دون، تبعاً للوقت الذي أُنبىء به المجوس. وقبل أن يحدث ذلك بيوم، حُذِّر يوسف عبر ملاك الربّ، الذي قال له: «خُذْ مريم والطفل وانطلِقْ عبر الصحراء واذهَب إلى مصر.» وفعل يوسف ما أمره به الملاك.

١٨ ــ التنانين تسجد ليسوع

وعندما وصلوا إلى قرب مغارة وأرادوا أن يرتاحوا فيها، نزلت مريم عن دابَّتها، وكانت تحمل يسوع في ذراعَيها. وكان مع يوسف ثلاثة صبية، ومع مريم صبيَّة، كانوا يسلكون الدرب نفسها. وإذا بعدد كبير من التنانين تخرج فجأة من المغارة، ولدى رؤيتها أطلق الصبية صيحات عظيمة. عندها وقف يسوع أمام التنانين، وقد نزل من ذراعَي أُمه؛ فسجدت له، وحين سجدت له، انسحبت. وتمَّ ما قاله النبي: «سبِّحي الربّ، أنت التي على الأرض، أيتها التنانين.» وكان الطفل يمشي أمامها، وآمرها بألا تفعل أي سوء بالبشر. لكن مريم ويوسف

كانا في ذعر عظيم، خائفَين ان تؤذي التنانين الطفل. فقال يسوع: «لا تنظرا إليَّ باعتبار انني لست سوى طفل، انني رجل كامل، وينبغي أن تلين حيوانات الغابات كلّها أمامي.»

١٩ ـ ... والأُسود والفهود

كذلك، كانت الأُسود والفهود تسجد له، وكانت ترافقه في الصحراء. وحيثما كانت مريم ويوسف يمضيان، كانت تتقدّمهما، دالَّةً إياهما إلى الدرب، وكانت تسجد ليسوع، خافضةً رؤوسها. وأول مرة رأت مريم الأُسود والحيوانات المتوحّشة آتية إليها، أُصيبت بذعرٍ عظيمٍ. فقال لها يسوع، ناظراً إليها بمظهرٍ مرحٍ: «لا تخشي شيئاً، يا أُمي، فليس من أجل إخافتك، بل من أجل تكريمك تأتي نحوك.» ،وإذ قال ذلك، بدَّد كلّ خشية من قلبهما. وكانت الأُسود تسير معهم ومع الثيران، والحمير والدوابِّ الأخرى التي كانت ضرورية لهم، ولم تكن ترتكب أي سوء، وكانت تظل كذلك، ملأى وداعةً، وسط النعاج والكباش التي جلبها يوسف ومريم معهما من اليهودية. وكانوا يسيرون وسط الذئاب، ولم يكونوا يشعرون بأي ذعر، وما من أحد كان يعاني أي سوء. إذاك تمَّ ما قاله النبي: «الذئاب تكون في مراعي الخراف نفسها، والأسد والثور يتقاسمان الطعام نفسه.» وكان معهم ثوران وعربة، تُحمَل فيها الحاجيات الضرورية.

٢٠ ـ النخلة تنحني لمريم

وحدث ان في اليوم الثالث من المسير، تعبت مريم في الصحراء بسبب حدّة الشمس البالغة الشدَّة. فقالت ليوسف، وقد رأت شجرة: «

١ ـ مريم: ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦.

لنرتَحْ قليلاً في ظلِّها.» فسارع يوسف إلى اقتيادها إلى جوار الشجرة، وأنزلها عن دابَّتها، وألقت مريم نظرها على رأس النخلة، وقد جلست، وإذ رأته مكسواً ثمراً، قالت ليوسف: «ارغب، إذا كان ذلك ممكناً، في الحصول على إحدى تلك الثمار.» فقال لها يوسف: «استغرب كيف يمكنك الكلام هكذا، حين ترين كم سعف هذه النخلة عالية. أما أنا، فقلق جداً بسبب الماء، فلم يَعُدْ هناك منه في قرابنا، ولا نملك وسائل ملئها مجدداً والارتواء.» عندها قال الطفل يسوع الذي كان في ذراعَي العذراء مريم، أُمه، للنخلة: «أيتها الشجرة، إحني سعفك، وأطعمي أُمي من ثمارك.» فحنت النخلة على الفور، لصوته، رأسها حتى قدمَي مريم، وأمكَن قطف الثمار التي كانت تحملها، وأكلوا منها كلّهم. وظلّت النخلة منحنيةً، منتظرةً، لتنهض، أمر الذي لصوته انخفضت. عندها قال لها يسوع: «إنهضي، ايتها النخلة، وكوني رفيقة أشجاري التي في جنَّة أبي. وليتفجَّرْ من جذورك نبع مخبوؤ في الأرض وليزوِّدْنا بالماء الضروري لإرواء عطشنا.» وعلى الفور نهضت الشجرة، وبدأت تتفجَّر من بين جذورها ينابيع ماء صافٍ جداً ومنعش جداً وذي لطافة شديدة. وكلّهم، إذ رأَوا تلك الينابيع، امتلأوا فرحاً، وارتوَوا مسبِّحين الله، وأسكنت الحيوانات أيضاً عطشها.

٢١ ـ سعفة النصر

وفي الغد، رحلوا، وفي اللحظة التي استأنفوا فيها طريقهم، التفت يسوع نحو النخلة، وقال: «لقد قلت لكِ ذلك، أيتها النخلة، انني آمر بأن تُنقَل إحدى سعفك بواسطة ملائكتي وأن تُزرَع في جنَّة أبي.

ولأُكافئك، أُريد أن يُقال لكل الذين ينتصرون في القتال من أجل الإيمان: «لقد استحققتم سعفة النصر.» وفيما كان يتكلّم هكذا، إذا بملاك الربّ ظهر، واقفاً على النخلة، وأخذ إحدى السُّعف، وطار عبر وسط السماء، ممسكاً بتلك السُّعفة بيده. ولبث الحضور، وقد رأوا ذلك، كما مصعوقين ذهولاً. عندها كلّمهم يسوع، قائلاً: «لِمَ يستسلم قلبكم للخشية؟ ألا تعلمون ان هذه السُّعفة التي أمرت بنقلها إلى الجنَّة ستكون لكلّ القديسين في دار نعيم، كالتي أُعِدَّت لكم في هذه الصحراء؟»

٢٢ ـ يسوع يطمئن يوسف

وفيما كانوا يسيرون، قال له يوسف: «يا ربّ، ان علينا معاناة حرارة قصوى؛ أرجوك، سنسلك طريق البحر لنتمكَّن من الراحة بعبورنا المدن التي على الساحل.» فقال له يسوع: «لا تخشَ شيئاً، يا يوسف؛ سوف تقوم في يوم بما لا يستطيع آخرون إتمامه إلا في ثلاثين يوماً.» وفيما كان لا يزال يتكلَّم، لمحوا جبال مصر ومدنها، فدخلوا ملؤهم الفرح، مدينةً تُدعى سوتين[1]. وبما أنهم لم يكونوا يعرفون أحداً يمكنهم التماس الضيافة لديه، دخلوا هيكلاً كان سكان تلك المدينة يدعونه الكابيتول، وحيث كانت تُقَدَّم كلّ يوم، ذبائح إكراماً للأوثان الثلاثمئة والخمسة والستين.

٢٣ ـ سقوط الأوثان

وحدث ان الطوباوية مريم، مع طفلها، عندما دخلت الهيكل، سقطت الأوثان كلّها على وجهها أرضاً، ولبثت مدمَّرة ومحطَّمة. وهكذا تمَّ ما

١ ـ مدينة مجهولة في مصر. يقول سوزومينوس إنها هِرْموپوليس.

قاله النبي أشعيا: «ها ان الربّ يأتي على سحابة، وكلّ الأعمال صنيعة المصريين ترتجف لمرآه.»

٢٤ ــ العودة إلى بلاد يهوذا

وعندما علم ذلك أفروديسيوس، حاكم تلك المدينة، قَدِمَ إلى الهيكل مع كلّ جنده وكلّ ضباطه. وحين رأى كهنة الهيكل أفروديسيوس مقترباً مع كلّ جنده، ظنوا بأنه قادم للانتقام منهم، لأن صور الآلهة انقلبت. وحين دخل الهيكل ورأى كلّ التماثيل منقلبةً على وجهها ومتحطِّمة، اقترب من مريم، وسجد للطفل الذي كانت تحمله بين ذراعَيها. وعندما سجد له، وجَّه الكلام إلى كلّ جنوده ورفاقه، وقال: «لو لم يكن هذا الطفل إلهاً، لما سقطت آلهتنا على وجهها في حضرته، ولما سجدت أمامه؛ انها تعترف به هكذا رباً لها. وإذا لم نصنع ما رأيناه صُنِعَ لآلهتنا، نجازف بالتعرُّض لسخطه وغضبه، ونقع كلّنا في خطر الموت، كما حدث للملك فرعون الذي احتقر تحذيرات الربّ.» وبعد وقتٍ قليلٍ، قال الملاك ليوسف: «عُدْ إلى بلاد يهوذا، لأن الذين كانوا يبحثون عن الطفل ليُهلِكوه ماتوا.»

٢٥ ــ إحياء سمكة

وأتمَّ يسوع عامه الثالث. وفيما رأى أطفالاً يلعبون، أخذ يلعب معهم؛ وإذ تناول سمكة مجَفَّفة مُشبَعة ملحاً، وضعها في حوض مليء بالماء، وأمرها بان تختلج، فبدأت السمكة تختلج. وقال يسوع للسمكة، مخاطباً إياها ثانيةً: «إطرحي الملح الذي فيك وتحركي في الماء.» فحصل الأمر هكذا. وإذ رأى الجيران ماذا يحدث، أنبأوا به الأرملة

التي كانت تسكن مريم في بيتها. وحين علمت بهذه الأمور، طردتهم على عجل من بيتها.

٢٦ ــ الويل لابن إبليس

وحدث ان يسوع بعد عودته من مصر، حين كان في الجليل، في بداية عامه الرابع، كان يلعب يوم سبت، مع أطفال، عند ضفة الأردن. وإذ جلس يسوع، صنع سبع بحيرات صغيرة بالوحل وإذ صنع لكلٍّ منها أقنية صغيرة، كان ماء النهر يأتيها بحسب أمره ويتراجع. عندئذ أقفل أحد الأطفال، وهو ابن للشيطان، تدفعه الغيرة، المخرج الذي كان يمرُّ الماء عبره ودمَّر ما صنعه يسوع. فقال له يسوع: «الويل لك! يا ابن الموت، يا ابن إبليس. تجرؤ على تدمير العمل الذي صنعته!» وعلى الفور مات الذي فعل ذلك. إذاك رفع أهل الميت الصوت بضوضاء ضد مريم ويوسف، قائلين: «ان ابنكما لعن ابننا وقد مات.» وعندما سمع يوسف ومريم ذلك، أتيا على الفور نحو يسوع بسبب شكاوى الأهل وجمهور اليهود الذين كانوا يتجمَّعون. لكن يوسف قال سراً لمريم: «لا أجرؤ على مخاطبته، إنما حذِّريه انتِ وقولي: لِمَ أثرت ضدنا حقد الشعب، ولِمَ نحن معرَّضون لغضب الناس المزعج؟» وعندما جاءت أُمه إليه، رجته، قائلةً: «يا سيِّدي، ماذا فعل الذي مات لتنتهي حياته هكذا؟» لكنه أجاب: «كان مستحقاً الموت لأنه دمَّر الأعمال التي صنعتها.» وكانت أُمه ترجوه، قائلةً: «لا تتألَّم، يا سيِّدي، لان الشعب يحتجُّ علينا.» أما هو، فضرب بقدمه اليمنى خاصرتَي الميت، رافضاً ان يُحزِنَ أُمه، وقال له: «إنهَضْ، يا ابن الإثم، أنتَ لا تستأهل دخول راحة أبي، لأنك دمَّرت الأعمال التي صنعتها.» إذاك نهض الذي كان

ميتاً ومضى. لكن يسوع، بموجب قدرته، كان يُجري المياه إلى البحيرات الصغيرة عبر الأقنية التي صنعها.

٢٧[١] ـ يسوع يخلق عصافير

وحدث، بعدما رأى الشعب كلّ هذه الأمور، ان يسوع أخذ وحلاً من البحيرات الصغيرة التي صنعها وصنع منه اثني عشر دورياً. وكان يوم سبت عندما فعل يسوع ذلك، وكان معه أطفال كثر. وعندما رأى أحد أطفال اليهود ماذا كان يفعل، قال ليوسف: «يا يوسف، ألا ترى الطفل يسوع يفعل يوم السبت ما لا يُسمَح بفعله؟ فقد صنع اثني عشر دورياً من الوحل.» فوبَّخ يوسف يسوع، وقد سمع ذلك، قائلاً: «لِمَ تفعل يوم السبت ما لا يُسمَح بفعله؟» لكن يسوع، إذ سمع يوسف، صفَّق بيدَيه وقال لدوريِّيه: «طيري.» وتبعاً للأمر الذي أعطاه، بدأت بالطيران. وفي حضور جمهور كبير كان يراه ويسمعه، قال للعصافير: «هيّا وطيري في الأرض والعالم بأسره، وعيشي!» فصُعِق الحضور كلّهم، وقد رأَوا آيات كهذه، إعجاباً وذهولاً. وكان البعض يمتدحونه ويعجبون به؛ وآخرون يلومونه. وقصد البعض أمراء الكهنة ورؤساء الفريسيين، وبلَّغوهم ان يسوع، ابن يوسف، كان يفعل، في حضور شعب إسرائيل كلّه، معجزات كبرى وآيات. وبُلِّغ ذلك في أسباط إسرائيل الاثني عشر.

٢٨ ـ تيبُّس ابن حنانيا

ودمَّر ابن حنانيا، كاهن الهيكل، الذي كان قرب يوسف، حاملاً عوداً بيده، في حضور الشعب كلّه، وبحركة غضب عظيمة جداً،

---

١ ـ آل عمران: ٤٩.

البحيرات الصغيرة التي صنعها يسوع بيدَيه، وأراق الماء الذي جذبه يسوع من مجرى الأُردن. لأنه أقفل ثم دمَّر القناة التي كان الماء يأتي عبرها. وعندما رأى يسوع ذلك، قال للطفل الذي دمَّر ما فعله: «يا بذار الإثم البغيض، يا ابن الموت، يا خادم الشيطان، حقاً سوف تكون ثمرة بذارك بلا نشاط، وجذورك بلا عافية، وسوف تكون بذورك جافة، لا تعطي ثماراً.» وعلى الفور، وفي حضور الشعب كلّه، يبس الطفل ومات.

٢٩ ــ عودة الروح إلى طفل

ثم خاف يوسف، ولازم يسوع، وكان يذهب معه إلى بيته، وأُمه معهما. وإذا فجأةً بطفل، خادم إثم، مسرعاً للقائهما، ارتمى على كتف يسوع، راغباً في شتمه وإيذائه إذا استطاع ذلك. لكن يسوع قال له: «لن تعود سليماً معافى من الطريق التي تعبرها. وعلى الفور ركض الطفل قليلاً ومات. وأطلق أهل الميت، وقد رأَوا ما حدث، صيحات، قائلين: «من أين وُلِدِ هذا الطفل؟ من الواضح ان كلّ كلمة يقولها لا مفرَّ منها، وغالباً ما تتمّ قبل ان يتلفّظ بها.» وجاء أهل الطفل الميت نحو يوسف وقالوا له: «أخرِجْ يسوع من هذا الموضع، فلا يمكنه أن يسكن معنا في هذه القرية. أو علِّمْه ان يبارك لا أن يلعن.» وجاء يوسف إذاً نحو يسوع وحذَّره، قائلاً: «لِمَ تفعل أُموراً كهذه؟ ان قوماً كثيرين يتذمَّرون منك ويحقدون علينا، بسببك، ونحن نعاني، بسببك، إزعاجات الناس.» فقال يسوع مجيباً يوسف: «ما من ابنٍ عاقلٍ سوى الذي ربّاه أبوه تبعاً لعلم هذا الزمن، ولعنة أبيه لا تؤذي أحداً، سوى الذين يرتكبون الإثم.» عندها تألَّب الجميع على يسوع، وشكَوه إلى يوسف. وعندما رأى يوسف ذلك، تملَّكته خشية عظيمة، خائفاً ان يثور

شعب اسرائيل ويستخدم العنف. وفي الوقت نفسه، أمسك يسوع الطفل الميت بأُذنه ورفعه عن الأرض في حضور الشعب كلّه، الذي رأى يسوع يتحدَّث إليه كما أبٌ إلى ابنه. فعادت روح الطفل إليه، ورجع إلى الحياة. وكلّهم صُعِقوا دهشةً.

٣٠ ــ يسوع قبل الشريعة

وسمع معلِّم بين اليهود، اسمه زكّا يسوع يتلفَّظ بتلك الكلمات وإذ رأى الأمور التي كان يفعلها حزن وبدأ يتكلّم بجرأة، من دون تعقُّل ومن دون تحفُّظ في حق يوسف، وكان يقول له: «ألا تريد أن تعهد إليَّ بابنك ليتهذَّب في العلم الإنساني ومخافة الله؟ لكنني أعلم أنكَ ومريم لديكما من المحبة له أكثر من الاعتبار لرأي قدامى الشعب. كان ينبغي إجلالنا أكثر، نحن كهنة كنيسة إسرائيل كلّها، لتكون له مع الأطفال محبة متبادلة ويتهذَّب بيننا في العقيدة اليهودية.» فأجابه يوسف: «ومَنْ يستطيع الإمساك بهذا الطفل وتهذيبه؟ إذا كنت تستطيع الإمساك به وتهذيبه، فلن نحول أبداً دون أن تعلِّمه ما يدرسه الجميع.» وإذ سمع يسوع ما قاله زكّا، أجابه وقال: «على الذين هم مهذَّبون بحسب نظام البشر أن يتقيَّدوا بمبادىء الشريعة التي تحدّثتَ عنها الآن وكلّ ما أشرت إليه، لكنني غريب عن شرائعكم، فليس لي قريب بشري. أنتَ الذي تقرأ الشريعة وتعرفها، تظل في الشريعة؛ أما أنا، فقد كنتُ قبل الشريعة. إنما على رغم اعتقادك بأن لا مثيل لكَ في العلم، سوف تتهذّب على يدي، فما من أحد آخر يستطيع أن يعلِّم، اللهم إلا الأمور التي تحدّثت عنها فقط. وحده مَنْ هو أهلٌ لإعطاء هذا التهذيب يستطيع أن يقوم به. حين أُرَبَّى على الأرض، أُوقف كلّ إشارةٍ إلى اصلك. أنتَ تجهل متى وُلِدْتَ؛ أنا وحدي أعرف متى وُلِدْتَ وما

هي مدة حياتك على الأرض.» عندها صعقت المفاجأة كلّ الذين سمعوا هذه الكلمات وصاحوا، قائلين: «أُوه! أُوه! هوذا سرٌّ عظيم وباهر حقاً. اننا لم نسمع أبداً شيئاً مماثلاً. ما من شيء مشابه قاله آخر، لا الأنبياء، ولا الفريسيون، ولا النحويون؛ انه كلام خارق. اننا نعلم من أين وُلِدَ هذا الطفل، ويكاد لا يبلغ الخامسة من العمر، فكيف يتلفَّظ بكلمات كهذه؟» وأجاب الفريسيون: «اننا لم نسمع أبداً طفلاً بهذا الصِّغَر يتلفَّظ بكلمات كهذه.» فقال يسوع، مجيباً إياهم: «أنتم مندهشون لأن طفلاً يقول أشياء كهذه. لِمَ إذاً لا تؤمنون بي لما قلته لكم؟ ولأنني قلت لكم انني أعلم متى وُلِدْتم، أنتم مندهشون كلكم. انني سأقول لكم أشياء أوسع لتزيد مفاجأتكم. لقد رأيت إبراهيم، الذي تقولون انه أبوكم، وكلَّمتُه، ورآني.» وكل المستمعين صمتوا، وما من أحد منهم كان يجرؤ على المبادرة إلى الكلام. وقال لهم يسوع: «كنت بينكم مع أطفال، ولم تعرفوني. وكلَّمتكم كما قوماً عاقلين ولم تُدركِوا صوتي، لأنكم دوني، وقليلو الإيمان.»

٣١ ـــ دهشة المعلِّم لاوي

وقال زكّا، استاذ الشريعة، ليوسف ومريم: «أعطياني هذا الطفل، وسوف أعهد به إلى المعلِّم لاوي، الذي يدرِّسه الأحرف ويهذِّبه.» عندها ملاطفَين يسوع، قاده يوسف ومريم إلى المدرسة حيث كان العجوز لاوي يعلِّم الأحرف. وحين دخل يسوع، لزم الصمت. وكان المعلِّم لاوي يشير إلى يسوع بحرف، وبادئاً بالحرف الأول ألِف، كان يقول له: «أَجِبْ.» لكن يسوع كان يصمت ولا يُدلي بأي جواب. عندها تناول لاوي عوداً، غاضباً، وضربه على رأسه. فقال له يسوع: «لِمَ تضربني؟

إعلَمْ، في الحقيقة، ان المضروب يعلِّم مَنْ يضربه أكثر مما يتعلَّم منه. انني أستطيع تعليمك الاشياء التي تعرِضها بنفسك، لكن كلّ الذين يقولون ويسمعون هم عميان؛ انهم كالفولاذ الطنّان أو كصنج مُهْتَزٍّ لا يُدركان ما معنى الصوت الصادر عنهما.» وقال يسوع لزكّا: «كلّ حرفٍ، من الألِف حتى الطيت، يتميَّز بترتيبه. قُلْ أوّلاً ما هي الطيت، فأقول لكَ ما هي الألِف.» وقال لهم يسوع أيضاً: «أيها الخبثاء، كيف يستطيع الذين لا يعرفون الألِف أن يقولوا ما هي الطيت؟ قولوا أولاً ما هي الألِف، فأصدّقكم عندئذٍ حين تقولون بيْت.» وبدأ يسوع يسأل عن اسم الأحرف المختلفة وقال: «ليقُلْ معلِّم الشريعة ما هو الحرف الأول، ولِمَ يحتوي مثلَّثات عدة.»

وعندما سمعه لاوي يتكلَّم هكذا، صعقته الدهشة. وقال للحضور كلّهم: «أَعلى هذا الطفل أن يعيش على الأرض؟ إنه يستحق أن يُعَلَّق على صليب عظيم، لأنه يستطيع إطفاء نار السماء. اعتقد بأنه كان قبل الكارثة الكبرى، وأنه كان مولوداً قبل الطوفان. ما هو البطن الذي حمله والأُم التي ولدته؟ أو ما هما الثديان اللذان أرضعاه؟ انني أهرب أمامه، لأنني لا أستطيع الصمود أمام الكلمة التي تخرج من فمه؛ لكن قلبي يصعقه الذهول وأنا أسمع كلاماً كهذا. لا أظنُّ بأن أي انسان يستطيع فهم كلمته إلا إذا كان الله معه.»

٣٢ ـ شفاء طفل

وعندما كان يسوع في الثانية عشرة من عمره، كان أحد أطفال القرية حيث كان يقيم مع أبوَيه ينشر حطباً، وحين كان ينشره، قطع أصابع قدمه اليمنى كلّها. وإذ هرع الجيران حشداً نحوه، جاء يسوع؛

ودهن قدمه، فشفي المريض على الفور، ولم يبقَ أي أثر على قدمه. وقال له يسوع: «إنهَضْ وانشُرْ حطباً، واذكرني.» وإذ رأى الحشد المعجزة التي صنعها يسوع، سجد له وهو يقول: «اننا نؤمن حقاً بأنه المسيح.»

٣٣ ـ يسوع يجمع قطع الجرَّة

وإذ ارسلت الطوباوية مريم خادمتها لتملأ جرَّة ماء، وبما أن حشداً من النساء كان قرب النبع، انكسرت الجرَّة وسط هياج الحشد. عندها توجَّه يسوع إلى النبع؛ وملأ رداءه ماءً وحمله إلى أُمه. ومن ثمَّ، متناولاً قِطَعَ الجرَّة، جمعها معاً ولحمها بكلمته بحيث لم يكن يُرى أي أثر كسر. عندها قبَّلت الطوباوية مريم يسوع وهي تقول: «مباركٌ الله الذي أعطانا ابناً كهذا!»

٣٤ ـ معجزة القمح

وذات يوم قصد حقلاً وحمل إليه قليلاً من القمح الذي أخذه من مخزن أُمه، وبذره. ونبت القمح ونما، وتكاثر جداً. وحدث أن يسوع حصده بعد ذلك، وجنى منه ثلاثة أمداد، ووهب منه الكثير.

٣٥ ـ يسوع يروِّض الأُسود

ثمة طريق تخرج من أريحا وتمضي إلى نهر الأُردن، وكان يسلكها أبناء إسرائيل؛ وهناك يُقال ان تابوت العهد وُضع. وكان يسوع في الثامنة من عمره، وقد خرج من أريحا ومضى نحو الأُردن. وكانت إلى جانب الطريق مغارة قرب الأُردن حيث كانت لبوة تُرضع صغارها،

وما من أحد يستطيع سلوك تلك الطريق من دون خطر. وإذ قَدِمَ يسوع من أريحا عالماً بأن اللبوة وضعت صغارها في تلك المغارة، دخلها على مرأى من الجميع. وحين رأت الأُسود يسوع، ركضت إليه وسجدت له. وكان يسوع جالساً في المغارة، والأشبال تتدحرج عند قدمَيه، لاعبةً ومداعبةً إياه. وكان الشعب الواقف بعيداً، غير مُبْصِرٍ يسوع، يقول: «لو لم يكن قد ارتكب أخطاء عظيمة، هو أو أبواه، لما أُسلم للأُسود. وحين كان الشعب منشغلاً بهذه الأفكار ويتملَّكه الألم، إذا بيسوع يخرج فجأةً من المغارة، والأُسود تتقدَّمه، والأشبال الصغيرة تلعب عند قدمَيه. وكان أبوا يسوع، خافضَي الرأس، يقفان بعيداً، مراقبَين ما كان يحدث؛ وكان الشعب يقف كذلك بعيداً بسبب الأُسود ولم يكن يجرؤ على الإنضمام إليهما. عندها بدأ يسوع يقول للشعب: «كم الحيوانات المفترسة أفضل منكم! انها تعرف سيِّدها وتمجِّده، وأنتم تتنكَّرون له، أنتم البشر المخلوقون على صورة الله ومثاله! ان الحيوانات تتعرَّف إليَّ وتلين؛ والبشر يرونني ولا يعرفونني.»

٣٦ ــ إنفصال ماء الأُردن

ثم جاز يسوع الأُردن مع الأُسود في حضور الشعب كلّه، فانفصل ماء الأُردن عن يمينه وعن يساره. وعندها قال للأُسود، بحيث كانت كلماته مسموعة من الجميع: «إذهبي بسلامٍ ولا تؤذي أحداً؛ إنما لا يؤذينَّكِ أي إنسان حتى تكوني قد عُدْتِ إلى الموضع الذي خرجت منه.» وعادت الأُسود إلى مأواها، مسبِّحةً إياه ليس بصيحاتها فقط، بل أيضاً بوقفة أجسادها، ورجع يسوع نحو أُمه.

٣٧ ـ معجزة الخشب

وكان يوسف نجاراً وكان يشتغل الخشب، صانعاً أنياراً للثيران ومحاريث وأدوات خاصة بزراعة الأراضي، وأسرَّةً خشبيَّةً؛ وحدث ان شاباً طلب منه يوماً سريراً طوله ستة أذرُع. فأمر يوسف صبياً بقطع خشبٍ بمنشار حديدي بحسب القياس الذي أُرسِل إليه، فلم يتقيَّد هذا الأخير بالتوصية التي أُعطيت له، بل صنع أحد الخشبتَين أقصر من الأخرى. وبدأ يوسف يضطرب ويفكِّر بما عليه أن يفعله في هذا الصدد. وحين رآه يسوع يتصبَّب عرقاً على أثر قلقه، تحدَّث إليه لتعزيته وقال له: «تعال، لنأخُذْ طرفَي قطعَتي الخشب ولنضَعْهما إلى جانب بعضهما بعضاً، ولنسحَبْهما نحونا؛ فنستطيع هكذا جعلهما متساويتَين.» فأطاع يوسف هذه النصيحة، لأنه كان يعلم أن يسوع كان يستطيع أن يفعل كلّ ما يريد. وتناول قطعتَي الخشب من طرفٍ وركَّزهما إلى جدار، وأطال يسوع قطعة الخشب الأقصر، جاذباً إياها من الجهة الأخرى، وجعلها مساويةً للأطول. وقال ليوسف: «إذهَبْ واعمَلْ واصنَعْ ما وعدتَ بإنجازه.» فصنع يوسف ما وعد به.

٣٨ ـ موت المعلِّم

وسأل الشعب يوسف ومريم إرسال يسوع ليدرس الأحرف في المدرسة. فلم يرفضا القيام بذلك، وتبعاً لنصيحة الشيوخ، قاداه إلى معلِّم، ليهذِّبه في العلم الإنساني. وعندها بدأ المعلِّم تعليمه بطريقة متصلِّفة، قائلاً له: «قُلْ ألْفا.» فقال له يسوع: «قُلْ لي أولاً ما هي بِيْتا، فأقول لك من بعد ما هي ألْفا.» فضرب المعلِّم يسوع، غاضباً، وما ان ضربه، حتى مات.

وعاد يسوع إلى البيت إلى أُمه. ونادى يوسف مريم مرتعشاً وقال لها: «إعلمي ان نفسي حزينة حتى الموت بسبب هذا الطفل. فمن الممكن ان يضرب أحدهم هذا الطفل بخبث ويموت.» فقالت مريم، مجيبةً يوسف: «يا رجل الله لا تصدِّقْ ان ذلك يمكن ان يحدث. صدِّقْ بالأحرى بثقةٍ ان الذي أرسله ليولَد بين البشر يصونه من كلّ خبث، ويحفظه باسمه في منأى من الشر.»

٣٩ ـ سجود معلِّم آخر

ثم سأل اليهود مريم ويوسف اصطحاب الطفل بملاطفاتهما إلى معلِّم آخر ليتهذَّب. فقاده يوسف ومريم ثانيةً إلي المدرسة، خائفَين من الشعب، ووقاحة الأمراء، وتهديدات الكهنة، عالمَين انه لا يستطيع ان يتعلّم شيئاً من إنسان طالما أنه أخذ عن الله وحده العلم الكامل. وعندما دخل يسوع المدرسة، يقوده الروح القدس، تناول الكتاب من يد المعلِّم الذي كان يدرِّس الشريعة، وأمام الشعب كلّه الذي كان يراه ويسمعه، وأخذ يقرأ، لا ما كان مكتوباً في الكتاب، بل كان يتكلّم بروح الله الحي كأن سيلاً من الماء كان يخرج من نبع جارٍ وكأن النبع كان يظل مملوءاً ابداً. وكان يعلِّم الشعب هكذا عظمة ألله الحي، فخرَّ المعلِّم أرضاً وسجد له. وكانت جماعة الشعب الحاضرة والتي كانت تسمعه يتكلّم هكذا، مذهولة. وعندما علم يوسف بذلك، جاء راكضاً نحو يسوع، خائفاً أن يموت المعلّم. وإذ رآه المعلِّم قال له: «لم تُعطِني تلميذاً بل معلِّماً، فمَنْ يستطيع الصمود أمام كلامه؟» عندها تمَّ ما قاله صاحب المزامير: «ان نهر الله امتلأ ماءً. لقد هيَّأتَ طعامهم، فهكذا هي تهيئته.»

٤٠ ـ قيامة يوسف الغني

ثم مضى يوسف مع مريم ويسوع ليقصدوا كفرناحوم، المدينة البحرية، مبتعدين هكذا بسبب خبث الناس الذين كانوا أعداءه. وحين كان يسوع يسكن في كفرناحوم، كان في هذه المدينة رجل اسمه يوسف كان غنياً جداً. لكنه رزح تحت وطأة مرضٍ، وكان ممدَّداً ميتاً على سريره. فقال يسوع ليوسف، وقد سمع في المدينة قوماً يبكون ويُطلِقون صيحات عظيمة على أثر الحزن الذي كان يسبِّبه لهم ذلك الموت: «لِمَ لا تُنجِد بعطفك مَنْ يحمل اسمك نفسه؟» فأجاب يوسف: «أي قدرة لي وأي إمكانات أملك لأُقدِّم له خدمةً كهذه؟»

وقال يسوع: «خُذِ الكفن الذي فوق رأسك، وامضِ، وضَعْه على وجه الميت، وقُلْ له: ليمجِّدْكَ المسيح! وعلى الفور يشفى، وينهض من فوق سريره.» وإذ سمع يوسف هذه الكلمات، مضى راكضاً ينفِّذ أوامر يسوع، ودخل منزل الميت، ووضع على وجهه الكفن الذي كان يضعه عل رأسه، وقال للميت الذي كان يرقد على سريره: «ليمجِّدْكَ يسوع!» وعلى الفور نهض الميت من فوق سريره، وكان يبحث عمَّنْ كان يسوع.

٤١ ـ شفاء يعقوب

وخرجوا من كفرناحوم ليذهبوا إلى مدينة تُدعى بيت لحم، وكان يوسف في بيته مع مريم، ويسوع كان معهما. وذات يوم نادى يوسف إليه ابنه البكر، يعقوب، وأرسله إلى بستان الخضار لجمع خضار من أجل صنع حساء. وتبع يسوع أخاه يعقوب إلى البستان، ولم يكن يوسف ومريم يعلمان بذلك. وفيما كان يعقوب يجمع خضاراً، خرجت أفعى فجأةً من جحرها ولسعت يد يعقوب، فأخذ يصرخ على أثر الألم

العظيم الذي كان يشعر به. وكان يقول بصوت ملؤه المرارة، وهو على وشك الغشيان: «وا أسفاه! وا أسفاه! ان أفعى خبيثة جداً جرحتني في يدي.» فهرع يسوع الذي كان في جهة أخرى نحو يعقوب، وقد سمع شكواه، وأمسك بيده، ولم يفعل شيئاً آخر سوى انه نفخ في يد يعقوب وأنعشها. وعلى الفور شفي يعقوب، وماتت الأفعى. وكان يوسف ومريم يجهلان ما حصل، لذا ركضا إلى البستان، وقد سمعا صوت يعقوب وبأمرٍ من يسوع، فوجدا الأفعى ميتة ويعقوب معافىً تماماً.

٤٢ ــ يسوع الأوّل إلى المائدة

وعندما كان يوسف يأتي لتناول وجباته مع أبنائه يعقوب، ويوسف، ويوحنا، وسمعان وابنتَيه، كان يسوع ومريم أُمه يجتمعان مع أُختها مريم، ابنة كليوفاس، التي اعطاها الربّ الإله لأبيها كليوفاس ولحنة، أُمها، لأنهما قدَّما للربّ مريم، أُم يسوع. ومريم هذه دُعيت باسم مريم نفسه لتقوم مقام تعزية لأبويها. وعندما كانوا يجتمعون، كان يسوع يقدِّسهم ويباركهم، وكان يبدأ أولاً الأكل والشرب. ولم يكن أيٌّ منهم يجرؤ على الأكل، والشرب، والجلوس إلى المائدة، وكسر الخبز، إلى أن يكون قد فعل أولاً هذه الأمور، مقدِّساً إياهم. وإذا كان غائباً صدفةً، كانوا ينتظرون إلى أن يكون قد فعل ذلك. وحين لا يريد المشاركة في الطعام، لم يكن يوسف، ومريم، وإخوته أبناء يوسف يشاركون فيه. وكان إخوته وحياته أمام أعينهم كمشاعل، يراقبونه ويخشَونه. وحين كان يسوع ينام، سواء نهاراً، وسواء خلال الليل، كان نور الله يسطع عليه. له كلّ تسبيح ومجد إلى أبد الآبدين! آمين، آمين.

في مخطوط المكتبة اللورنسية، يستمر النص في الشكل التالي: «لأنهم كانوا يسمِّرون أعينهم بيسوع باعتباره النور، وكانوا يحترمونه، وكانوا يخشَونه؛ وكان يباركهم ويقدِّسهم، ونور الله يشعُّ عليه. ولم يكن يجرؤ أحد منهم على الجلوس إلى المائدة قبل ان يباركه يسوع، وما من أحد كان يبدأ مسَّ الخبز حتى يباركه يسوع ويكسره. وإذا صَدَفَ ان كان غائباً، كانوا ينتظرون أن يأتي، وكان يأتي ليشارك في طعامهم.

هذا ما شهده بيته. والرسول والإنجيلي القديس يوحنا كتب بيده هذا الكتاب الصغير المكتوب بأحرف عبرية، وإِيرونيموس، ذلك العلاّمة الشهير، نقله من العبرية إلى اللاتينية.

إنجيل مولد مريم

هذا الإنجيل كُتِبَ نحو العام ٨٠٠م. يستمد معظم معلوماته من منحول متى. النص مختصَر، منزَّه من تأثير الهرطقات التي تحتويها كتابات استوحاها. تأثيره كبير في التعبُّد للعذراء. يوجد منه نحو ثلاثمئة وثلاثين مخطوطاً.

١ ـ يواكيم وحنة

ان الطوباوية والمعظَّمة مريم الدائمة البتوليّة، من سلالة داوود الملكية ومن عائلته، وُلِدت في مدينة الناصرة، وربيت في أُورشليم، في هيكل الربّ. وكان أبوها يُسَمَّى يواكيم وأُمها، حنة. وكانت عائلة أبيها من الجليل ومن مدينة الناصرة؛ وعائلة أُمها من بيت لحم[١]. وكانت حياتهما بسيطة وبارَّة امام الربّ؛ ورعة ولا عيب فيها أمام الناس، فبما انهما قسما دخلهما كلّه ثلاثة اقسام، كانا يُنفِقان الأول على الهيكل، والثاني، يوزِّعانه على الحجَّاج والفقراء، ويحتفظان بالثالث لحاجاتهما وحاجات عائلتهما. وهكذا مضى نحو عشرين عاماً وهما يعيشان في بيتهما، أثيرَين عند الله والناس، في زواج عفيف[٢] من دون ان يُرزَقا اولاداً. وقد نذرا، اذا وهبهما الله واحداً، ان يكرِّساه لخدمة

١ ـ المعلومات المكانية من إنجيل لوقا.

٢ ـ المقصود حياة زوجية منزَّهة من الشبق الجنسي.

الربّ، وعلى هذه النية اعتادا في كل عيد من العام التوجُّه إلى هيكل الربّ.

٢ ـ التجريح بيواكيم

والحال هذه، حدث ان يواكيم صعد إلى أُورشليم مع بعضٍ من سبطه، وقد اقترب عيد التكريس[١]. وكان إيساشار، آنذاك، كاهناً اعظم. وعندما لمح يواكيم بين الآخرين حاملاً تقدمته، أبعده واحتقر هباته، سائلاً إياه كيف له الجسارة، وهو عاقر، على الظهور امام مَنْ ليسوا كذلك، وقائلاً ان هباته لا يمكنها ان تكون مَرْضِيَّة عند الله، طالما ان الله قضى بانه غير جدير بان يُرزَق أولاداً؛ والتوراة تُثبِت: **ملعون مَنْ لم يلد ذكراً في إسرائيل**[٢]؛ وقال ان ما على يواكيم إلا أن يبدأ أولاً بالاغتسال من وصمة تلك اللعنة بان يُرزَق ولداً، وانه يستطيع من ثمّ المثول امام الربّ مع تقدماته. فاعتزل يواكيم إلى جوار الرعاة الذين كانوا مع قطعانه في مراعيه، يملأه الارتباك لهذا التجريح المهين؛ لانه لم يُرِد العودة إلى بيته، خوفاً من ان يُذِلَّه افراد سبطه الذين كانوا معه بالتجريح نفسه الذي سمعه من فم الكاهن.

٣ ـ بشارة يواكيم

والحال هذه بعدما مرَّ بعض الوقت، ظهر له ملاك الربّ بنور عظيم، ذات يوم كان وحده. وإذ أقلقته هذه الرؤيا، سكَّن الملاك خوفه، قائلاً له: « لا تَخَفْ، يا يواكيم، ولا تقلق في حضوري؛ فأنا ملاك الربّ؛ وقد

١ ـ التكريس الثاني للهيكل. كان يقع في الشتاء.

٢ ـ العبارة غير واردة في التوراة. ذكرها أُريجانوس للمرة الأولى، ثم وردت لدى الآباء اللاتين، ولا سيما إيرونيموس وأُوغسطينوس.

ارسلني اليك لأُبشّرك بان صلواتك استُجيبت، وان صَدَقاتك صعدت حتى عرشه. فقد رأى خجلك، وسمع التجريح بالعقم الذي وُجِّه اليك ظلماً. والحال هذه، ان الله يعاقب الخطيئة لا الطبيعة؛ لذا عندما يجعل احداً ما عاقراً، فليس ذلك إلا لتبيان آياته من بَعْدُ وإظهار ان الطفل المولود هبة من الله، وليس ثمرة شهوة فاسدة. أفلم تكن سارة، أُم قومك الاولى، عاقراً حتى الثمانين من عمرها؟ ومع ذلك ولدت في آخر عهد الشيخوخة إسحق الموعود ببركة الأُمم كلّها. كذلك راحيل، المَرضيَّة جداً عند الربّ والمحبوبة للغاية من الرجل القديس يعقوب، ألم تكن عاقراً زمناً طويلاً، ومع ذلك ولدت يوسف، الذي اصبح سيِّد مصر ومحرِّر أُمم عدة مشرفة على الموت جوعاً. وبين زعمائكم، مَنْ كان أقوى من شمشون، او أقدس من صموئيل؟ ومع ذلك ألم يكن للإثنين أُمَّان عاقران؟ فإذا كان العقل لا يقنعك بكلامي، فصدِّق قوة الامثلة التي تُثبِت ان حالات الحمل المؤجَّلة طويلاً والولادات من عاقرٍ ليست إلا أروع في العادة. هكذا ستلد امرأتك حنة ابنةً، وستسمِّيها مريم، وستكرِّسها للربّ منذ طفولتها، كما نذرت ذلك، وستكون مملوءة بالروح القدس، حتى من أحشاء أُمها. انها لن تأكل ولن تشرب شيئاً نجساً؛ ولن تكون لها اي علاقة بعامة الشعب في الخارج؛ بل ستبقى في هيكل الربّ، خوفاً من إمكان الارتياب أو قول شيء ما مجحف في حقها. لذا، مع تقدمها في العمر، وكما انها بنفسها ستولَد من أُم عاقر، كذلك ستلد هذه العذراء التي لا نظير لها ابن العليّ، الذي سيُدعى يسوع، ويكون مخلِّص الأُمم كلّها تبعاً لأصل هذا الاسم. وها هي العلامة التي تحصل عليها عن الامور التي أُبشِّرك بها. حين تصل إلى الباب الذهبي الموجود في أُورشليم، ستجد هناك حنة زوجتك، حنة التي ستأتي لاستقبالك، والتي سيكون لها من الفرح

برؤيتك مقدار ما كان لها من القلق لغيابك.» وبعد هذه الكلمات، ابتعد عنه الملاك.

٤ ــ بشارة حنة

ثم ظهر لحنة، زوجة يواكيم، وقال لها :« لا تخافي، يا حنة، ولا تظني بان ما ترينه شبح. فأنا الملاك نفسه الذي حمل إلى حضرة الله صلواتك وصَدَقاتك، والآن أنا مُرسَل اليك لأبشِّر بولادة ابنةٍ لكِ، ستُدعى مريم، وتكون مباركة بين كلّ النساء. وستكون ممتلئة بنعمة الربّ بعد ولادتها على الفور؛ وستبقى ثلاثة اعوام في البيت الأبوي لتُفطَم؛ وبعد ذلك لن تخرج من الهيكل، حيث تُصرَف لخدمة الربّ حتى سن الرشد، خادمةً الله ليل نهار بصيامات وتضرُّعات؛ وسوف تمتنع عن كل ما هو نجس، ولا تعرف رجلاً ابداً، انما وحدها من دون مثيل، من دون عيب، من دون فساد، هذه العذراء، من دون علاقة برجل، ستلد الربّ، مخلِّص العالم بنعمته، باسمه وبعمله. إنهضي إذاً، واذهبي إلى أُورشليم، وعندما تصلين إلى الباب الذهبي، المُسمَّى هكذا لانه مُذَهَّب، تحصلين على علامة عودة زوجك الذي تُقلِقكِ حاله الصحية. وحين تحدث إذاً هذه الامور، اعلمي ان الامور التي أُبشِّرك بها ستتم بالتأكيد.»

٥ ــ ولادة مريم

وامتثلا إذاً لأمر الملاك هما الاثنان، فصعدا إلى أُورشليم، منطلقَين من المكان الذي كانا فيه، وعندما وصلا إلى الموضع المعيَّن بنبوءة الملاك، وجدا نفسهما هناك الواحد قبالة الآخر. عندها سبَّحا كما يتوجب عليهما الربّ الذي يرفع المتَّضعين، فرحَين معاً برؤية بعضهما بعضاً ثانيةً ومطمئنَّين بيقين النَّسل الموعود. لذا عادا إلى بيتهما، وقد

سجدا للربّ، حيث انتظرا بثقةٍ وفرحٍ الوعد الإلهي. وحبلت حنة إذاً، ووضعت ابنةً، وتبعاً لأمر الملاك، دعاها أبواها باسم مريم.

٦ ـ العذراء في الهيكل

وعندما انقضى أجَل الثلاثة اعوام وتمَّ زمن فطامها، رافقا إلى هيكل الربّ تلك العذراء مع تقدمات. والحال هذه، كان حول الهيكل خمس عشرة درجة ينبغي صعودها، وفقاً لمزامير الدرجات الخمسة عشر. فبما ان الهيكل كان مبنياً على جبل، كان ينبغي صعود درجات للذهاب إلى مذبح المحرقة الذي كان خارجاً. وقد وضع الأبوان إذاً الصغيرة الطوباوية العذراء مريم على الدرجة الأولى. وفيما كانا يخلعان ثياب السفر ويرتديان أجمل منها وأنظف تبعاً للعادة، صعدت عذراء الربّ الدرجات كلّها واحدةً واحدةً من دون ان تُعطي اليد لاقتيادها او عضدها، بحيث ان بذلك وحده كان من الممكن الاعتقاد بانها بلغت عمراً ممتازاً. فقد كان الربّ يصنع أُموراً عظيمة، منذ طفولة عذرائه، ويُري مسبقاً بهذه الآية ماذا سيكون جلال الروائع الآتية. وإذ احتفلا بالذبيحة إذاً بحسب عادة الشريعة، ووفَيا بنذرهما، ارسلاها إلى داخل الهيكل لتربى هناك مع العذارى الأُخريات، وعادا إلى بيتهما.

٧ ـ القبول بنذر مريم[1]

والحال هذه، كانت عذراء الربّ، وهي تتقدَّم في العمر، تتقدَّم في الفضيلة، ووفقاً لتعبير صاحب المزامير، « أبوها وأُمها تخلَّيا عنها،

---

١ ـ آل عمران: ٣٧.

لكن الله اعتنى بها». فكلّ الايام كان يزورها الملائكة، وكلّ الايام كانت تتمتَّع بالرؤيا الإلهية التي كانت تحفظها من كل الشرور وتُسبغ عليها كل الخيرات. لذا بلغت عامها الرابع عشر من دون ان يتمكَّن ليس فقط الاشرار من اكتشاف شيء يستحق اللوم فيها، بل وكل الخيِّرين الذين كانوا يعرفونها كانوا يجدون حياتها وطريقة تصرُّفها جديرتَين بالاعجاب. عندها أذاع الكاهن الاعظم علانيةً ان على العذارى اللواتي يُرَبَّين بعناية في الهيكل واللواتي بلغن هذا العمر مكتملاً العودة إلى بيوتهنَّ للزواج تبعاً لعادة الأُمة ونضج العمر. وإذ اطاعت الأُخريات هذا الامر مسارعاتٍ، كانت عذراء الربّ، مريم، الوحيدة التي أجابت بانها لا تستطيع التصرُّف على هذا النحو، وقالت: «ان أبوَيها لم ينذراها فقط لخدمة الربّ، بل انها ايضاً كرَّست للربّ عذريتها التي لم تكن تريد ابداً انتهاكها بالعيش مع رجل.» واستولى على الكاهن الاعظم قلق عظيم، فلم يكن يعتقد بان من الواجب مخالفة نذرها (وهو ما سيكون ضد التوارة، التي تقول:« أُنذروا وأدُّوا»)، ولا ان من الواجب المجازفة بإدخال عادة غير جارية لدى الأُمة؛ فأمر بان يكون رؤساء أُورشليم والمواضع المجاورة موجودين في الاحتفال المقبل، من اجل ان يُعرَف عبر المجلس ماذا يجب ان يُفعَل في حالٍ بهذا الالتباس. وإذ تمَّ ذلك، كان رأي الجميع ان من الواجب استشارة الله في ذلك. وانشغل الجميع إذاً بالتضرُّع، ومَثَلَ الكاهن الاعظم تبعاً للعادة لاستشارة الله. وسمع الجميع على الفور صوتاً خرج من وسيط الوحي ومن مكان الاستعطاف، قائلاً ان من الواجب، تبعاً لنبوءة أَشعيا، البحث عن احدٍ ما ينبغي ان يُعهَد بهذه العذراء إليه وتُزَفَّ اليه[1]. فمن المعروف ان أَشعيا قال: «ستخرج عذراء من أصل

[1] ـ أن يكون يوسف هو المختار لمريم، إبتداع خاص بهذا الإنجيل.

يَسّى، ومن هذا الاصل ترتفع زهرة يحلُّ عليها روح الربّ، روح الحكمة والفطنة، روح المشورة والقوة، روح العلم والورع، وستكون مملوءة بروح مخافة الربّ.» وأمر الكاهن الاعظم إذاً، استناداً إلى هذه النبوءة، بان يحمل كلٌّ من البالغين وغير المتزوِّجين من بيت داوود ومن عائلته قلماً إلى المذبح، فسوف يُعهَد بالعذراء وتُزَوَّج مَنْ قلمه، بعد ان يُحمَل، يُنبِتُ زهرةً، وعلى رأسه يحلُّ روح الربّ في هيئة حمامة.

٨ ــ الحمامة على رأس يوسف

وكان بين اعضاء بيت داوود وعائلته، رجل كبير السن، اسمه يوسف، وفيما كان الجميع يحملون قلمهم تبعاً للأمر المُعطى، هو وحده خبّأ قلمه. لذا ظنّ الكاهن الاعظم بأن من الواجب استشارة الله مجدَّداً، إذ لم يظهر شيءٌ موافقٌ الصوتَ الإلهي، فأجاب الربّ بأن مَنْ يجب ان يتزوَّج العذراء كان الوحيد من كل الذين اختيروا الذي لم يحمل قلمه. واكتُشِف يوسف إذاً. فحين حمل قلمه، وحلَّت على رأسه حمامة، آتية من السماء، غدا واضحاً للجميع ان العذراء يجب ان تُزَوَّج منه. وإذ احتفل بالخطوبة تبعاً للعادة المألوفة، عاد إلى مدينة بيت لحم، لترتيب بيته وتجهيز الأمور الضرورية للعرس. لكن عذراء الربّ، مريم، مع سبع عذارى أُخريات من عمرها ومفطومات معها، تلقَّتهنَّ من الكاهن، رجعت إلى الجليل إلى بيت أبوَيها.

١٩ ــ السلام الملائكي والبشارة

والحال هذه، في تلك الايام، اي في اول زمن وصولها إلى الجليل، أرسل اليها الله الملاك جبرائيل ليبشِّرها بانها ستحبل بالربّ ويشرح

---

١ ـ: مريم: ١٦ إلى ٢١: واذكُرْ في الكتاب مريمَ إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً... ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً.

لها طريقة الحمل ونظامه. وإذ دخل نحوها، ملأ الغرفة التي كانت تمكث فيها بنور عظيم، وقال لها، مسلِّماً عليها باحترام عظيم:

«السلام عليكِ، يا مريم، يا عذراء الربّ، المَرْضِيّة جداً عند الله، المليئة نعمةً؛ الربّ معك؛ مباركة أنت فوق كلّ النساء، مباركة فوق كل الرجال المولودين حتى الآن.» والعذراء التي كانت تعرف جيداً وجوه الملائكة، والتي كانت معتادةً النور السماوي، لم ترتعِبْ لرؤية ملاك، ولا دهشت لسطوع النور، لكن خطابه وحده أقلقها، وتساءلت عما يمكن ان يكون هذا السلام الخارق جداً، وما يعنيه او اي خاتمة ينبغي ان تكون له. فقال لها الملاك، مُلهَماً إلهياً، ومواجهاً هذه الفكرة: « لا تخافي، يا مريم، كما لو انني أُخفي بهذا السلام امراً ما مناقضاً لعفّتك. فعلى رغم انكِ عذراء، سوف تحبلين بلا خطيئة وتلدين ابناً. وسيكون هذا عظيماً، لانه سيسود من البحر حتى البحر، ومن النهر حتى اطراف الارض. وسوف يُدعى ابن العليّ، لانه بولادته مُتَّضِعاً على الارض سيملك عظيماً في السماء. وسيعطيه الربّ الإله كرسيَّ داوود أبيه، ولن يكون لملكه انقضاء. انه هو نفسه ملك الملوك وربّ الارباب، وسيدوم عرشه إلى أبد الآبدين.» وصدَّقت العذراء كلمات الملاك هذه، لكنها أجابت، راغبةً في معرفة الطريقة: «كيف يمكن لذلك ان يحصل، فكما انني لن اعرف رجلاً، وفقاً لنذري، كيف استطيع ان ألِد من دون التوقف عن ان اكون عذراء؟» فقال لها الملاك رداً على ذلك: «لا تظني، يا مريم، بان عليك ان تحبلي بطريقة بشرية. فسوف تحبلين مع بقائك عذراء، من دون علاقة بأي رجل؛ وعذراءَ، تُرضِعين. فالروح القدس سيحلُّ فجأةً فيكِ، وقوة العليّ تظلِّلك ضد كل احتدامات الدنس. فقد وجدتِ حظوةً امام الربّ، لأنك آثرتِ العفّة. لذا

مَنْ يولد منكِ سيكون وحده قدوساً، لانه وحده يكون محمولاً ومولوداً بلا خطيئة، وسيُدعى ابن الله.» عندها قالت مريم، باسطةً يدَيها ورافعةً عينَيها:« ها هي أمَة الربّ (لانني لست أهلاً لاسم مولاة) : ليكن لي بحسب كلمتك». (لوقا: ١، ٣٨.) (سيكون طويلاً للغاية وحتى مُضجِراً ان ننقل هنا كل ما سبق او تلى ولادة الربّ. لذا، متجاوزين ما هو مطوّل في الانجيل، لنُنْهِ بما ليس بهذا التفصيل فيه.)

١٠ ـ حلم يوسف

كان يوسف إذاً آتياً من اليهودية في الجليل، ينوي أن يتّخذ امرأةً له العذراء التي كان مخطوباً لها. فقد انقضت ثلاثة اشهر، وكان الرابع يقترب منذ الزمن الذي احتُفِل فيه بالخطوبة[١]. إلا ان بطن الخطيبة وقد تضخّم شيئاً فشيئاً، بدأ يظهر انها كانت حبلى، وما كان ممكناً ان يخفى ذلك على يوسف. فإذ دخل إلى قرب العذراء بحرية أكبر باعتباره زوجها، وتكلم بإلفة اكبر معها، لمح انها كانت حبلى. لهذا بدأ عقله يضطرب ويرتاب، لانه لم يكن يعلم ما عليه ان يفعل. فمن جهة، لم يُرِد الوشاية بها، لانه كان باراً، ومن جهة اخرى، التشنيع بها بظنِّ الزِّنا، لانه كان ورعاً. لهذا كان يفكِّر بفسخ زواجه سراً وردِّها خفيةً. وإذ كانت تساوره هذه الافكار، إذا بملاك الربّ يظهر له في الحلم، قائلاً : «يا يوسف، يا ابن داوود، لا تحمل اي خشية، ولا تحتفظ باي ظنٍّ زنا ضد العذراء، ولا تفكّر بشيء مجحف في حقها، ولا تتردّد في اتخاذها امرأة. فالمولود منها، ويعذِّب الآن عقلك، هو صنع، لا رجل، بل الروح القدس. فوحدها بين كلّ العذارى،

١ ـ يضع المؤلِّف هذا المشهد بعد البشارة مباشرةً.

ستلد ابن الله، وستدعوه باسم يسوع، اي المخلِّص، فهو الذي سيخلِّص شعبه من خطاياهم.» واتخذ يوسف إذاً العذراء امرأةً، ممتثلاً لأمر الملاك؛ إلا انه لم يعرفها، بل حافظ معها على تعفُّف كامل. وكان الشهر التاسع منذ الحبل يقترب، حين مضى يوسف إلى مدينة بيت لحم حيث أصله، آخذاً امرأته والاشياء الأخرى التي كانت ضروريةً له. والحال هذه، حدث، حين وصلوا إلى هناك، وقد تم زمن الوضع، انها ولدت ابنها البكر، كما علَّم ذلك الإنجيليون القديسون، ربّنا يسوع المسيح، الذي، وهو الله مع الآب، والابن والروح القدس، يحيا ويملك إلى أبد الآبدين.

II ـ إنجيلا آلام

١. إنجيل بطرس

٢. إنجيل نيقوديموس

إنجيل بطرس

بقي منه جزء يمتد من ختام محاكمة يسوع إلى الظهور الأول عند بحيرة طبرية. عُثِر عليه في قبر راهب في أخميم - مصر العليا عام ١٨٨٦. الأصل سوري على الأرجح، يعود إلى الثلاثينات من القرن الثاني م. كُتِب في ما يبدو باليونانية داخل جماعة يهودية متنصِّرة.

إنه أقدم نص منحول بين أيدينا يتناول آلام المخلِّص. يستعير المؤلف من الأناجيل الأربعة، لكنه يتصرّف بحريّة تامة ويلجأ إلى الإدهاش. يبدو عمله تأملاً في النصوص المقدسة، يرمي إلى كسب المعاندين إلى الإيمان. جهله المؤسسات القضائية والدينية في فلسطين واضح، وكذلك عدائيته لليهود التي تتراجع أمامها مسؤولية بيلاطس. لكنه يسعى إلى إظهار إثباتات أُلوهة يسوع، فيخفّف من أهمية عذابات يسوع، ويسرد الآلام في أجواء من العظمة، ويحيط القيامة بحشد

من الشهود. وهو يتبنى لاهوت القديس يوحنا ويضخِّمه، فيُرسي موت يسوع فوق تمجيده.

التبرّؤ من الرب

١ . ... ما من أحد بين اليهود غسل يديه، ولا هيرودس ولا أحد قضاته. وبما أنهم لم يريدوا غسل أيديهم، نهض بيلاطس ومضى.

٢ . إذاك أمر الملك هيرودس باقتياد الربّ[1]، قائلاً: «نفِّذوا الأوامر كلّها التي أعطيتكم إياها في شأنه.»

٣ . كان يوسف، صديق بيلاطس والربّ، هناك؛ وإذ علم بأنهم سوف يصلبونه، قصد بيلاطس وسأله جسد الربّ، لدفنه. ٤ . وأرسل بيلاطس في طلب الجسد من هيرودس. ٥ . وأجاب هيرودس: «يا أخي بيلاطس، حتى لو لم يطالب به أحد، كنا لندفنه، طالما أن السبت سيبدأ. فمكتوب في الشريعة: لا تغيب الشمس على مُنَكَّل به.» وسلّمه للشعب، قبل اليوم الأول من الفطير، عيدهم.

٦ . وأمسكوا بالربّ واقتادوه على عجل، وكانوا يقولون: «لنذهب بابن الله، طالما أخضعناه الآن لسلطتنا.». ٧ . وألبسوه الأُرجوان وأجلسوه على كرسي قضاء، قائلين: «أُحكُمْ بالعدل، يا ملك اسرائيل!»

٨. وجلب أحدهم إكليل شوك ووضعه على رأس الربّ. ٩ . وآخرون، من الحضور، بصقوا في وجهه، وآخرون صفعوه، وآخرون وخزوه بقصبة[2]، والبعض جلدوه قائلين: «هوذا الإكرام الواجب علينا لابن الله!»

---

١ ـ لا يذكر الإنجيلي أبداً اسم يسوع. ولقب «ابن الله» يظهر على لسان اليهود والوثنيين، فيما اسم «مخلِّص البشر» ينطق به أحد الشقيَّين المصلوبَين مع المسيح.

٢ ـ المسيح ضُرِب على رأسه بقصبة. إستخدام الإنجيلي كلمة «وخزوه» إنما جاء لإتمام نبوءة زكريا ١٢،١٠.

١٠. وجاؤوا بشقيَّين، صلبوا الربّ بينهما. وكان هو صامتاً، كما لو انه لم يكن يعاني أيّ ألم. ١١. وعندما نصبوا الصليب، كان مكتوباً عليه: «هذا هو ملك إسرائيل.». ١٢. ووضعوا ثيابه أمامه وتقاسموها بالقرعة.

الصلب

١٣. وأنّبهم أحد ذينك الشقيَّين بهذه العبارة: «ان جرائمنا استحقَّت هذا العذاب، إنما هو، الذي هو مخلِّص البشر، أيّ شر ارتكبه في حقكم؟». ١٤. وأمروا هم، والسخط يملأهم، بعدم كسر ساقَيه[1]، خوفاً من أن يضع الموت حداً لآلامه.

١٥. كان الوقت ظهراً والظلمة انتشرت عبر اليهودية كلّها. وكانوا قلقين، فقد كانوا يخشَون غياب الشمس فيما لا يزال حياً. فشريعتهم تقول في الواقع ان الشمس لا يجب أن تغيب على مُنَكَّل به.

١٦. وقال واحد من بينهم: «أُعطوه ليشرب مرّاً ممزوجاً بخلّ.» وحضّروا الشراب وأعطَوه إياه.

١٧. وأتمُّوا الأمور كلّها، وكدّسوا أخطاءهم على رؤوسهم.

١٨. وكثيرون كانوا يتجوّلون حاملين مشاعل، معتقدين بأن الوقت ليل، فوقعوا. ١٩. وصاح الربّ، قائلاً: «أيتها القوة، يا قوتي[2]، لقد تخلَّيتِ عني!» وإذ تكلّم، رُفع[3].

حجاب الهيكل ينشقّ

٢٠. في تلك اللحظة، انشقّ حجاب هيكل أُورشليم اثنين. ٢١. عندها نزعوا المسمارَين من يدَي الربّ ومدّدوه أرضاً. وزلزلت الأرض كلّها، وحدث فزعٌ عظيم. ٢٢. ثم عاودت الشمس سطوعها: كانت الساعة التاسعة.

---

١ ـ كسر الساقَين يُحدِث اختناقاً قاتلاً.

٢ ـ القوة الإلهية.

٣ ـ دخل مجده.

٢٣. واغتبط اليهود، وأعطَوا جسده ليوسف، ليكفِّنه، بما أنه رأى كلّ الخير الذي صنعه.

٢٤. وأخـذ يوسف الربّ، وغسله، ولفّه بكفنٍ وحمله إلى قبره الخاص المدعو حديقة يوسف.

٢٥. عندها بدأ اليهود، والشيوخ والكهنة، يقرعون صدورهم ويقولون، مدركين الشر الذي ارتكبوه في حق أنفسهم: «الويل لأخطائنا! ان الحساب يقترب ونهاية أُورشليم![1]»

٢٦. كنا رفاقي وأنا في حزن. وقد اختبأنا، وألمنا عميق، لأنهم كانوا يبحثون عنا، كما أشقياء، وكما لو أننا كنا نريد إحراق الهيكل. ٢٧. كنا صائمين علاوةً على ذلك، ولابثين جلوساً في الحداد والدموع، ليل نهار، حتى السبت[2].

٢٨. واجتمع الكتبة، والفريسون والشيوخ في ما بينهم، لأنهم علموا بأن الشعب كلّه كان يهمس ويقرع صدره، قائلاً: «إذا كانت هذه العلامات الخارقة قد حصلت عند موته، فانظروا كم كان باراً!». ٢٩. وتوجّه الشيوخ إلى بيلاطس، قلقين، وتوسّلوا إليه بهذه العبارة:

٣٠. «أعطنا جنوداً. سوف نراقب قبره خلال ثلاثة أيام، خوفاً من أن يأتي تلاميذه ويسرقوه، ومن أن يتصوّره الشعب قائماً من بين الأموات ويسعى إلى إيذائنا.» ٣١. وأعطاهم بيلاطس قائد المئة پيترونيوس مع جنود ليحرسوا المدفن. ورافقهم شيوخ وكتبة إلى القبر. ٣٢. وإذ دحرجوا الحجر العظيم، دفعوه جميعاً، يساعدهم قائد المئة والجنود، إلى باب المدفن. ٣٣. ووضعوا فوقه سبعة أختام، ثم نصبوا خيمةً وأقاموا الحراسة.

١ ـ سقوط المدينة على يد تيطوس وإحراق الهيكل عام ٧٠م.

٢ ـ السبت ضمناً. هذا التحديد يؤكِّد من دون شك ممارسة الصيام يومَي الجمعة والسبت من أسبوع الفصح في جماعة الإنجيلي.

القيامة

٣٤. وفي الغد، عند بدء السبت، وصل من أُورشليم والجوار جمع كان يريد رؤية المدفن مختوماً. ٣٥.[1] وفي الليلة السابقة الأحد، وفيما كان الجنود يبدّلون الحراسة، اثنين اثنين، دوّى صوت عظيم في السماء. ٣٦. ورأوا السماوات تنفتح ورجلَين، تحيط بهما هالة من نور، ينزلان منها ويدنوان من القبر. ٣٧. وتدحرج الحجر الذي وُضع على الباب من تلقائه، وتنحّى جانباً، وانفتح القبر ودخل الشابان. ٣٨. عند هذا المشهد، أيقظ الجنود قائد المئة والشيوخ، الذين كانوا هناك، هم أيضاً، يحرسون. ٣٩. وعندما روَوا لهم ما رأوه، شاهدوا مجدداً ثلاثة رجال يخرجون من القبر؛ إثنان من بينهم يسندان الثالث ويتبعهم صليب. ٤٠.[2] وفيما كان رأس الأوّلَين يبلغ السماء، كان رأس الرجل الذي يقودانه باليد يتخطى السماوات. ٤١. وسُمع صوت قائلاً من السماوات: «هل أبلغتَ النبأ مَنْ يرقدون؟» ٤٢. وسُمع الجواب من الصليب: «نعم.»

٤٣. كان أولئك القوم يخطّطون في ما بينهم لإخبار بيلاطس تلك المعجزات. ٤٤. وكانوا لا يزالون يتناقشون في ذلك، حين رُؤيت السماوات تنفتح مجدداً وينزل رجل ويدخل المدفن.

٤٥. لدى هذا المشهد، ركض قائد المئة وحرسه، في العتمة، إلى عند بيلاطس، تاركين القبر الذي كانوا يؤمّنون حراسته، وروَوا باضطراب عظيم، كل ما رأوه، قائلين: «كان حقاً ابن الله.» ٤٦. وأجاب بيلاطس: «أنا طاهر من دم ابن الله. أنتم مَنْ أراد ذلك.» ٤٧. ورجَوه جميعاً وتوسّلوا إليه، وقد اقتربوا، أن يأمر قائد المئة وجنوده بألا يردّدوا لأحد ما رأوه. ٤٨. «من الأفضل لنا، كانوا يقولون، أن نحمل أكبر خطيئة أمام الله، من أن نقع بين يدَي الشعب اليهودي ونُرجَم.» ٤٩. وأعطى بيلاطس الأمر إذاً إلى قائد المئة والجنود بعدم النطق بكلمة.

---

١ ـ النص من ٣٥ إلى ٤٣ يشكّل فرادة هذا الإنجيل.

٢ ـ الملائكة في التقليد اليهودي هائلو القامة. وهنا المسيح أعظم من الملاكَين.

النسوة عند القبر

٥٠. صباح الأحد، لم تكن مريم المجدلية، تلميذة الربّ، الخائفة بسبب اليهود، لأنهم كانوا مشتعلين غضباً، قد أتمّت في القبر الواجبات التي من عادة النسوة الوفاء بها حيال الموتى العزيزين عليهن. ٥١. فأخذت معها صديقاتها ودخلت المدفن حيث وُضِع. ٥٢. وكن يقلن، خائفات من أن يلمحهن اليهود: «طالما اننا يوم صُلِبَ لم نستطع البكاء وقرع صدرنا، فلنفعَلْ ذلك على الأقل اليوم على قبره. ٥٣. إنما مَنْ يدحرج لنا الحجر الذي وُضِع على باب المدفن، لنستطيع الدخول، والجلوس إلى جواره وإتمام واجبنا؟ ٥٤. ان الحجر عظيم ونخشى أن نُرى. وإذا أخفقنا، فلنُلقي على الأقل أمام الباب التقادم التي نحملها ذكرى له! لنبكي ونقرع صدرنا حتى ساعة العودة إلى بيتنا.»

٥٥. ولدى وصولهن، وجدن القبر مفتوحاً. ودنَون وانحنَين لينظرن. ورأين شاباً، جالساً في وسط القبر. كان جميلاً ويرتدي لباساً باهراً. وقال لهن: ٥٦. «لماذا أتيتُن؟ مَنْ تطلبن؟ أليس المصلوب؟ لقد قام ومضى. إنْ لم تصدِّقنني، انحنَين وانظرن الموضع حيث كان يرقد. انه ليس فيه، لأنه قام ومضى إلى حيث أُرسِل.»

٥٧. إذاك هربت النسوة، مرتعبات. ٥٨. كان ذلك آخر يوم من الفطير[1]، وكثيرون كانوا يعودون منه إلى بيوتهم، وقد انتهى العيد.

٥٩. كنا نحن، رسل الربّ الاثنا عشر[2]، نبكي، كنا في اضطراب. وعاد كلٌّ إلى بيته[3]، مذهولاً من تلك الأحداث.

٦٠. وأنا، سمعان بطرس وأندراوس أخي، تناولنا شباكنا وتوجّهنا إلى عرض البحر... وكان لاوي معنا، ابن حلفى، مَنِ الربّ... .

---

١ - نهار الجمعة التالي أسبوع الصلب.

٢ - غفل المؤلف إسقاط يوضاس.

٣ - إلى الجليل.

إنجيل نيقوديموس

النص يعود الى القرن الخامس م. لكنه مُستَمَدّ من كتابات سابقة. نجده في أصله اليوناني، والسرياني، والأرمني، والقبطي، والعربي واللاتيني. يُعتبَر دفاعاً ضد اتهامات الحكم الروماني ايام ماكسيميليان دازا (٣١١ - ٣١٢م.). وفقاً لهذا الكتاب، اكتشف مسيحي اسمه حنانياس، قصة وضعها نيقوديموس بالعبرية، تتناول محاكمة يسوع أمام بيلاطس، وترجمها الى اليونانية عام ٤٢٥م. هذه القصة تتلاحق عبر موت يسوع ودفنه، ثم نقاش في المجلس الأعلى اليهودي موضوعه القيامة، فوصف لنزول يسوع الى الجحيم على لسان شاهدَين. القسم الأول من النص مصدره على ما يبدو أعمال بيلاطس، التي ذكرها آباء الكنيسة. إنجيل نيقوديموس ألهم دانته في كتابته الملحمة الإلهية.

مقدِّمة حنانياس

أنا، حنانياس، العبريّ الأُمة، حبر الشريعة لدى العبرانيين، وقد درست الكتابات الإلهية، وانكببت في الايمان على عظمة كتابات سيِّدنا يسوع المسيح، وارتديت الطابع المقدس للعماد المقدس، وبحثت عن الأمور التي حدثت وقام بها اليهود في حكم بيلاطس البنطي، وأعدت الى الذاكرة قصة تلك الوقائع التي كتبها نيقوديموس بالأحرف العبرية، ترجمتها بالأحرف اليونانية، لأُعرِّف بها كل الذين يعبدون اسم سيِّدنا يسوع المسيح، وفعلت ذلك في ايام امبراطورية فلاڤيوس تيودوز، في العام الثامن عشر وفي حكم ڤالنتينيانوس أُوغسطوس. انتم جميعاً، الذين تقرأون هذه الأمور في الكتب اليونانية أو اللاتينية، أرجوكم ان تتكرّموا وتصلّوا من أجلي، أنا الخاطىء المسكين، ليكون الله مؤيِّداً لي ويغفر لي كلّ الخطايا التي ارتكبتها. السلام للقراء، السلام للذين سيسمعون. انها خاتمة التمهيد.

حدث ذلك في العام الثامن عشر من امبراطورية تيباريوس قيصر، امبراطور الرومان، وهيرودس، بن هيرودس، ملك الجليل، في العام الثامن عشر من سيادته، في الثامن من غُرَّة نيسان، وهو اليوم الخامس والعشرون من شهر آذار، ايام قنصلية رُوفِّين ورُوْبلّيون؛ في العام الرابع من الأُولمپياد الثانية بعد المئتين، حين كان يوسف وقيافا كاهنَين أعظمَين لليهود؛ إذاك كتب نيقوديموس، بالأحرف العبرية، قصة كل ما حدث إبان صلب الربّ وبعد آلامه.

١ ـ يسوع إلى القضاء

ان حنانيا، قيافا، سومُّوس، داتان وجَمَلئيل، يهوذا، لاوي، نفتالي، إسكندر، قورش وامراء اليهود الآخرين، قابلوا بيلاطس، واتهموا يسوع بأعمالٍ شريرة كثيرة قائلين: «اننا نعرفه ابن يوسف النجّار،

ومولوداً من مريم، إلا انه يقول انه ملك وابن الله؛ وأكثر من ذلك، انه ينتهك حرمة السبت ويريد تدمير شريعة آبائنا.» فقال بيلاطس: «ما هي الأعمال الشريرة التي يرتكبها؟» فأجاب اليهود: «ان الشريعة تنهينا عن الشفاء يوم السبت؛ وهذا الأخير شفى بخبث، يوم السبت، عرجاً وصُماً، كسحاء ومشلولين، عمياناً، برصاً وممسوسين.» وقال لهم بيلاطس: «كيف فعل ذلك بخبث؟» فأجابه اليهود: «انه ساحر؛ وباسم بعل زبوب، أمير الشياطين، يطرد الشياطين، وكلّ الأمور تخضع له.» وقال بيلاطس: «ليس فعل روح نجسة، بل فعل قدرة الله، طرد الشياطين.» وقال اليهود لبيلاطس: «نرجو سموّك أن تأمر بمثوله أمام محكمة، لتستمع اليه.»

وإذ نادى بيلاطس رسولاً، قال له: «ليؤتَ بيسوع الى هنا وليُعامَلْ بلطف.» فمضى الرسول، وإذ وجد يسوع، سجد له، وبسط أرضاً الرداء الذي كان يلبسه، قائلاً: «يا سيِّد، أُدخُلْ سائراً عليه، لأن الحاكم يطلبك.» فقال اليهود لبيلاطس بصيحات عظيمة، وقد رأوا ما فعله الرسول: «لِمَ لم تُبلِغْه، بصوتٍ بشيرٍ، الأمر بالمجيء بدلاً من أن ترسل اليه رسولاً؟ فالرسول سجد له، وقد رآه، وبسط أرضاً امامه الرداء الذي كان يحمله بيده، وقال له: «يا سيِّد، الحاكم يستدعيك.» فقال بيلاطس للرسول، منادياً إياه اليه: «لِمَ تصرّفتَ هكذا؟»

فقال الرسول: «عندما ارسلتني الى أُورشليم لدى إسكندر، رأيت يسوع جالساً على حمار، وأطفال العبرانيين يصيحون، ممسكين سُعَفاً بأيديهم: «سلام، يا ابن داوود»، وكان آخرون يبسطون ثيابهم على دربه، قائلين: «سلام للذي في السماوات؛ مبارك الآتي باسم الربّ!» وأجاب اليهود الرسول صائحين: «ان اطفال العبرانيين هؤلاء

كانوا يعبِّرون بالعبرية؛ فكيف فهمتَ، أنتَ اليوناني، كلمات قيلت في لغة ليست لغتك؟» فأجاب الرسول: «سألت احد اليهود وقلت له: ماذا يصيحون بالعبرية؟ فشرح لي ذلك.» عندها قال بيلاطس: «ما هو الهتاف الذي ينطقون به بالعبرية؟ فأجاب اليهود: «هوشعنا.» وقال بيلاطس: «ما هو معناه؟» فأجاب اليهود: «معناه: يا ربّ، سلام!» وقال بيلاطس: «انتم انفسكم، تؤكدون ان الأطفال كانوا يعبِّرون هكذا؛ فبماذا الرسول مذنب إذاً؟» فصمت اليهود.

وقال الحاكم للرسول: «أُخرُجْ، وأدخِلْه.» ومضى الرسول نحو يسوع وقال له: «يا سيِّد، أُدخُلْ، فالحاكم يناديك.» وإذ دخل يسوع، انحنت الصور التي كان يحملها حملة الأعلام فوق راياتهم من تلقائها وسجدت ليسوع. واحتجّ اليهود بقوة على حملة الأعلام، وقد رأوا ان الصور انحنت من تلقائها لتسجد ليسوع. عندها قال بيلاطس لليهود: «انتم لا تحيّون يسوع، الذي انحنت الصور للسلام عليه، لكنكم تصيحون في وجه حملة الرايات، كما لو انهم بأنفسهم حنَوا أعلامهم وسجدوا ليسوع.» فقال اليهود: «لقد رأيناهم يتصرّفون على هذه الصورة.» وأدنى الحاكم حملة الأعلام، وسألهم لِمَ فعلوا ذلك. فأجابوا بيلاطس: «نحن وثنيون وعبيد الهياكل؛ فكيف كنا لنستطيع السجود له؟ ان الرايات التي نمسكها انحنت من تلقائها للسجود له.»

وقال بيلاطس لرؤساء المجمع وشيوخ الشعب: «اختاروا بأنفسكم رجالاً أقوياء وصلاباً فيمسكون الرايات، وسنرى إنْ كانت ستُطأطىء الرأس من تلقائها.» واختار شيوخ اليهود اثني عشر رجلاً صلاباً جداً، ووضعوا الرايات في ايديهم، وصفُّوهم في حضور الحاكم. وقال بيلاطس للرسول: «قُدْ يسوع الى خارج مقرّ القضاء، وأدخِلْه

بعد ذلك.» وخرج يسوع من مقرّ القضاء مع الرسول. وإذ توجّه بيلاطس الى الذين يمسكون الرايات، قال لهم مُقْسِماً بتحية قيصر: «إذا انحنت الرايات حين يدخل، فسوف اقطع رؤوسكم!» وأمر الحاكم بإدخال يسوع مرةً ثانية. ورجا الرسول مجدداً يسوع الدخول، عابراً على الرداء الذي بسطه أرضاً. وفعل يسوع ذلك، وعندما دخل، انحنت الرايات وسجدت له.

٢ ـ بيلاطس يغضب من اليهود

وإذ رأى بيلاطس ذلك، استولى عليه الرعب، وبدأ النهوض من فوق كرسيه. ولما كان يفكِّر بالنهوض من فوق كرسيه، ارسلت اليه امرأة بيلاطس، المدعوة پروكولة، لتقول له: «لا تفعل شيئاً في حق هذا الصِّديق، لأنني تألّمت كثيراً هذه الليلة بسببه.» وقال بيلاطس لكل اليهود، وقد سمع ذلك: «تعلمون ان زوجتي وثنيّة وانها ابتنت لكم معابد كثيرة؛ لقد انبأتني بأن يسوع رجل صدِّيق، وانها تألّمت كثيراً هذه الليلة بسببه.» فأجاب اليهود بيلاطس: «ألَمْ نَقُلْ لكَ انه ساحر؟ وها انه ارسل حلماً الى زوجتك.» وقال بيلاطس ليسوع، منادياً إياه: «ألا تسمع ما يقولونه في حقك؟ ولا تجيب بشيء؟» فأجاب يسوع: «لو لم تكن لهم القدرة على الكلام، لما كانوا يتكلمون، انما كلٌّ يستطيع، بحسب رغبته، فتح فمه وقول أشياء خيِّرة أو شريرة.»

وقال شيوخ اليهود ليسوع: «ماذا نقول؟ أولاً، انك وُلِدت من الزِّنا؛ ثانياً، ان بيت لحم كانت مكان مولدك، وان بسببك قُتِلَ الأطفال؛ ثالثاً، ان أباك وأُمك مريم هربا إلى مصر، لأنهما لم يكونا يثقان بالشعب.»

وكان بعض اليهود الموجودون هناك، والذين كانوا أقلّ شراً من الآخرين، يقولون: «لا نقول انه سليل الزِّنا، لأننا نعلم ان مريم خُطِبَت ليوسف، ولم يولد من الزِّنا.» فقال بيلاطس لليهود الذين كانوا يقولون ان يسوع سليل الزِّنا: «هذا الكلام كاذب، فقد حصلت خطوبة كما يشهد بذلك أشخاص من بينكم.» فقال حنانيا وقيافا لبيلاطس: «الجمهور كلّه يصرخ انه وُلِدَ من الزِّنا، وانه ساحر. هؤلاء هم متهوِّدوه وتلاميذه.»

وقال بيلاطس لحنانيا وقيافا منادياً إياهما: «ماذا يعني متهوِّدون؟» فأجابا: «انهم أبناء وثنيين، والآن اصبحوا يهوداً.» إذاك قال لعازر وأستير، وانطونيوس، ويعقوب، وزاروس وصموئيل، وإسحق وفينيه، وكريسپوس وأغريپا، وأَمينيوس ويهوذا: «لسنا متهوِّدين، بل نحن أبناء اليهود، ونقول الحقيقة؛ فقد حضرنا خطوبة مريم.» وقال بيلاطس للرجال الاثني عشر الذين تكلَّموا هكذا، متوجِّهاً اليهم: «آمركم، بسلام قيصر، ان تُعلِنوا ما إذا كنتم تقولون الحقيقة، وما إذا كان لم يولد من الزِّنا.» فقالوا لبيلاطس: «شريعتنا تحظِّر علينا القَسَم، فذلك خطيئة؛ مُرْ هؤلاء بأن يُقسِموا بسلام قيصر بأن ما نقوله كاذب، فنكون قد استحققنا الموت.» فقال حنانيا وقيافا لبيلاطس: «هل يُصدَّق هؤلاء الرجال الأثنا عشر الذين يقولون انه لم يولد من الزِّنا، بدلاً منا جميعاً الذين نقول انه ساحر، ويزعم انه ملك وابن الله؟»

وأمر بيلاطس الشعب كلّه بالخروج والابتعاد عن الرجال الاثني عشر الذين قالوا ان يسوع لم يولد من الزِّنا، وأقام يسوع جانباً، وقال لهم: «لأي سبب يريد اليهود إهلاك يسوع؟» فأجابوه: «انهم ثائرون لأنه يصنع شفاءات يوم السبت.» قال بيلاطس: «يريدون إذاً إهلاكه من اجل عمل صالح؟» فأجابوا: «نعم، يا سيِّد.»

٣ ــ إستنطاق يسوع

وخرج بيلاطس من مقرّ القضاء، ملؤه الغضب، وقال لليهود: «استشهد الشمس على انني لم أجد شيئاً يستوجب العقاب في هذا الرجل.» فأجاب اليهود الحاكم: «لو لم يكن ساحراً، لما سلّمناه لك.» فقال لهم بيلاطس: «خذوه وحاكموه وفق شريعتكم.» فقال اليهود لبيلاطس: «ليس مسموحاً لنا بإهلاك أيٍّ كان.» فقال بيلاطس لليهود: «لكم وليس لي قال الله: لا تقتُلْ.» ونادى بيلاطس يسوع وحده، وقد عاد الى مقرّ القضاء، وقال له: «أأنتَ ملك اليهود؟» فقال يسوع لبيلاطس، مجيباً: «أمِنْ عندك تقول ذلك، أم آخرون قالوه لكَ عني؟» أجاب بيلاطس يسوع: «أَأنا يهودي؟ ان أُمتك وأُمراء الكهنة أسلموك لي؛ فماذا فعلت؟» أجاب يسوع: «مملكتي ليست من هذا العالم؛ لو كانت مملكتي من هذا العالم، لقاوم خدّامي، ولما أُسلِمْتُ لليهود؛ لكن مملكتي ليست هنا.» قال بيلاطس: «أنتَ إذاً ملك؟» وأجاب يسوع: «أنتَ تقول ذلك، نعم، أنا ملك. وُلِدْتُ وأتيتُ لأشهد للحق، وكلّ الذين يشاركون في الحق سيسمعون صوتي.» قال بيلاطس: «ما هو الحق؟» وأجاب يسوع: «الحق يأتي من السماء.» قال بيلاطس: «أَليس إذاً من حق على الأرض؟» فقال يسوع لبيلاطس: «أُنظُرْ كيف ان مَنْ يقولون الحق على الأرض يحاكمهم مَنْ لهم السلطان على الأرض.»

٤ ــ اليهود يريدون صلب يسوع

وخرج بيلاطس، تاركاً يسوع داخل مقرّ القضاء، ومضى الى اليهود وقال لهم: «انني لا أجد فيه اي إثم.» أجاب اليهود: «لقد قال:

استطيع تدمير الهيكل وإعادة تشييده في ثلاثة أيام.» فقال لهم بيلاطس: «أي هيكل؟» وأجاب اليهود: «الذي قضى سليمان ستة واربعين عاماً في بنائه، وقال انه يستطيع هدمه وإعادة بنائه في ثلاثة أيام.» وقال لهم بيلاطس مجدداً: «أنا بريء من دم هذا الرجل؛ أُنظروا ما عليكم ان تفعلوا.» قال اليهود: «دمه علينا وعلى أولادنا.» وقال بيلاطس إذاك سراً، للشيوخ والكهنة واللاويين، وقد ناداهم: «لا تتصرّفوا هكذا؛ فعلى رغم اتهاماتكم، لم أجد فيه شيئاً يستحق الموت، في ما تأخذون عليه من انتهاك حرمة السبت.» وقال الكهنة واللاويون والشيوخ لبيلاطس: «مَنْ جدّف على قيصر يستحق الموت. والحال هذه، لقد جدّف على الله.»

عندها أمر الحاكم اليهود بالخروج من مقرّ القضاء، وقال ليسوع، منادياً إياه: «ماذا أفعل إذاً حيالك؟» قال يسوع لبيلاطس: «تصرّف كما يتوجّب عليك.» فقال بيلاطس ليسوع: «كيف عليّ أن أتصرّف؟» أجاب يسوع: «ان موسى والأنبياء تنبّأوا بهذه الآلام وبقيامتي.» وقال اليهود وقد سمعوه يقول لبيلاطس: «أتريد الاستماع أكثر الى تجديفاته؟ ان شريعتنا توضح ان الرجل إذا أخطأ في حقّ قريبه، يتلقّى أربعين ضربةً إلا واحدة، وان المجدِّف يعاقَب بالموت.» فقال لهم بيلاطس: «إذا كان كلامه تجديفياً، فخذوه وقودوه الى معبدكم، وحاكموه وفق شريعتكم.» وقال اليهود لبيلاطس: «نريد ان يُصلَب.» فقال لهم بيلاطس: «هذا ليس عادلاً.» ورأى يهوداً يبكون، وقد نظر الى الحشد، فقال: «ان الجمع لا يريد بأسره ان يموت.» فقال الشيوخ لبيلاطس: «أتينا مع الجمع كلّه ليموت.» وقال بيلاطس لليهود: «ماذا فعل ليستحقّ الموت؟» فأجابوا: «قال انه ملك وابن الله.»

٥ ـ الدفاع عن يسوع

إذاك اقترب من الحاكم يهوديٌّ، اسمه نيقوديموس، وقال: «أرجوك ان تسمح لي، برأفتك، بان أقول بضع كلمات.» فقال له بيلاطس: «تكلَّمْ.» قال نيقوديموس: «قلت لشيوخ اليهود، وللكتبة، وللكهنة، وللاويين، ولكلّ حشد اليهود في المعبد: أي شكوى توجّهونها ضد هذا الرجل؟ لقد كان يصنع معجزات كثيرة وباهرة، كما لا يصنع مثلها أحد؛ ولا صنع مثلها أبداً. فاصرفوه ولا تفعلوا به أي شر؛ فإذا أتت تلك المعجزات من الله، فستكون ثابتة؛ وإذا أتت من البشر، فسوف تتقوّض. ان موسى، الذي ارسله الله الى مصر، صنع معجزات أمره الله بالقيام بها في حضرة فرعون، ملك مصر. وكان هناك ساحران، هما جَمْنِيس ومَمْبرِيس، وحاولا القيام بمعجزات موسى نفسها، لكنهما لم يستطيعا تقليدها كلّها، وعدّهما المصريون إلهَين. لكن، بما ان المعجزات التي صنعاها لم تكن صادرةً عن الله، هلكا، هما ومَنْ آمنوا بهما. والآن، إصرِفْ هذا الرجل، لأنه لا يستحقّ الموت.» وقال اليهود لنيقوديموس: «لقد أصبحتَ تلميذه، وترفع الصوت من اجله.» فقال لهم نيقوديموس: «هل الحاكم الذي يتكلّم أيضاً لمصلحته هو تلميذه؟ أَلَمْ يكلِّفه قيصر بالحكم بالعدل؟» وكان اليهود يرتعشون غضباً، ويُصرِّون أسنانهم ضد نيقوديموس، وقالوا له: «آمِنْ به، وتقاسَمْ مصيره نفسه.» فقال نيقوديموس: «آمين. فلأتقاسَمْ مصيره نفسه، كما تقولون ذلك.»

٦ ـــ "إحملْ سريرك، وامشِ"

وتقدّم آخر من اليهود وسأل الحاكمَ الإذنَ بالكلام، فقال بيلاطس: «ما تريد أن تقوله، قُلْه.» وتكلّم ذلك اليهودي هكذا: «منذ ثمانية وثلاثين عاماً، كنت طريح فراشي وكنت في استمرار فريسة آلامٍ عظيمة وفي

خطر الموت. وجاء يسوع، وشفى كثيرين من الممسوسين والناس المصابين بعاهات متنوِّعة. وقد حملني بعض الشبّان في سريري ونقلوني اليه. وإذ رآني يسوع ثارت شفقته، وقال لي: قُمْ، إحمِلْ سريرك، وامشِ. وعلى الفور شفيت تماماً؛ وحملت سريري ومشيت.» وقال اليهود لبيلاطس: «إسألْه في أي يوم شفي.» فأجاب: «يوم السبت.» فقال اليهود: «أما كنا نقول انه كان يشفي المرضى ويطرد الشياطين يوم السبت؟»

وتقدّم يهودي آخر وقال: «كنت أعمى منذ الولادة؛ وكنت أسمع الكلام ولا أرى احداً. ومرّ يسوع، فخاطبته صارخاً بصوتٍ عالٍ: يا ابن داوود، إرحَمْني! فأشفق عليّ، ووضع يده على عينَيَّ، وعلى الفور استعدت النظر.»

وتقدّم آخر وقال: «كنت متقوِّساً، فقوَّمني بكلمة.»

وتقدَّم آخر أيضاً وقال: «كنتُ أبرص فشفاني بكلمة.»

٧ ــ ڤيرونيكة النازفة

وقالت امرأة اسمها ڤيرونيكة: «منذ اثني عشر عاماً كنت مصابة بنزف دمٍ، فلمست طرف ردائه وعلى الفور توقّف نزف دمي.» وقال اليهود: «استناداً الى شريعتنا لا يمكن لامرأة الادلاء بشهادة.»

٨ ــ الحاكم يرتعب

وأخذ يصرخ بعض الآخرين من جمع اليهود، رجالاً ونساءً: «هذا الرجل نبيّ، والشياطين تخضع له!» فقال لهم بيلاطس: «لِمَ الشياطين لا تخضع لأحباركم؟» فأجابوا: «لا ندري.» وقال آخرون لبيلاطس:

«لقد أقام لعازر، الذي كان ميتاً منذ أربعة أيام، وأخرجه من القبر.» فارتعب الحاكم، وقد سمع ذلك، وقال لليهود: «ماذا يفيدنا إهراق الدم البريء؟»

٩ ــ الأمر بالجلد والصلب

ومنادياً نيقوديموس اليه والاثني عشر رجلاً الذين كانوا يقولون ان يسوع لم يولد من الزِّنا، خاطبهم بيلاطس هكذا: «ماذا عليّ ان أفعل، فثمة تمرُّد ينشب في صفوف الشعب؟» فأجابوا: «لا ندري؛ ليروا بأنفسهم.» وقال بيلاطس لليهود، مستدعياً الحشد مجدداً: «تعلمون انني، وفق العادة، أمنحكم العفو عن سجين، يوم عيد الفطير. لدي في السجن قاتل شهير، يُدعى باراباس، ولا أجد في يسوع شيئاً يستحق الموت. مَنْ تريدون ان أُطلِقَ لكم؟» فأجابوا كلّهم صارخين: «أطلِقْ لنا باراباس!» فقال بيلاطس: «ماذا أفعل إذاً بيسوع، الملقّب المسيح؟» فصرخوا كلّهم: «ليُصْلَبْ!» وقال اليهود أيضاً: «لستَ صديق قيصر إذا أطلقتَ من يزعم انه ملك وابن الله؛ وربما تريد ان يكون هو ملكاً بدلاً من قيصر.»

عندها قال لهم بيلاطس، منفعلاً غضباً: «لقد كنتم دوماً أُمةً عاصية، وقاومتم مَنْ كانوا مؤيدين لكم.» فقال اليهود: «مَنْ هم الذين كانوا مؤيدين لنا؟» أجاب بيلاطس: «إلهكم، الذي نجّاكم من عبودية المصريين القاسية، وقادكم عبر البحر كما فوق اليابسة، والذي اعطاكم، في الصحراء، المَنَّ ولحم السُّماني طعاماً لكم، والذي أخرج من صخرٍ ماءً لإروائكم، وعلى رغم أفضالٍ كثيرة، لم تكفُّوا عن الثورة ضد إلهكم، وقد أراد إهلاككم. فصلّى موسى من أجلكم، لئلا تهلكوا. وتقولون الآن انني أكره الملك.»

وأراد الخروج، ناهضاً عن كرسي قضائه. لكن اليهود كلّهم صرخوا: «نعلم ان قيصر ملكٌ وليس يسوع. لأن المجوس قدّموا له هدايا كما لملك. وإذ علم هيرودس من المجوس أن ملكاً وُلِدَ، أراد إهلاكه. فأخذه أبوه، يوسف، كما أُمَّه، وقد علم بذلك، وهربوا الى مصر. وقتل هيرودس أطفال اليهود الذين وُلِدوا في بيت لحم.»

وإذ سمع هذه الكلمات، ارتعب بيلاطس، وعندما عاد الهدوء في صفوف الشعب الذي كان يصرخ، قال: «أَهو الحاضر هنا إذاً مَنْ كان يطلبه هيرودس؟» فأجابوا: «انه هو.» وإذ تناول ماءً، غسل بيلاطس يدَيه امام الشعب وهو يقول: أنا بريء من دم هذا الصدِّيق؛ فكِّروا بما تفعلون.» وأجاب اليهود: «دمُه علينا وعلى أولادنا!» إذاك أمر بيلاطس باقتياد يسوع الى أمام كرسي القضاء الذي كان يجلس عليه، وتابع بهذه العبارات، مُصدِراً الحكم على يسوع: «ان أُمتك انكرتكَ ملكاً. وبناءً عليه آمُرُ أولاً بأن تُجلَد بحسب تشريعات الأُمراء القدامى.» وأمر بعد ذلك بأن يُصلَب في المكان الذي أُوقِفَ فيه، مع شقيَّين، إسماهما دِيْسْماسْ وجِسْتاسْ.

١٠ ـ الصلب

وخرج يسوع من مقرّ القضاء واللصّان معه. وعندما وصل الى المكان المدعو جُلْجُثَة، عرّاه الجنود من ثيابه وزنّروه بقطعة قماش، ووضعوا على رأسه إكليل شوك، وجعلوا بين يدَيه قصبة. وصلبوا كذلك اللصَّين إلى جانبَيه، دِيْسْماس الى يمينه وجِسْتاس الى يساره. وقال يسوع: «يا أبتِ، إغفِرْ لَهم واعفُ عنهم، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون.» وتقاسموا ثيابه في ما بينهم. وكان الشعب حاضراً،

والأُمراء، والشيوخ والقضاة يسخرون من يسوع، قائلين: «لقد أنقذ الآخرين، فليُنقِذْ نفسه؛ إذا كان ابن الله، فلينزلْ عن الصليب.» وكان الجنود يهزأون به، ويقدِّمون له شراباً خلاً ومرّاً، قائلين: «إذا كنتَ ملك اليهود، أنقِذْ نفسك بنفسك.» وطعن جنديّ، اسمه لُونْجان، جنبَه، متناولاً حربةً، فخرج منه دمٌ وماء. وأمر الحاكم بأن يُكتَب، على لافتة، استناداً الى تهمة اليهود، بأحرف عبرانية، يونانية ولاتينية: «هذا هو ملك اليهود.» وقال له احد اللصَّين اللذين كانا مصلوبَين، واسمه جِسْتاسْ: «إذا كنتَ المسيح، فأنقِذْ نفسك كما نحن.» وأنّبه دِيْسْماس، مجيباً إياه، قائلاً: «أَلا تخشى الله، أنتَ الذي ممَّنْ صدرت إدانة في حقهم؟ اننا نتلقّى العقاب العادل على ما ارتكبناه، أما هو، فلم يفعل شيئاً من السوء.» وعندما وبّخ رفيقه، قال ليسوع: «أُذكُرْني، يا سيِّد، في ملكوتك.» فأجابه يسوع: «حقاً، أقول لك، ستكون اليوم معي في الفردوس.»

١١ ـــ الموت

كان ذلك نحو الساعة السادسة من النهار، فانتشرت ظلمات على الأرض كلّها حتى الساعة التاسعة. واظلمت الشمس، وإذا بحجاب الهيكل ينشقّ من أعلى الى أسفل قسمَين. ونحو الساعة التاسعة، صاح يسوع بصوتٍ عالٍ: «**إيلي، إيلي، لاما شَبَقْتَنِي**»، مما يعني: «إلهي،إلهي، لِمَ تركتني؟» وبعد ذلك قال يسوع: «يا أبتِ، بين يدَيك استودع روحي.» وأسلم الروح، قائلاً ذلك. ومجّد قائد المئة الله، قائلاً وقد رأى ما حدث: «لقد كان هذا الرجل صدِّيقاً.» وعاد الحاضرون كلّهم، قارعين صدورهم، وقد أقلقهم ما رأوا. ونقل قائد المئة الى

الحاكم ما حدث؛ فاستولى على الحاكم إذ سمعه حزن شديد، ولم يأكلا ولا شربا ذلك اليوم. وقال بيلاطس لليهود، وقد استدعاهم: «هل رأيتم ماذا حدث؟» فأجابوا الحاكم: «ان الشمس توارت في الشكل المعتاد.»

وكلّ الذين كانوا مولَعين بيسوع كانوا واقفين بعيداً، كما النسوة اللواتي تبعنه من الجليل. وإذا برجلٍ اسمه يوسف، وهو رجل صدِّيق وصالح، ولم يشارك في اتهامات اليهود ورداءاتهم، وكان من الرّامة، وهي مدينة من اليهودية، وكان ينتظر ملكوت الله، طلب من بيلاطس جسد يسوع. وإذ رفعه عن الصليب، لفّه في كَفَنٍ نقيٍّ جداً، ووضعه في قبرٍ جديدٍ تماماً ابتناه لنفسه، ولم يُدفَن فيه أحد.

١٢ ــ يوسف خارج الزنزانة

وإذ علم اليهود بأن يوسف طلب جسد يسوع، كانوا يبحثون عنه، كما عن الرجال الاثني عشر الذين صرّحوا بأن يسوع لم يولد من الزِّنا، ونيقوديموس والآخرين، الذين مثلوا امام بيلاطس، وشهدوا لأعمال يسوع الصالحة. وكان الجميع مختبئين، لكن نيقوديموس وحده أظهر نفسه لهم، لأنه كان أميراً لليهود، وقال لهم: «كيف دخلتم المعبد؟» فأجابوه: «وأنتَ، كيف دخلت المعبد، عندما كنت مولَعاً بيسوع؟ فلتكُنْ لك حصّة معه في الدهور الآتية.» فأجاب نيقوديموس: «آمين، آمين، آمين.»

وأظهر يوسف نفسه كذلك وقال لهم: «لِمَ أنتم ساخطون عليَّ لطلبي من بيلاطس جسد يسوع؟ ها انني وضعته في قبري الخاص، ولففته بكفنٍ نقيٍّ جداً، وأقمتُ حجراً عظيماً الى جانب المغارة. لقد أسأتم التصرُّف ضد الصدِّيق الذي صلبتموه، وطعنتموه بحربة.»

وإذ سمع اليهود ذلك، أمسكوا بيوسف وسجنوه، إلى ان انقضى احتفال السبت. وقالوا له: «في هذا الوقت، لا نستطيع ان نفعل شيئاً ضدك، لأن يوم السبت سطع. نعلم أنكَ غير أهلٍ بقبر، لكننا سنترك لحمك لطيور السماء ووحوش الأرض.» وأجاب يوسف: «هذه الكلمات شبيهة بكلمات جوليات المتغطرس، الذي قاوم الله الحيّ وضربه داوود. ان الله قال بصوت النبي: «سأحتفظ لنفسي بالانتقام.» وبيلاطس، القاسي القلب، غسل يدَيه في سطوع الشمس، صائحاً: «أنا طاهر من دم هذا الصدِّيق.» وقد أجبتم: «دمه علينا وعلى أولادنا.» إنني أخشى الآن أن يثقل غضب الله عليكم وعلى أولادكم، كما قلتم ذلك.»

واستاء اليهود حنقاً، وقد سمعوا يوسف يتكلّم هكذا، وإذ أمسكوا به، سجنوه في زنزانة لا نافذة فيها. وأقام حنانيا وقيافا حراساً على الباب ووضعا ختمهما على المفتاح. وتداولا مع الكهنة واللاويين، ليتجمّعوا كلّهم بعد يوم السبت، وفكّرا بأي ميتة يعاقبون يوسف. وحين اجتمعوا، أمر حنانيا وقيافا بأن يؤتى بيوسف، وإذ نزعا الختم، فتحا الباب، فلم يجدا يوسف في الزنزانة التي سجناه فيها. فأُصيب المجلس كلّه بالذهول، لأنهم وجدوا الباب مختوماً. وانسحب حنانيا وقيافا.

١٣ ــ رواية الجنود

وإذ امتلأ الجميع دهشةً، دخل المعبد احد الجنود الذين أُقيموا لحراسة القبر، وقال: «فيما كنا ساهرين على قبر يسوع، زلزلت الأرض، ورأينا ملاك الربّ نزع حجر المدفن وجلس عليه. وكان وجهه

يلمع مثل الصاعقة؛ وثيابه بيضاء مثل الثلج. ولبثنا مثل أمواتٍ هلعاً. وسمعنا الملاك يقول للنسوة الآتيات إلى مدفن يسوع: «لا تخفن، أعلم أنكن تطلبن يسوع المصلوب؛ لقد قام، كما تنبّأ بذلك. تعالين، وانظرن الموضع الذي جُعِلَ فيه، وسارعن في القول لتلاميذه انه قام من بين الأموات، وانه يسبقكم الى الجليل؛ هناك ترَونه.»

وإذ استدعى اليهود كل الجنود الذين كانوا مولّجين بحراسة يسوع، قالوا لهم: «مَنْ هن تلك النسوة اللواتي كلّمهن الملاك؟ لِمَ لم تقبضوا عليهن؟» فأجاب الجنود: «لا ندري مَنْ كانت تلك النسوة ولبثنا كأموات، من فرط ما كان الملاك يوحي الينا بالخوف؛ فكيف كان يمكننا القبض على تلك النسوة؟»

وقال اليهود: «ليحيَ الربّ! اننا لا نصدّقكم.» وأجاب الجنودُ اليهودَ: «لقد رأيتم يسوع يصنع كثيراً من المعجزات، ولم تصدّقوا ذلك؛ فكيف تصدّقون كلامنا؟ انكم أجبتم بالقول: «ليحيَ الربّ!»، لأنه يحيا الربّ الذي سجنتموه. اننا علمنا انكم سجنتم في زنزانة، ختمتم بابها، يوسف ذاك الذي طيَّبَ جسد يسوع، وعندما جئتم تطلبونه، ما عدتم وجدتموه. سلِّمونا يوسف الذي سجنتموه، فنسلِّمكم يسوع، الذي كنا نحرسه في المدفن.» وأجاب اليهود: «سنسلِّمكم يوسف؛ سلِّمونا يسوع، لأن يوسف في مدينة الرّامة.» وأجاب الجنود: «كما ان يوسف في الرّامة، يسوع في الجليل، مثلما سمعنا الملاك يعلن ذلك للنسوة.» وخاف اليهود وقد سمعوا ذلك، وقالوا في ما بينهم: «عندما يسمع الشعب هذا الحديث، يؤمن الجميع بيسوع.» وإذ جمعوا مبلغاً ضخماً من المال، أعطَوه للجنود، قائلين: «قولوا ان تلاميذ يسوع أتَوا خلال الليل، فيما كنتم نياماً، وسرقوا جسده. وإذا علم الحاكم

بيلاطس بذلك، نهدِّئه حيالكم، ولن يُتَعَرَّض لكم.» فقال الجنود، آخذين المال، ما أوصاهم به اليهود.

١٤ ـ يسوع على جبل الزيتون

وقَدِم كاهن اسمه فِيْنِيْه، وعدّاس الذي كان معلِّم مدرسة، ولاويّ اسمه أجِّيْه، هم الثلاثة من الجليل إلى أُورشليم، وقالوا لأُمراء الكهنة ولكل الذين كانوا في المعبد: «ان يسوع الذي صلبتموه، رأيناه يتكلّم مع أحد عشر من تلاميذه، جالساً في وسطهم، على جبل الزيتون وقائلاً لهم: «أُمضوا في العالم بأسره، وبشِّروا الأُمم كلّها، وعمِّدوا الأُمم باسم الآب والابن والروح القدس. ومَنْ يؤمن ويُعَمَّد، يخلص.» وحين قال هذه الأشياء لتلاميذه، رأيناه يصعد الى السماء.»

ولدى سماعهم ذلك، قال أُمراء الكهنة، والشيوخ واللاويون لأولئك الرجال الثلاثة: «مجِّدوا إله إسرائيل، واستشهدوه على ان ما رأيتم وسمعتم صحيح.» فأجابوا: «ليحيَ ربّ آبائنا، إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب! لقد سمعنا يسوع يتكلّم مع تلاميذه، ورأيناه يصعد الى السماء؛ اننا نقول الحقيقة. إنْ صمتنا على اننا سمعنا يسوع يلقي ذلك الخطاب على تلاميذه، وعلى أننا رأيناه يصعد الى السماء، نرتكب خطيئة.» فقال لهم أُمراء الكهنة، ناهضين على الفور: «لا ترووا لأحد ما قلتم عن يسوع.» واعطوهم مبلغاً ضخماً من المال. وارسلوا ثلاثة رجال معهم ليُعادوا الى بلدهم، ولا يكون لهم أي مقام في أُورشليم.

وإذ اجتمع اليهود كلّهم انهمكوا في ما بينهم بتأملات خطيرة، قائلين: «ما الذي طرأ في اسرائيل؟» فقال لهم حنانيا وقيافا معزِّيَين

إياهم: «أعلينا ان نصدِّق الجنود الذين كانوا يحرسون ضريح يسوع، والذين قالوا لنا ان ملاكاً نزع حجر باب الضريح؟ ربما تلاميذه قالوا لهم ذلك واعطَوهم مالاً كثيراً لحملهم على التعبير هكذا والإغضاء عن خطف جسد يسوع. اعلموا ان لا ينبغي تصديق كلام هؤلاء الأغراب مطلقاً، لأنهم تلقَّوا منا مبلغاً كبيراً، وقالوا في كل مكان ما نصحناهم بقوله. والحال هذه، يمكنهم فعلاً ان يكونوا ناكثين بتلاميذ يسوع كما بنا تماماً.»

١٥ ــ دعوة يوسف وشهادته

وقال نيقوديموس، ناهضاً: «تتكلّمون في الاستقامة، يا ابناء إسرائيل. لقد سمعتم كلّ ما قاله اولئك الرجال الذين كانوا يُقسِمون بشريعة الربّ. قالوا: "لقد رأينا يسوع يتكلّم مع تلاميذه على جبل الزيتون ورأيناه يصعد إلى السماء." ويعلِّمنا الكتاب المقدَّس ان إيليا المغبوط خُطِفَ إلى السماء، وأَليشع، وقد استنطقه ابناء الانبياء الذين كانوا يسألونه: "اين أخانا إيليا؟" قال لهم انه خُطِفَ. فقال له ابناء الانبياء: "ربما خطفه الروح ووضعه على جبال إسرائيل. بل لِنَخْتَرْ رجالاً يذهبون معنا ولنَجُبْ جبال إسرائيل؛ فربما وجدناه." واخذوا أليشع، وسار معهم ثلاثة أيام، فلم يجدوا إيليا. والآن، أنصِتوا إليَّ، يا ابناء إسرائيل، ولنُرسِلْ رجالاً الى جبال إسرائيل، فربما خطف الروحُ يسوع، وربما وجدناه، فنكفِّر عن ذنوبنا.»

وراق رأي نيقوديموس للشعب كلّه، فارسلوا رجالاً، وهؤلاء بحثوا عن يسوع من دون أن يجدوه، وقالوا، وقد عادوا: «لم نصادف يسوع في الأمكنة التي جُبْناها، لكننا وجدنا يوسف في مدينة الرّامة.» واغتبط الأُمراء والشعب كلّه، وقد سمعوا ذلك، ومجّدوا إله إسرائيل

لأنهم وجدوا يوسف الذي سجنوه في زنزانة، ولم يعثروا عليه ثانيةً. وإذ جمعوا حشداً ضخماً، قال أُمراء الكهنة: «كيف يمكننا الإتيان بيوسف إلينا والتحدُّث اليه؟» وكتبوا ليوسف، متناولين ورقاً، قائلين: «السلام عليك وعلى كلّ الذين هم معك. نعلم اننا خطئنا في حق الله وحقك. تكرَّمْ إذاً بالمجيء الى آبائك وابنائك، لأن خطفك ملأنا دهشةً. نعلم اننا تصوّرنا قصداً شريراً ضدك، فحماك الربّ وخلّصكَ من نوايانا الشريرة. ليكن السلام معك، ايها السيِّد يوسف، ايها الرجل المحترم بين الشعب كلّه.» واختاروا سبعة رجال، اصدقاءَ ليوسف، وقالوا لهم: «عندما تصلون إزاء يوسف، أدُّوا له تحيّة السلام، وسلّموه الرسالة.» وإذ وصل الرجال إزاءَ يوسف، حَيُّوه، وسلَّموه الرسالة. وبعدما قرأها يوسف، قال: «مباركٌ الربّ الإله الذي حفظ إسرائيل من إراقة دمي. كُنْ مباركاً، يا إلهي، الذي حميتني بجناحَيك.» وقبّل يوسف الرُسل واستقبلهم في منزله.

وفي الغد، انطلق يوسف معهم، راكباً حماراً، ووصلوا إلى أُورشليم. وحين علم اليهود بقدومه، هرعوا جميعاً إلى أمامه، صائحين وقائلين: «السلام لوصولك، ايها الأب يوسف!» فأجابهم: «ليكن سلام الربّ مع الشعب كلّه.» وقبّلوه كلّهم. واستقبلهم نيقوديموس في منزله، مرحِّباً بهم بإكرامٍ عظيم ومجاملة.

وفي الغد، الذي كان يوم التوطئة، قال حنانيا وقيافا ونيقوديموس ليوسف: «سبِّح إله إسرائيل، وأجِبْ على كل ما سنسألك إياه. لقد كنا ثائرين عليك، لأنك دفنتَ جسد الربّ يسوع، وسجنّاك في زنزانة حيث ما عدنا عثرنا عليك ثانيةً، مما ملأنا دهشةً وأخافنا جداً إلى ان رأيناك ثانيةً. إروِ لنا إذاً، في حضرة الله، ما حدث.»

أجاب يوسف: «عندما سجنتموني مساء يوم الفصح، فيما كنت أتضرّع في وسط الليل، حصل كأن المنزل رُفِعَ في الفضاء. ورأيت يسوع لامعاً كالبرق، فسقطتُ أرضاً، وقد استولى عليَّ الرعب. فرفعني يسوع فوق الأرض، آخذاً بيدي، وكان العَرَق يكسو جبيني. وإذ مسحت وجهي، قبّلني وقال لي: «لا تخشَ شيئاً، يا يوسف، تطلَّعْ إليَّ، وانظُرْ، فهذا أنا.» وتطلَّعت وصحت: «يا سيِّدي إيليا!» فقال لي: «لستُ إيليا، بل أنا يسوع الناصري الذي دفنتَ جسده.» فأجبته: «أرنِ الضريح الذي وضعتك فيه.» فقادني يسوع، ممسكاً إياي بيدي، إلى الموضع الذي دفنته فيه. وأراني الكفن والقماش الذي لففتُ به رأسه. عندها عرفت انه كان يسوع، فسجدتُ له، وقلت: «مبارك الآتي باسم الربّ.» وقادني يسوع، ممسكاً إياي بيدي، إلى منزلي في الرّامة، وقال لي: «السلام معك، ولا تخرج من منزلك، طيلة أربعين يوماً، وسوف أعود إلى تلاميذي.»

١٦ ــ طلب الرجال الثلاثة

عندما سمع أُمراء الكهنة والكهنة الآخرون واللاويون هذه الأشياء، أُصيبوا بالذهول، وسقطوا أرضاً على وجوههم كأموات، وإذ عادوا الى وعيهم، صاحوا: «ما هي هذه الآية التي ظهرت في أُورشليم؟ فنحن نعرف أبا يسوع وأُمه.» وقال احد اللاويين: «أعرف ان أباه وأُمه كانا شخصَين يخافان الله، وكانا دوماً يصلّيان في الهيكل مقدّمَين قرابين ومحرقات لإله إسرائيل. وعندما تلقّاه الكاهن الأعظم سمعان، قال، ممسكاً إياه بيدَيه: «الآن، يا ربّ، أطلِقْ خادمك في سلام بحسب كلمتك، لأن عينَيَّ رأتا المخلِّصَ الذي أعددته في حضور كلّ الشعوب،

النورَ الذي يجب ان يفيد للوحي المُعلَن للأُمم ولمجد نسلك إسرائيل.» وسمعان هذا نفسه بارك أيضاً مريم، أُم يسوع، وقال لها: «أُنبئك في شأن هذا الطفل بأنه وُلِد لهلاك كثيرين وقيامتهم وعلامة مخالفة. وسيجوز السيف نفسك إلى ان تُعرَف أفكار قلوب كثيرين.»

عندها قال اليهود: «لنُرسِلْ في طلب أولئك الرجال الثلاثة الذين يقولون انهم رأَوه مع تلاميذه على جبل الزيتون.» وحين تمّ ذلك وجاء أولئك الرجال الثلاثة واستُنطقوا، أجابوا بصوتٍ واحد: «ليحيَ الربّ، إله اسرائيل، لأننا رأينا بوضوح يسوع مع تلاميذه على جبل الزيتون وعندما كان يصعد إلى السماء.»

عندها تنحّى حنانيا وقيافا بهم جانباً واستجوباهم كلاً على حدّة. فقالوا انهم رأَوا يسوع، معترفين إجماعياً بالحقيقة. عندها قال حنانيا وقيافا: «شريعتنا توضح ان كلّ كلمة صحيحة، من فم شاهدَين أو ثلاثة. إنما أَلا نعلم ان أخنوخ المغبوط حَسُنَ لدى الربّ ونُقِلَ بكلمة الله، وقبر موسى المغبوط غير موجود، وموت إيليا النبي غير معروف. وعلى العكس سُلِّمَ يسوع لبيلاطس، وجُلِدَ، وكُسِيَ بصقاً، وكُلِّلَ بشوك، وطُعِنَ بحربة وصُلِبَ؛ ومات على الصليب، وقُبِرَ، ودفن الأب المحترم يوسف جسده في قبر جديد، ويؤكد انه رآه حياً. وهؤلاء الرجال الثلاثة يشهدون انهم رأَوه مع تلاميذه على جبل الزيتون وصاعداً الى السماء.»

١٧ ــ إبنا سمعان

وقال يوسف ناهضاً لحنانيا وقيافا: «انتما على حقٍّ بالتعجُّب، لأنكما تعلمان ان يسوع رُؤِي قائماً من الموت وصاعداً الى السماء.

وينبغي الاندهاش أكثر من انه لم يَقُمْ فقط، بل وبعث من القبر موتى كثيرين آخرين وعدد كبير من الأشخاص رأَوهم في أُورشليم. فأنصتا إليَّ الآن، لأننا نعلم جميعاً ان الكاهن الأعظم المغبوط سمعان تلقّى، بيدَيه، يسوع طفلاً في الهيكل. وسمعان هذا رُزِقَ ابنَين، أخوَين أباً وأُماً، وكنا جميعاً شاهدين عندما رقدا، وحضرنا دفنهما. هيّا والحال هذه وانظرا قبرَيهما، لأنهما مفتوحان، وابنا سمعان في بلدة الرّامة، عائشان في التضرُّع. أحياناً نسمع صيحاتهما، لكنهما لا يكلّمان أحداً وهما صامتان كالموتى. تعالا، لنمضِ اليهما ولنصطحبهما الى أمامنا بأقصى اعتبار. وإذا سألناهما بإلحاحٍ، فربما كلّمانا عن سرِّ قيامتهما.»

عند هذه الكلمات، ابتهج الجميع، وإذ ذهب حنانيا وقيافا، ونيقوديموس ويوسف وجَمَلْئيل الى المدفنَين، لم يجدوا الميتَين فيهما، لكنهم إذ قصدوا مدينة الرّامة، وجدوهما جاثيَين فقادوهما الى أُورشليم الى المعبد، وقد قبّلوهما بأعظم احترام وبمخافة الله. وبعدما أُقفِلت الأبواب، تناولوا كتاب الشريعة، ووضعوه بين أيديهما، مستحلفينهما بالله أدوناي وبإله إسرائيل الذي تكلّم بالشريعة وبالأنبياء، قائلين: «إذا كنتما تعلمان انه هو الذي أقامكما من بين الأموات، فقولا لنا كيف قمتما.» وإذ سمع كارينوس ولوسيوس هذه المناشدة، ارتجفا بجسمهما كلّه، وتأوّها من عمق قلبهما، متأثّرَين كلّياً. ورسما إشارة الصليب بإصبعهما على لسانهما، ناظرَين إلى السماء. وعلى الفور تكلّما، قائلَين: «أعطونا رزمَتي ورقٍ لنكتب ما رأينا وسمعنا.» فأعطَوهما إياهما. وإذ جلسا، كتب كلٌّ منهما، قائلاً:

١٨ ـ إعلان الأسرار

«يسوع المسيح، الربّ الإله، قيامة الموتى والحياة، إسمَحْ لنا بإعلان الأسرار بموت صليبك، لأننا نوشدنا بك. لقد أمرتَ بألا تُروى لأحد خفايا جلالك الإلهي كما أظهرتها في الجحيم. عندما كنا مع آبائنا كلّهم، موضوعين في عمق الظلمات، لفّنا فجأةً بهاء ذهبيّ كما الذي للشمس، وأنارنا ضوء رائع. وعلى الفور ارتعش فرحاً آدم، أبو الجنس البشري كلّه، كما الآباء والأنبياء كلّهم، وقالوا: «هذا النور، ان خالق النور مَنْ وعدنا بأن يُرسِل الينا نوراً لا أُفول له، ولا نهاية.»

١٩ ـ صوت العليّ

«وصاح النبيّ أَشعيا، وقال: "انه نور الآب، ابن الله، كما تنبّأتُ بذلك، عندما كنت على أرضَي الأحياء: أرض زبولون وأرض نفتاليم. ما وراء الأُردن، الشعب الجالس في الظلمات سيُبصِر نوراً عظيماً؛ وعلى مَنْ هم في منطقة الموت، يلمع النور. والآن، وصل، ولمع من أجلنا نحن الذين كنا جالسين في الموت." وفيما كنا نهتزُّ كلّنا فرَحاً في النور الذي أضاءَنا، اقترب منا سمعان، أبونا، وقال لنا كلّنا، وهو يهتزُّ فرَحاً: "مجِّدوا الرب يسوع المسيح، ابن الله، لأنني تلقّيته وليداً في يديَّ في الهيكل، ومُلْهَماً من الروح القدس، مجَّدته وقلت: ان عينَيَّ رأتا الآن الخلاص الذي هيَّأتَه في حضور الشعوب كلّها؛ نوراً ينجلي للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل."

«وكان جمهور القديسين كلّه، يهتزُّ حبوراً، وقد سمع هذه الأشياء. ومن ثمّ، وصل فجأةً رجل يشبه ناسكاً، وإذ سأله الجميع: "مَنْ أنتَ؟"، أجابهم، وقال: "أنا يوحنا، صوت العليّ ونبيّه، مَنْ يسبق قُبلَةَ مجيئه ليُهيّيء سُبُلَه، وليُعطي علم الخلاص لشعبه من أجل مغفرة الخطايا.

وإذ رأيته آتياً إليَّ، دفعني الروح القدس، فقلت: هوذا حمل الله؛ هوذا مَنْ يرفع خطايا العالم. وقد عمَّدته في نهر الأُردن، ورأيت الروح القدس ينزل عليه في هيئة حمامة. وسمعت صوتاً من السماوات يقول: هذا هو ابني الحبيب، الذي وضعتُ فيه رضاي كلّه، أنصتوا اليه. والآن، سبقتُ وجهه، ونزلتُ أُبشِّركم بأن ابن الله بنفسه وقد قام من فوق سيزورنا عما قليل آتياً الينا نحن الجالسين في الظلمات وفي ظل الموت.»

٢٠ ـ رواية شيت

«وعندما سمع الأب آدم، أولُ المكوَّنين، هذه الأشياء، وهي ان يسوع عُمِّد في الأُردن، صاح، متحدِّثاً إلى ابنه شيت: "إروِ لأبنائك، الآباء والانبياء، الأشياء كلّها التي سمعتها من رئيس الملائكة ميخائيل، حين ارسلتُكَ الى أبواب الفردوس، لتتوسّل الربّ ان يسمح بأن يُعطي ملاكُه زيتاً من شجرة الرحمة، وان تدهن جسدي عندما كنتُ مريضاً." عندها قال شيت مقترباً من الآباء القديسين ومن الأنبياء: "أنا، شيت، فيما كنتُ أتضرّع امام الربّ على أبواب الفردوس، إذا بملاك الربّ، ميخائيل، يظهر لي، قائلاً: أرسلني اليك الربّ، أنا أسهر على الجسد البشري. أقول لكَ هذا، يا شيت، لا تُصَلِّ بالدموع، ولا تطلب زيت شجرة الرحمة لتدهن أباك آدم بسبب أوجاع جسده، فلن تستطيع، في أي شكل، ان تأخذ منه إلا في الأيام الأخيرة، وإلا عندما تكون قد تمّت خمسة آلاف وخمسمئة سنة؛ عندها يأتي ابن الله، ملؤه الحب، إلى الأرض، ويُقيم جسد آدم، ويُقيم في الوقت نفسه أجساد الموتى. ولدى قدومه، يُعَمَّد في الأُردن. وعندما يخرج من ماء الأُردن، إذاك

يدهن بزيت رحمته كلّ الذين يؤمنون به، وزيت الرحمة يكون لجيل الذين يجب أن يولدوا بالماء وبالروح القدس للحياة الأبديّة. إذاك يسوع المسيح، ابن الله، المملوء حباً، نازلاً من السماء، يُدخِل أبانا آدم الفردوس إلى قرب شجرة الرحمة." وأحسّ الآباء والأنبياء بفرحٍ عظيم، وقد سمعوا هذه الأشياء التي كان يقولها شيت.

٢١ ـ الشيطان وأمير الموت

«وعندما كان القدّيسون كلّهم يهتزّون حبوراً، إذا بالشيطان، أمير الموت ورأسه، يقول لأمير الجحيم: "استعدَّ أنتَ بنفسك للقبض على يسوع الذي يتباهى بأنه المسيح، ابن الله، والذي هو رجل يخشى الموت، طالما انه يقول: نفسي حزينة حتى الموت. لأنه قاومني في أمور عدّة، ورجال كثيرون حوّلتُهم عمياناً، عُرجاً، صُماً، بُرصاً، وعذَّبتُهم بشياطين مختلفة، شفاهم بكلمة. والذين أتيتُكَ بهم موتى، خطفهم منك."

«فقال أمير التتر، مجيباً الشيطان: "مَنْ هو هذا الأمير القوي إلى هذا الحدّ، والذي يخشى مع ذلك الموت؟ فأقوياء الأرض كلّهم أخضعتهم قوتي، عندما أتيتَ بهم منقادين بسلطانك. فإنْ كنتَ إذاً قوياً، فمَنْ هو يسوع هذا الذي يقاومك، وهو يخشى الموت؟ إذا كان قوياً بهذا المقدار في إنسانيته، فانني أقول لكَ حقاً، انه قوي تماماً في ألوهته، وما من أحد يستطيعُ مقاومة قدرته. وعندما يقول انه يخشى الموت، يريد خداعك، والويل لكَ في الأزمان الأبدية."

«وأجاب الشيطان، أمير الموت، وقال: "لِمَ تتردّد في القبض على يسوع هذا، خصمك وخصمي؟ فقد جرّبتُه وأثرتُ ضده شعبي

اليهودي القديم، مُهيجاً إيّاه حقداً وغضباً؛ وشحذت حربة الاضطهاد، مزجتُ مرّاً وخلاً، ودفعتُ إلى إعطائه ليشرب، ودفعت إلى تحضير الخشبة لصلبه ومساميرَ لثقب يدَيه وقدمَيه، وموته قريب، وسوف آتيك به خاضعاً لكَ ولي."

«وأجاب أمير الجحيم وقال: "قلت لي انه هو مَن انتزع مني موتى. كثيرون هنا احتجزهم، وفيما كانوا يعيشون على الأرض، خطفوا مني موتى، لا بقدرتهم الخاصة، بل بالصلوات التي كانوا يوجّهونها إلى الله، وإلههم العليّ القدير انتزعهم مني. مَنْ هو إذاً يسوع هذا الذي انتزع مني موتى، بكلمته؟ ربما هو الذي أحيا، بكلمته الحاسمة، لعازر، الذي كان ميتاً منذ أربعة أيام، ملؤه النتانة وفي انحلال، والذي كنتُ أسجنُه ميتاً."

«وأجاب الشيطان، أمير الموت، وقال: "انه يسوع هذا بالذات."

«فقال له أمير الجحيم، وقد سمع ذلك: "أتوسّل اليك بقوتك وقوتي، ألا تأتي به إليّ. فعندما سمعتُ قوة كلمته، ارتجفتُ، وقد استولى عليّ الرعب، وفي الوقت نفسه اضطرب معي خدّامي الكفرة كلّهم. اننا لم نستطع الاحتفاظ بلعازر، بل خرج من بيننا، مُفلِتاً منا بكلّ رشاقة النسر وسرعته، وتلك الأرض نفسها التي كانت تحتجز جسد لعازر المسلوب الحياة أعادته حياً على الفور. هكذا أعلم الآن ان هذا الرجل الذي استطاع إنجاز هذه الأشياء هو الله القوي في سلطانه، والقادر في الإنسانية، وهو مخلّص الجنس البشري، فإذا أتيتَ به إليّ، فسوف يُطلِق كلّ الذين أحتجزهم هنا محبوسين في قسوة السجن، ومقيَّدين بأغلال خطاياهم غير المُحَطَّمة، وسوف يقودهم بألوهته إلى الحياة التي ستدوم كما الأبدية."

٢٢ ــ دخول المسيح إلى الجحيم

«وفيما كانا يتكالمان هكذا، الشيطان وأمير الجحيم، حدث صوتٌ مثل صوت الرعود وضجيج الإعصار: "أيها الأُمراء، إرفعوا أبوابكم، وارتفعي، أيتها الأبواب الأبديّة، فيدخل ملك المجد."

«وإذ سمع أمير الجحيم ذلك، قال للشيطان: «ابتعِدْ عني واخرُجْ من مساكني؛ إذا كنتَ مقاتلاً قوياً، فقاتِلْ ضد ملك المجد. إنما ما الأمر بينك وبينه؟" ورمى أميرُ الجحيم الشيطانَ خارج مساكنه. وقال أمير الجحيم لخدّامه الكفرة: "أَغلِقوا أبواب الفولاذ القاسية، وادفعوا مزاليج الحديد، وقاوموا ببسالة خوفاً من ان نؤسَر، نحن الذين نحرس الأسرى."

«لكن لدى سماعه ذلك، قال جمهور القدّيسين كلّه لأمير الجحيم بصوتٍ تأنيبٍ: "إفْتَحْ أبوابك، ليدخل ملك المجد." وصاح داوود، ذلك النبيّ الإلهي، قائلاً: "أَلَمْ أتنبّأ لكم، عندما كنتُ على أراضي الأحياء، بأن مراحم الربّ ستشهد له، وان آياته ستُنبئ به أبناء البشر، لأنه حطّم أبواب الفولاذ وكسر مزاليج الحديد؟ لقد انتزعها من طريق الإثم." ومن ثمّ، قال نبيٌّ آخر، هو أشعيا، كذلك للقدّيسين كلّهم: "أَلَمْ أتنبّأ لكم، عندما كنتُ على أراضي الأحياء بأن الموتى يستيقظون ومَنْ هم في القبور يقومون، ومَنْ هم في الأرض يهتزّون فرحاً، لأن النّدى الآتي من الربّ هو شفاؤهم؟ وقلتُ أيضاً: أيها الموت، أين انتصارك؟ أيها الموت، أين شوكتك؟" وقال القدّيسون كلّهم لأمير الجحيم، وقد سمعوا كلمات أَشعيا هذه: "إفْتَحْ أبوابك؛ الآن، أنت عديم القوة، منهزماً ومصروعاً." وحدث صوت كما صوت الرعود، قائلاً: "أيها الأُمراء، إرفعوا أبوابكم، وارتفعي، أيتها الأبواب الأبدية، فيدخل ملك المجد."

«فقال أمير الجحيم، وقد لاحظ ان هذه الصيحة سُمِعت مرتين، كما لو انه كان جاهلاً: "مَنْ هو ملك المجد هذا؟ "فقال داوود، مجيباً ملك الجحيم: "أعرف كلمات هذه الصيحة، فهي نفسها التي تنبّأتُ بها بوحيٍ من روحه. والآن ما سبق وقلتُ، أكرِّره لكَ: ان الربّ القويّ والقادرَ، الربّ القادر في القتال، هو ملك المجد، والربّ نظر من السماء إلى الأراضي، ليسمع نواح مَنْ هم مسجونون، وليُطلِقَ أبناء مَنْ أُعدِموا. والآن، يا أمير الجحيم الدَّنِس والبَشِع، إفْتَحْ أبوابك، ليدخل ملك المجد." وإذ قال داوود هذه الكلمات لأمير الجحيم، دخل ربّ الجلال بغتةً في هيئة رجل، وأضاء الظلمات الأبدية، وكسر الأغلال التي لم تكن محطَّمة، وزارتنا معونة قوةٍ لا تُقهَر، نحن الذين كنا جالسين في أعماق ظلمات الآثام، وفي ظلّ موت الخطايا.

٢٣ ـ ملك المجد يسحق الموت

«واستولى الرعب على أمير الجحيم وعلى الموت ومأموريهما الكفرة، وقد رأوا ذلك، مع خدّامهم القساة، عندما رأوا الضياءَ الباهرَ لنورٍ قويٍّ إلى هذا الحدّ، والمسيحَ مقيماً فجأةً في مساكنهم، وصاحوا قائلين: "لقد هزمتنا. مَنْ أنتَ، أنتَ الذي أرسله الربّ لبلبلتنا؟ مَنْ أنتَ، أنتَ، الذي من دون إصابة فساد، وبتأثير جلالك الذي لا يُقاوَم، استطعتَ هدم قدرتنا؟ مَنْ أنتَ، أنتَ، البالغ الكِبَر والبالغ الصِّغَر، البالغ الاتّضاع والبالغ السموّ، الجندي والقائد، المحارب الرائع في هيئة عبد؟ ملك المجد الميت والحيّ الذي حمله الصليب مُعدَماً. أنتَ الذي لبثتَ ميتاً ممدَّداً في القبر والذي نزل حيّاً إلينا؟ وكل مخلوقٍ ارتجف في موتك، وكل الكواكب تزعزعت، والآن أصبحتَ حراً بين الموتى، وتُبلبِلُ جوقاتنا. مَنْ أنتَ، أنتَ، الذي يفكُّ الأسرى ويغمر بنورٍ ساطعٍ مَنْ أعمتهم ظلمات الخطايا؟"

«وصاحت بالمثل جوقات الشياطين كلّها التي أُصيبت بفزعٍ مشابه، بخضوع خائفٍ وبصوتٍ إجماعيّ، قائلةً: «من أين أنتَ، يا يسوع، أيها الرجل البالغ القدرة وصاحب الجلال البالغ الرِّفعة، البالغ السطوع، البلا عيبٍ والطاهر من الجريمة؟ فهذا العالم الأرضي الذي كان دوماً خاضعاً لنا حتى الآن، الذي كان يدفع لنا إتاوات لممارساتنا المنكرة، لم يُرْسِلْ إلينا أبداً ميتاً كهذا، ولم يخصِّصْ هدايا مماثلة للجحيم؟ مَنْ أنتَ إذاً، أنتَ الذي اجتزتَ بلا خوفٍ حدود مناطق نفوذنا، ولا ترهب فقط عذاباتنا، بل وتحاول فوق ذلك إطلاق كل الذين نحتجزهم في أغلالنا؟ ربما أنتَ يسوع ذاك الذي يقول الشيطان، أميرنا، انكَ بموتِكَ على الصليب، ستنال قدرةً لا حدود لها على العالم بأسره."

«عندها حرم ملك المجد الجحيم من قدرته كلّها وقاد آدم إلى جلاء نوره، ساحقاً في جلاله الموت تحت قدمَيه، وقابضاً على الشيطان.

٢٤ ـ إخضاع الشيطان

«إذاك قال أمير الجحيم للشيطان، موبِّخاً إيّاه بملامات عنيفة: "يا بعل زبوب، يا أمير اللعنة ورأس الدمار، يا سخرية ملائكة الله، يا نفاية الصدِّيقين، ماذا أردتَ أن تفعل؟ لقد أردتَ صلبَ ملك المجد، الذي بهلاكه وموته وعدتنا بغنائم عظيمة جداً؟ أَتجهل كيف تصرّفتَ في جنونك؟ فها ان يسوع هذا يبدِّد، بسطوع أُلوهته، ظلمات الموت كلّها؛ لقد حطّم أعماقَ أمتن السجون، وهو يُطلِق الأسرى، ويُفرِجُ عمَّن هم مسجونون؛ ها ان كل الذين كانوا ينوحون تحت وطأة عذاباتنا يشتموننا، ونحن مُثْقَلون بلعناتهم. ان امبراطورياتنا وممالكنا هُزِمَت، وما عدنا نوحي بالهلع، للجنس البشري.

«"انهم على العكس، يتهدّدوننا ويشتموننا، أولئك الذين، موتى، ما

استطاعوا أبداً إظهارَ تكبُّرٍ أمامنا وما استطاعوا أبداً الإحساس بلحظة حبورٍ خلال أسرهم.

«"أيها الشيطان، يا أميرَ الشرور كلّها، يا أبا الكفرة والعصاة، ماذا أردتَ أن تفعل؟ ان الذين يئسوا من الخلاص ومن الحياة، منذ البدء حتى الآن، ما عادوا يُسمِعون نواحاً، وأيٌّ من أنّاتهم لا تُصدي، ولا نجد أي أثرِ دموعٍ على وجه أيٍّ منهم.

«"أيها الأمير الشيطان، يا مالك مفاتيح الجحيم، لقد خسرت الآن بخشبة الصليب تلك الثروات التي حصلتَ عليها بخشبة الإخلال بالواجب وخسارة الفردوس، وحبورك كلّه تبدّد عندما علّقت على الصليب ذلك المسيح، يسوع، ملك المجد، وتصرّفت ضد نفسك وضدي. إعْلَمْ من الآن فصاعداً كم من أوجاعٍ أبدية وعذابات لامتناهية مخصَّصة لك تحت حراستي التي لا تعرفٌ نهاية.

«"أيها الشيطان، يا أمير الأشرار كلّهم، يا صانعَ الموت وأصل التكبُّر، كان عليك أولاً أن تبحث عن ملامةٍ صحيحة توجّهها إلى يسوع هذا، وبما انكَ لم تجدْ فيه أي إثم، لِمَ تجرّأتَ من دون سبب على صلبه ظلماً والإتيان بالبريء والصدِّيق إلى منطقتنا؟ وقد خسرتَ سيئي العالم بأسره، وكفرته وظالميه."

«وبينما كان أمير الجحيم يتحدّث هكذا إلى الشيطان، إذاك قال ملك المجد لأمير الجحيم: "ان الأمير الشيطان سيكون تحت سلطانك مدى الدهور بدلاً من آدم وأبنائه، الذين هم صدِّيقيّ."

٢٥ ــ الربّ يبارك آدم

«وبسط الربّ يده، وقال: "تعالَوا إليَّ، يا قدِّيسيّ كلّكم، الذين أنتم صورتي وشبهي. أنتم الذين أُدِنتم بالخشبة، والشيطان والموت، سوف ترَون ان الشيطان والموت مُدانان بالخشبة." وعلى الفور اجتمع

القــدِّيســون كلّهم تحت يد الربّ. وممسكاً بيــد آدم، قــال له الربّ: "السلام لكَ مع أبنائك كلّهم، صدِّيقيّ."

«وإذ جثا آدم عند ركبتَي الربّ، توسّل إليه ساكباً دموعاً، قائلاً بصوتٍ عالٍ: "يا ربّ، سوف أُمجِّدُكَ، لأنكَ قبلتني ولم تجعل أعدائي ينتصرون عليّ. يا ربّ، يا إلهي، صرختُ إليك، فشفيتَني، يا ربّ. أخرجتَ نفسي من الجحيم، وخلّصتني بعدم تركي مع أولئك الذين يهبطون إلى الهاوية. أَنشِدوا تسابيح الربّ، أنتم كلّكم الذين هم قدّيسوه، واعترفوا لذكرى قداسته. لأن الغضبَ في سخطه، والحياةَ في مشيئته."

«وقال قدّيسو الله كلّهم بالمثل بصوتٍ إجماعي، جاثين عند ركبتَي الربّ: "لقد وصلتَ، يا مخلِّص العالم، وأتممتَ ما أنبأتَ به بشريعتك وبأنبيائك. افتديتَ الأحياءَ بصليبك، وبموت الصليب، هبطتَ إلينا لتنتزعنا من الجحيم ومن الموت، بجلالك. يا ربّ، كما انك وضعتَ عنوان مجدك في السماء، ورفعتَ إشارة الخلاص، صليبك على الأرض، كذلك، يا ربّ ضَعْ في الجحيم إشارة انتصار صليبك، لئلا يعاود الموت الغلبة."

«ورسم الربّ، باسطاً يده، إشارةَ صليبٍ على آدم وعلى قدّيسيه كلّهم، وممسكاً بيد آدم اليمنى، ارتفع من الجحيم. وتبعه القدِّيسون كلّهم. عندها صاح النبي داوود بقوّة: "أَنشِدوا للربّ نشيداً جديداً، لأنه صنع أشياء باهرة. يمينه وذراعه أنقذتانا. الربّ عرّف بخلاصه؛ كشف عدله في حضور الأُمم." وأجاب جمهور القدّيسين كلّه، قائلاً: "هذا المجد للقدِّيسين كلّهم. آمين. سبِّحوا الله." وعندها صاح النبي حبقوق، قائلاً: "لقد خرجت لخلاص شعبك، ولإنقاذ مختاريك." وأجاب القدِّيسون كلّهم، قائلين: "مباركٌ الآتي باسم الربّ، الربّ الإله، والذي ينيرنا." وصاح النبي ميخا بالمثل، قائلاً: "أيُّ إله موجودٌ مثلك، يا ربّ،

رافعاً الآثام وماحياً الخطايا؟ والآن تكبح علامة غضبك، لأنك تجنح أكثر إلى الرحمة. لقد أشفقتَ علينا، وغفرتَ خطايانا، وألقيتَ آثامنا كلّها في هاوية الموت، كما أقسمتَ بذلك لآبائنا في الأيام الغابرة."
وأجاب القدِّيسون كلّهم، قائلين: "انه إلهنا إلى الأبد وإلى أبد الآبدين، سوف يحكمنا في الدهور كلّها. آمين. سبِّحوا الله." وكذلك الأنبياء كلّهم تالين مقاطع من أناشيدهم القديمة المخصَّصة لتسبيح الربّ، والقدِّيسون كلّهم.

٢٦ ــ القدِّيسون إلى الفردوس

«وسلّم الربّ آدم، ممسكاً إيّاه بيده، لرئيس الملائكة ميخائيل، وتبع القدِّيسون كلّهم ميخائيل. فأدخلهم كلّهم نعمة الفردوس المجيدة، واستقبلهم رجلان من الأيام الغابرة. فسألهما القدِّيسون، قائلين: "مَنْ أنتما، أنتما اللذان لم تكونا معنا في الجحيم، ووُضِعتما جسدياً، في الفردوس؟" فأجاب أحدهما:"أنا أخنوخ الذي نقلَتني إلى هنا كلمة الربّ. ومَنْ معي هو إيليا التِّشْبِيّ، الذي خُطِفَ بعربةٍ من نار. حتى الآن لم نَذُقْ طعم الموت، لكننا مُستَبْقَيان لمجيء المسيح الدجّال، مسلَّحَين بإشارات إلهيّة وآيات لمحاربته، ولنُقتَل في أُورشليم، ولنُخطَف حيَّين مجدَّداً في السحابات، بعد ثلاثة أيام ونصف."

٢٧ ــ اللصّ المؤمن

«وفيما كان أخنوخ وإيليا يحدِّثان القدِّيسين هكذا، إذا برجلٍ آخر بائس جداً يصل بغتةً حاملاً على كتفَيْه إشارة الصليب. وعندما رآه القدِّيسون كلّهم، قالوا له: "مَنْ أنتَ؟ ان مظهرك مظهر لصّ، وما السبب في حملك إشارة الصليب على كتفيك؟ "فقال، مجيباً إيّاهم: "لقد قلتم الصواب، لأنني كنت لصاً يرتكب الجرائم كلّها على

الأرض. وصلبني اليهود مع يسوع، ورأيت الآيات التي تمّت بصليب يسوع المصلوب، فآمنت بأنه خالق المخلوقات كلّها والملك الكلّي القدرة، وتوسّلت إليه، قائلاً: أُذكُرْني، يا ربّ، عندما يأتي ملكوتك. وعلى الفور قال لي، مستجيباً صلاتي: أقول لكَ، ستكون اليوم معي في الفردوس. وأعطاني إشارة الصليب هذه، قائلاً: أُدْخُل الفردوس حاملاً ذلك، وإذا رفض الملاك حارس الفردوس إدخالَك، أره إشارة الصليب وقُلْ له: انه يسوع المسيح، ابن الله، المصلوب الآن، مَنْ أرسلني. عندما فعلتُ ذلك، قلت هذه الأمور كلّها للملاك حارس الفردوس. وعندما سمعني أقولها أدخلني، فاتحاً على الفور، ووضعني إلى يمين الفردوس، قائلاً: إنتظِرْ قليلاً من الوقت، فيدخل أبو الجنس البشري كلّه، آدم، مع أبنائه كلّهم، قدّيسي المسيح، الربّ المصلوب، وصدّيقيه." وعندما سمعوا كلمات اللصّ هذه كلّها، قال الآباء كلّهم، بصوتٍ إجماعيّ: "مبارك الربّ الكلّي القدرة، أبو الخيرات الأبدية وأبو المراحم، أنتَ الذي منحتَ خاطئين نعمةً كهذه، وأدخلتهم نعمة الفردوس، مراعيكَ الخصبة حيث الحياة الروحية الحقيقية. آمين."

٢٨ ـ نهاية الشهادة

«تلك هي أسرار إلهية ومقدّسة رأيناها وسمعناها، أنا كارينوس، وأنا لوسيوس، ليس مسموحاً لنا بالمتابعة ورواية أسرار الله الأخرى، كما قال لنا رئيس الملائكة ميخائيل، مصرِّحاً بذلك عالياً: "هيّا مع إخوتكما إلى أُورشليم؛ ستتضرّعان، مباركَين قيامة يسوع المسيح وممجِّدينها، أنتما اللذان أقامهما معه من بين الأموات. ولن تتحدّثا مع أيٍّ من البشر، وتظلان جالسَين كأخرسَين، إلى أن تأتي الساعة التي يسمح لكما الربّ فيها برواية أسرار أُلوهته."

«وأمرَنا رئيس الملائكة ميخائيل بالذهاب ما وراء الأُردن إلى مكان ممرعٍ وخصبٍ جداً، حيث كثيرون قاموا معنا، شهادةً على قيامة المسيح، فمسموحٌ لنا لثلاثة أيام فقط، نحن الذين قمنا من بين الأموات، بأن نحتفل في أُورشليم بفصح الربّ مع أهلنا، شهادةً على قيامة الربّ المسيح، وقد عُمِّدنا في نهر الأُردن المقدّس، متسلِّمين كلنا أثواباً بيضاء. وبعد أيام الاحتفال بالفصح الثلاثة، خُطِفَ بسحاباتٍ كلّ الذين قاموا معنا؛ وأُوصِلوا إلى ما وراء الأُردن، ولم يرَهم أحد. انها الأمور التي أمرنا الربّ بروايتها، فسبِّحوه واهتفوا له، وتوبوا، ليُشفِق عليكم. السلام لكم في الربّ الإله يسوع المسيح ومخلِّص البشر كلّهم.آمين. آمين!»

وبعدما أنهيا كتابة هذه الأمور كلّها على رزمتَي ورقٍ منفصلتَين، نهضا. ووضع كارينوس ما كتبه في يدَي حنانيا وقيافا وجَمَلْئيل. وكذلك لوسيوس ما كتبه، على رزمة الورق، أعطاه في يدَي نيقوديموس ويوسف. وفجأةً تغيَّر وجهاهما، وبديا مكسوَّين بثوبَين بياضهما باهر وما عادا رُؤيا. ووُجِدَت كتابتاهما متساويتَين؛ لا أكثر طولاً ولا أقلّ، ومن دون أن يكون هناك حتى حرف مختلف. ودهشت جماعة اليهود كلّها، وقد سمعت ذلك الكلام الرائع لكارينوس ولوسيوس، وقال اليهود الواحد للآخر: «حقاً، انه الله مَنْ صنع هذه الأمور كلّها، فليكن الربّ يسوع مباركاً إلى أبد الآبدين. آمين.» وخرجوا كلّهم بقلقٍ عظيمٍ، وبخوفٍ وارتجافٍ، وقرعوا صدورهم، وأوى كلٌّ إلى بيته. هذه الأمورُ كلّها التي قالها اليهود في معبدهم، نقلها يوسف ونيقوديموس على الفور إلى الحاكم، وكتب بيلاطس كلّ ما قاله اليهود متناولاً يسوع وأثبت تلك الأقوال كلّها في سجلات مقرّ قضائه الرسمية.

٢٩ ـ يسوع هو المسيح

وإذ دخل بيلاطس بعد ذلك هيكل اليهود، جمع أُمراء الكهنة والكتبة وأحبار الشريعة كلّهم، ودخل معهم قدس أقداس الهيكل، وأمر بأن توصَد الأبواب كلّها، وقال لهم: «علمنا انكم تملكون في هذا الهيكل مجموعة كبيرة من الكتب؛ أطلب منكم أن تُروني إياها.» وعندما جاء أربعة من خدّام الهيكل بتلك الكتب، مزيّنة بالذهب والحجارة الكريمة، قال بيلاطس للجميع: «أستحلفكم بالله أبيكم، الذي صنع وأمر بأن يُبنى هذا الهيكل، ألا تُخفوا الحقيقة. أنتم تعلمون الحقيقة. أنتم تعلمون كلّكم ما هو مكتوب في هذه الكتب؛ إنما قولوا لي الآن ما إذا كنتم تجدون في الكتاب المقدّس ان يسوع هذا الذي صلبتموه هو ابن الله الذي يجب أن يأتي لخلاص الجنس البشري، واشرحوا لي كم من السنين ينبغي أن تنقضي قبل مجيئه.»

وإذ كانا عرضةً للإلحاح هكذا، أخرج حنانيا وقيافا من قدس الأقداس كلّ الآخرين الذين كانوا معهما، وأغلقا بنفسهما كلّ أبواب الهيكل وقدس الأقداس، وقالا لبيلاطس: «تسألنا، ببناء هذا الهيكل، أن نُظهِر لك الحقيقة ونعلِّل كلّ الأسرار. بعدما صلبنا يسوع، جاهلين انه كان ابن الله، ومعتقدين بأنه كان يحقِّق معجزاته بسحرٍ ما، عقدنا اجتماعاً كبيراً في هذا الهيكل. وإذ تداولنا في ما بيننا في الآيات التي حقَقها يسوع، وجدنا شهوداً كثراً من أُمتنا قالوا انهم رأوه حياً بعد آلام موته، ورأينا شاهدَين أقام يسوع جسدَيهما من بين الأموات. وأعلنا لنا آيات عظيمة حقّقها يسوع بين الأموات ولدينا بين أيدينا روايتهما خطياً. وهي عادتنا اننا نبحث كل عامٍ عن شهادة الله، فاتحين هذه الكتب المقدّسة أمام معبدنا. ونجد في الكتاب الأول من السبعينيات حيث يكلِّم رئيس الملائكة ميخائيل الابن الثالث لآدم،

الرجل الأول، ذكراً للخمسة آلاف وخمسمئة سنة التي يجب أن ينزل بعدها من السماء المسيح، ابن الله الحبيب، ودقّقنا في ان إله إسرائيل قال لموسى: "إصنعوا لكم تابوتَ عهدٍ طوله ذراعان ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف، وعرضه ذراع ونصف،." في الأذرع الخمس والنصف، فهمنا وعرفنا في صناعة تابوت العهد القديم أن يسوع المسيح يجب أن يأتي في تابوت جسده بعد خمسة آلاف سنة، وكما تؤكد ذلك كتاباتنا المقدَّسة، انه ابن الله، والربّ ملك اسرائيل.

«فبعد آلامه، نحن، أُمراء الكهنة، وقد استولت علينا الدهشة لمرأى المعجزات التي كانت تحصل بسببه، فتحنا هذه الكتب، متفحِّصين الأجيال كلّها حتى جيل يوسف ومريم، أُم يسوع، متصوِّرين انه كان من نسل داوود، ووجدنا ما حقّقه الربّ؛ فحين صنع السماء والأرض وأدم الرجل الأول حتى الطوفان، انقضت ألفان ومئتان واثنتا عشرة سنة. ومنذ الطوفان حتى إبراهيم، تسعمئة واثنتا عشرة سنة. ومنذ إبراهيم حتى موسى، أربعمئة وثلاثون سنة. ومنذ موسى حتى الملك داوود، خمسمئة وعشر سنوات. ومنذ داوود حتى أسر بابل، خمسمئة سنة. ومنذ أسر بابل حتى تجسُّد يسوع المسيح، أربعمئة سنة. وحسابها معاً خمسة آلاف ونصف سنة، وهكذا يظهر ان يسوع الذي صلبناه هو يسوع المسيح، ابن الله، الحق والكلّي القدرة. آمين.»

III ـ إنجيلان غنوصيان[١]

١. إنجيل توما

٢. إنجيل يوحنا

١ ـ راجع المقطع ١٥ من المقدمة.

إنجيل توما

أو «الكلمات الخفيّة ليسوع الحيّ». اكتُشِفَ في نجع حمادي (مصر) عام ١٩٤٦. أثار الكثير من الأخذ والردّ. ظنّ البعض بأنه إنجيل خامس، وقال آخرون انه أقدم الأناجيل كلّها.

الواقع انه وُضِعَ في سوريا باللغة القبطية، خلال القرن الثاني م. تشير إلى ذلك قرابته إلى نصوص أخرى.

مصادر عدّة تتشابك فيه. أحدها غنوصي، وهو الأحدث بينها على الأرجح. وعدد من الكلمات ذو روحية إنجيلية، إنما غير موجود في الأناجيل الأربعة الرسمية، وقد يكون مصدره النقل الشفهي.

إنّه مختارات من ١١٤ فقرة، أو سورة، من كلمات يسوع السريّة، وهنا يكمن طابعه الغنوصي. كاملة في القبطية، ناقصة في اليونانية. وهو أقرب الأناجيل المنحولة إلى الأناجيل الرسمية.

وعادة ما تبدأ فقراته بـ «قال يسوع»؛ أو «أجاب يسوع» على سؤال أحد تلاميذه.

هذه هي الكلمات الخفيّة التي قالها يسوع الحيّ ونسخها ديديم[١] يهوذا توما.

وقال: «مَنْ يتوصّل إلى تفسير هذه الكلمات لا يذوق الموت!»

١. قال يسوع: «على مَنْ يبحث ألا يتوقّف عن البحث إلى أن يجد: حين يجد، سوف يضطرب؛ وعندما يضطرب، سوف يعجب، ويملك العالم!»

٢. قال يسوع: «إذا قال لكم الذين يستميلونكم: «هوذا، الملكوت في السماء!» ـ إذاك، تكون طيور السماء فيه قبلكم. إذا قالوا لكم: «إنه في البحر!» ـ إذاك، تكون الأسماك فيه قبلكم. لكن الملكوت في داخلكم وهو في خارجكم.»

٣. «عندما تعرفون أنفسكم، إذاك يعرفونكم، وتعلمون أنكم أنتم أبناء الآب الحيّ. إنما إذا لم تعرفوا أنفسكم، إذاك تكونون في عُرْيٍ، وأنتم [مَنْ تكونون] العُرْي!»

٤. قال يسوع: «على الشيخ المُثقَل بالأيام ألا يتأخّر في سؤال الوليد ابن الأيام السبعة عن مكان الحياة، فيحيا! فسوف يبدو أن كثيرين أوّلين سيكونون أخيرين، وسيغدون واحداً [أحدا]!»[٢]

٥. قال يسوع: «إعرَفْ ما هو قبالة وجهك، وما هو خفيّ عليك ينكشف لك. فما من شيء خفيّ إلا وينكشف!»

٦. سأله تلاميذه؛ قالوا له: «تريدنا أن نصوم؟ أي طريقة نصلّي بها، نتصدّق بها، وأي وسيلة تغذية نتقيّد بها؟» قال يسوع: «لا

١ ـ كلمة يونانية تعني: التوأم.

٢ ـ إحدى أبرز أفكار هذا الإنجيل: إعادة الوحدة الضائعة.

تقولوا كَذِباً، وما تكرهونه، لا تفعلوه: فكل تلك الأمور ظاهرة في وجه السماء؛ ما من شيءٍ خفيّ إلا وينكشف وما من شيء مستورٍ إلا ويُعلَن!»

٧[1]. قال يسوع: «طوبى لذلك الأسد الذي يأكله الإنسان بحيث يصبح الأسد إنساناً. إنما ملعون الإنسان الذي يأكله الأسد بحيث يصبح الأسد انساناً!»

٨. ثم قال ان: «الانسان يشبه صيّاداً حكيماً ألقى شبكته في البحر. ورفعها من البحر ملأى أسماكاً صغيرةً وجد هذا الصيّاد الحكيم في وسطها سمكةً كبيرةً وممتازة. فطرح الأسماك الصغيرة كلّها في البحر؛ ومن دون تردُّد اختار السمكة الكبيرة. مَنْ له أُذنان للسماع فليسمع!»

٩. قال يسوع: «هوذا؛ الزارع خرج. وملأ يده ورمى. [من الحبوب،] البعض سقط على الطريق، فأتت الطيور ولقطته. وسقطت أُخرى على الصخر، فلم تَجِدْ سبيلاً إلى التجذُّر في الأرض ولم تُثمِرْ سنابل شامخة. وسقطت أُخرى على الأرض الجيِّدة وذلك [الجزء] أنمى ثمراً ممتازاً، فأعطى المكيال ستين و[حتى] مئة وعشرين!

١٠. قال يسوع: «رميتُ النار على العالم، وها انني أسهر عليه إلى أن يضطرم!»

١١. قال يسوع: «هذه السماء ستزول، والتي فوقها ستزول: لكن الذين هم أموات لن يحيَوا، والذين هم أحياء لن يموتوا.»

١ـ فكرة الفقرة هي تعارض المادة (الأسد) والروح (العنصر الإلهي الأصل في الإنسان)، واستحالة ابتلاع العنصر المادي العنصر الروحي.

١٢. اليوم، تأكلون أشياء ميتة وتصنعون منها ما هو حي: [لكن] عندما تصبحون في النور، ماذا ستفعلون في ذلك اليوم، حيث تصبحون اثنين، وأنتم واحد؛ وعندما تصبحون اثنين، ماذا ستفعلون إذاك؟»

١٣. قال التلاميذ ليسوع: «نعلم أنك ستغادرنا: مَنْ، فوقنا، يكون [إذاك] الأكبر؟» قال لهم يسوع: «حيثما تذهبون، تمضون إلى يعقوب البارّ، مَنْ لأجله صُنِعت السماء كما الأرض.»[١]

١٤[٢]. قال يسوع لتلاميذه: «قارنوني، وقولوا لي مَنْ أُشبه.» قال له سمعان بطرس: «أنتَ تُشبه ملاكاً باراً!» وقال له متى: «أنتَ تُشبه رجلاً حكيماً وفيلسوفاً!» وقال له توما: «يا معلِّم، مَنْ تُشبه، لأقول ذلك، إن وجهي لا يتمكّن إطلاقاً من إدراك ذلك.» قال يسوع: «لستُ معلِّمك؛ لأنك شربتَ، فسكرتَ من النبع الفوّار الذي فيَّ والذي أرقتُه.» ثم أمسك به وتنحّى جانباً: قال له ثلاث كلمات. وعندما عاد توما نحو رفاقه، سألوه: «ماذا قال لكَ يسوع؟» ـ فأجابهم توما: «إذا قلتُ لكم واحدةً من الكلمات التي قالها لي، تتناولون حجارةً وتقذفونني بها، وتخرج نار من الحجارة وتُحرِقكم!»

١٥. قال لهم يسوع: «عندما تصومون تسبِّبون لأنفسكم خطيئة؛ عندما تصلّون، يدينونكم؛ عندما تتصدّقون، ترتكبون شراً لأرواحكم! حين تدخلون أيَّ أرضٍ وتجوبون الأرياف، عندما يستقبلونكم، كُلوا ما يضعونه أمامكم؛ مَنْ هم مرضى في تلك المواضع، أُشفوهم. لأن ما يدخل فمكم لا يدنِّسكم، بل ما يخرج من فمكم، ذاك ما يدنِّسكم!»

---

١ ـ باعتباره رأس كنيسة أُرشليم، يلعب يعقوب البارّ دوراً أساسياً في التقليد الغنوصي.

٢ ـ توما هو الأكثر شبهًا بيسوع، وبذلك يتفوّق على يعقوب البارّ.

١١٦[1]. قال يسوع: «حين ترَون مَنْ لم تَلِدْه امرأة، خُرُّوا، وجهكم إلى الأرض، واسجدوا له: هذا هو أبوكم!»

١٧. قال يسوع: «الناس يعتقدون بالتأكيد بأنني جئت لأرمي سلاماً على العالم. لكنهم لا يعلمون أنني جئت لأرمي على الأرض خلافاتٍ، النار، السيف، الحرب. فإذا كان حقّاً خمسة في منزلٍ، فسوف يجدون أنفسهم ثلاثة ضد اثنين واثنين ضد ثلاثة ـ أبٌ ضد ابنٍ وابنٌ ضد أبٍ ـ وينهضون وحيدين.»[2]

١٨. قال يسوع: «سأعطيكم ما لم ترَه عين أبداً، وما لم تسمَعْه أُذن أبداً، وما لم تبلُغْه يد، وذاك الذي لم يصعَدْ أبداً إلى قلب الإنسان.»

١٩[3]. قال التلاميذ ليسوع: «قُلْ لنا كيف ستكون نهايتك.» قال يسوع: «هل كشفتم البداية إذاً، لتسألوا عن النهاية؟ فحيث هي البداية، هناك تكون النهاية. طوبى لِمَنْ يبلغ البداية، فسوف يعرف النهاية ولن يذوق الموت!»

٢٠. قال يسوع: «طوبى لمَنْ وُجِدَ قبل أن ينشأ!»

٢١. «إذا أصبحتم لي تلاميذ وسمعتم كلماتي، تخدمكم هذه الحجارة.»

٢٢. «فلديكم هناك، في الجنّة، خمس أشجار لا تتبدّل صيفاً ولا شتاءً، ولا تسقط أوراقها: مَنْ يعرفها لا يذوق الموت!»

---

١ ـ هنا دعوة إلى الغنوصي للتخلّي عن الجنس والإنجاب.

٢ ـ النهوض يعني صلابة الموقف الغنوصي الذي بلغ الخلاص بالتحرُّر من المادة، بحيث ما عاد يخشى هجمات القوى المناهضة، وقد أقام في الحق. والوحدة تعني الإنسان الأول قبل الخطيئة الأصلية وفصل الجنسَين.

٣ ـ هوية البداية والنهاية أثيرة لدى الغنوصيين والأنظمة الدينية التي تعتبر أن النفس تعود إلى عالمها السماوي الأصلي بعد سجن الجسد في الحياة الأرضية.

٢٣ . قال التلاميذ ليسوع: «قلْ لنا مَنْ يُشبِه ملكوت السماوات!» قال لهم: «يشبه حبّة خردل: إنها أصغر البذور [الأخرى] كلّها، لكنها عندما تسقط على الأرض، تُنتج ساقاً طويلة وتصبح مأوىً لطيور السماء.»

٢٤ . قالت مريم ليسوع: «مَنْ يُشبه تلاميذك؟» قال لها: «يشبهون أطفالاً صغاراً دخلوا حقلاً لا يخصّهم. وعندما يأتي مالكو الحقل، يقولون: «غادروا حقلنا!» وهم [إذاً]، ينحرمون في حضور أولئك [القوم] ليتركوا لهم حقلهم ويعيدونه إليهم.»

٢٥ . «لذا أقول لكم هذا. لو علم ربّ البيت أن السارق يأتي، لسهرَ قبل أن يصل هذا الأخير ولما ترك مدخلاً يُنقَب في مقرّ ملكه ليؤخَذ أثاثه. كونوا أنتم إذاً، متيقّظين في مواجهة العالم. شدُّوا حقوَيكم بقوة عظيمة، لئلا يجد اللصوص سبيلاً إلى بلوغكم؛ فالحاجة التي تترقّبونها، سيجدونها!»

٢٦ . «ليكن في وسطكم رجل فطن [كهذا]: عندما نضج الثمر، مضى على عجل، ومنجله في يده، وحصده. مَنْ له أُذنان للسمع فليسمَعْ!»

٢٧ . رأى يسوع صغاراً يرضعون؛ فقال لتلاميذه: «إن هؤلاء الصغار الذين يرضعون يشبهون الذين يدخلون الملكوت.» قالوا هم له: «إنْ كنا صغاراً، فهل ندخل الملكوت؟» قال لهم يسوع: «عندما تجعلون الاثنين [الكائن] واحداً، وعندما تجعلون الباطن كالظاهر والظاهر كالباطن، والأعلى كالأسفل! واذا جعلتم الذكر والأنثى في واحد، حتى لا يعود الذكر ذكراً ولا تعود الأُنثى أُنثى، وعندما تجعلون ثانيةً عينَين

مكان عين، ويداً مكان يد، ورِجْلاً مكان رِجْل، وصورة مكان صورة، عندها تدخلون الـ [ملكوت]!»

٢٨. قال يسوع: «سأختاركم، واحداً بين ألف واثنين بين عشرة آلاف، و[هؤلاء] ينهضون واحداً!»

٢٩. قال له تلاميذه: «أَعلِمْنا بالمكان الذي أنتَ فيه، فمن الضروري لنا أن نسأل في شأنه!» قال لهم: «مَنْ له أُذنان فليسمَعْ! إذا وُجِدَ نورٌ داخل مخلوق نوراني، إذاك ينير العالم بأسره؛ لكنه إنْ لم يُنِرْ، (فذلك[لأنه] ظلمة.»

٣٠. قال يسوع: «أَحِبّ أخاك كنفسك؛ إسهَرْ عليه كما [على] بؤبؤ عينك.»

٣١. قال يسوع: «القشّة التي في عين أخيك، تراها؛ لكن العارضة التي في عينك، لا تراها! عندما تطرح العارضة التي في عينك، عندها ترى بها لتطرح القشّة خارج عين أخيك.»

٣٢. «إنْ لم تصوموا في العالم، فلن تجدوا الملكوت. إنْ لم تقيموا من السبت السبت [الحقيقي]، فلن ترَوا الآب.»

٣٣. قال يسوع: «لقد وقفت في وسط العالم، وبالجسد، ظهرت لهؤلاء. ووجدتهم كلّهم سكارى؛ ولم أجد أي واحد ظمآن بينهم. وحزنت نفسي على أبناء البشر. لأنهم عميان في قلبهم ولا يرَون، لأنهم أتَوا إلى العالم فارغين، لا يزالون يسعون إلى الخروج من العالم فارغين! إنما ليأتِ أحدٌ ما ويقوِّمهم! إذاك، حين يكونون قد غفَوا، يندمون.»

٣٤. قال يسوع: «إذا نتج الجسد بسبب الروح، فذلك معجزة. أما إذا [نتجت] الروح بسبب الجسد، فذلك معجزة معجزة. أما أنا(؟)،

فأعجب لذلك لأن الـ [... ... ... من] تلك الثروة العظيمة لبث في هذا الفقر.»

٣٥. قال يسوع: «حيث هناك ثلاثة آلهة، هم آلهة. حيث هناك اثنان، أو [بالأحرى] واحد، أنا معه!»

٣٦. قال يسوع: «لا يُقبَل نبيٌّ في مدينته، ولا يصنع طبيب شفاءً في مَنْ يعرفونه.»

٣٧. قال يسوع: «إن مدينة مبنيّة على جبلٍ عالٍ، وقوية، لا يمكن أن تسقط، ولا يمكن إخفاؤها!»

٣٨. قال يسوع: «ما تسمعه بأُذنك، وبالأُذن الأخرى، أَعلِنْه فوق سطوحك! فما من أحد يوقد سراجاً ويضعه تحت المكيال أو يضعه في موضعٍ مَخْفِيّ: بل يضعه على الشمعدان ليرى نوره كل الذين يدخلون ويخرجون.»

٣٩. قال يسوع: «إذا قاد أعمى أعمى آخر، يسقط الإثنان في حفرة.»

٤٠. قال يسوع: «من غير الممكن أن يدخل أحد ما منزل القوي ويعتدي عليه إنْ لم يوثِقْ يدَيه: إذاك [فقط] ينهب منزله.»

٤١. «لا تهتموا، من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح، بما ستلبسون!»

٤٢[١]. «قال له تلاميذه: «في أي يوم ستظهر لنا، وفي أي يوم سنراك؟» قال يسوع: «عندما تتعرَّون من دون أن تخجلوا، وتخلعون

١ - تعرض هذه الفقرة عقيدة غنوصية مفادها أن آدم وحواء كانا عاريَين قبل الخطيئة، وكالأطفال لا يخجلان. نتج من المعصية التي تُعتبَر الاتصال الجنسي الأول زوال الوحدة الأصلية ووعي الثنائية الجنسية. ذلك كان أصل الإنجاب والفساد. حصل الإثنان على سترتَين من جلد، رمز الجسد، سجن النفس. دوس الملابس هو احتقار الجسد بالتقشُّف، ولا سيما رذل العلاقات الجنسية والإنجاب.

ملابسكم وتضعونها عند أقدامكم على غرار الأطفال الصغار، وتدوسونها! إذاك [تصبحون] أبناء مَنْ هو حيّ، ولا تعودون تخشَون.»

٤٣. قال يسوع: «لقد رغبتم مرات كثيرة في سماع هذه الكلمات التي أقولها لكم، لكنكم لم تحصلوا على آخر تسمعونها منه. ستأتي أيام تبحثون فيها عني، ولا تجدونني فيها.»

٤٤. قال يسوع: «إن الفريسيين والكتبة أخذوا مفاتيح العلم وخبّأوها: إنهم لم يدخلوا ولم يدعوا، كذلك، الذين يريدون الدخول [يدخلون].أما أنتم، فكونوا حذرين كالحيّات وبسطاء كالحمام!»

٤٥. قال يسوع: «زُرِعَت كرمةٌ خارج الآب. ولم تتقوّ: سوف تُقتلَع حتى جذورها وتفنى.»

٤٦. قال يسوع: «مَنْ له في يده، يُعطى. لكن مَنْ ليس له، [حتى] القليل الذي له يؤخذ منه!»

٤٧[١]. قال يسوع: «كونوا، أنتم، [مثل] عابرين!»

٤٨[٢]. قال له تلاميذه: «مَنْ أنتَ، أنتَ الذي تقول لنا هذه الأشياء؟ ـ بالأشياء التي أقولها لكم، ألا تعرفون مَنْ أنا؟ لكنكم أصبحتم، أنفسكم، أشبه باليهود: يحبّون الشجرة ويكرهون ثمرها، ويحبّون الثمر ويكرهون الشجرة!»

٤٩. قال يسوع: «مَنْ جدّف على الآب، يُغفَر له، ومَنْ جدّف على الابن، يُغفَر له: إنما الذي جدّف على الروح القدس، لا يُغفَر له، على الأرض ولا في السماء.»

---

١ ـ هذه الفقرة الاقصر في هذا الإنجيل تحضُّ على أن يكون البشر مثل غرباء أو مسافرين يعبرون العالم.

٢ ـ فكرة الفقرة هي التعرُّف إلى الهوية الحقيقية للمعلّم وإلى سلطانه.

٥٠. قال يسوع: «لا يُجنى عنب من الأشواك، ولا يُقطَف تين من شجرة الزعرور، فهي لا تُعطي ثمراً! إن رجلاً صالحاً يسحب من مخزنه ما هو صالح، لكن رجلاً فاسداً يسحب من مخزنه الفاسد ـ الموجود في قلبه ـ [أشياء] شريرة، ويزرع أشياء شريرة لأنها [أشياء] شريرة [ما] يسحبه من تطَرُّف قلبه.»

٥١. قال يسوع: «منذ آدم حتى يوحنا المعمدان، بين الذين ولدتهن نساء لا يوجد أعظم من يوحنا المعمدان! إنما، خوفاً من أن تتوه عينا [فلان] قلت: مَنْ بينكم يكون الأصغر يعرف الملكوت ويكون أرفع من يوحنا!»

٥٢. قال يسوع: «من غير الممكن أن يمتطي رجل جوادَين، وأن يشدّ قوسَين. ومن غير الممكن أن يخدم خادم سيِّدَين: وإلا يُكرِم واحداً والآخر يُعَنِّفه! لا يشرب رجل أبداً خمراً عتيقة ويشتهي في اللحظة نفسها أن يشرب خمراً جديدة؛ ولا تُسكَب خمر جديدة في قرابٍ عتيقة، لئلا تنشقّ، ولا تُسكَب خمر عتيقة في قرابٍ جديدة، لئلا تفسد. لا تُخاط رقعة عتيقة إلى ثوب جديد، لأن مِزْقاً ينشأ.»

٥٣. قال يسوع: «إذا كان اثنان الواحد مع الآخر في سلامٍ في المنزل نفسه، يقولون للجبل: «انتقِلْ!» ـ فينتقل.»

٥٤[١]. قال يسوع: «طوبى للمتوحِّدين والمختارين، لأنكم تجدون الملكوت! لأنكم منبثقون منه، وستعودون إليه مجدداً.»

٥٥[١]. قال يسوع: «إذا سألكم الناس: «من أين أتيتم؟» ـ قولوا لهم: «أتينا من النور، من المكان الذي نشأ فيه النور [... ...] خارج ذاته

١ ـ الفقرتان مرتبطتان بفكرة أن الغنوصي المنبثق من عالم النور، سيجد خلاصه، أو راحته الأخيرة، بعد سفره في سجن الجسد.

[أو: ذاتها(؟)]. إنه [... ... ...]... إلى أن يظهروا؟... [... ...] صورتهم.» إذا قيل لكم: «ما أنتم؟» ـ قولوا: «نحن أبناؤه ونحن مختارو الآب الحيّ.» إذا سألكم [الناس]: «أي علامة من أبيكم فيكم؟» ـ قولوا لهم: «إنها حركة وراحة.»

٥٦[1]. قال له تلاميذه: «في أي يوم تحلّ راحة مَنْ هم أموات، وأي يوم يكون الذي يأتي فيه العالم الجديد؟» وقال لهم: «هذه [الراحة] التي تنتظرونها [قد] أتت، ولم تعرفوها.»

٥٧. قال له تلاميذه: «إن أربعة وعشرين نبياً تكلّموا في إسرائيل وكلّهم، عبّروا فيك!» قال لهم: «لقد أهملتم مَنْ هو حيّ قبالتكم، وتحدّثتم عن الأموات!»

٥٨. قال له تلاميذه: «هل الختان مفيد أم لا؟» فقال لهم: «لو كان مفيداً، لكان أبوهم وَلَدَهم من أُمهم مختونين [تماماً]. إنما [وحده] الختان الحقيقي في الروح يُعطي الفائدة كلّها!»

٥٩. قال يسوع: «مَنْ لا يُبغِضْ أباه وأُمه لا يمكن أن يكون تلميذي؛ وإذا لم يُبغِضْ أخاه وأُخته ولا يحمل صليبه مثلي، فلا يصبح أهلاً لي!»

٦١[2]. قال يسوع: «مَنْ عرف العالم سقط في جثة؛ ومَنْ سقط في جثة، لا يعود العالم أهلاً له!»

٦٢. قال يسوع: «يشبه ملكوت الآب رجلاً يملك بذاراً [جيداً في حقله]. وفي الليل، جاء عدوُّه وزرع زؤاناً فوق البذار الجيّد. [لكن]

١ ـ راحة الأموات والعالم الجديد تعبيران يشيران إلى النهاية. إنما المقصود الحقائق الروحية التي ينبغي البحث عنها داخل الذات.

٢ ـ معرفة العالم المادي (أو الإعتراف به حقيقةً بلا حياة) هي الخطوة الأولى على طريق الغنوصية.

هذا الرجل لم يدعهم [=خدّامه] يجتثّون الزؤان، «خشية أن تنتزعوا ــ قال لهم ــ وأنتم ذاهبون لقلع الزؤان القمحَ معه. إن الزؤانات تكون قد أصبحت، بالفعل، قابلةً التعرُّف، فنقلعها ونُحرِقها.»

٦٣[1]. قال يسوع: «طوبى للرجل الذي شَقِيَ، فقد وجد الحياة!»

٦٤[2]. قال يسوع: «حوِّلوا أنظاركم نحو مَنْ هو حيّ، طالما أنتم أحياء، لئلا تموتوا ــ واسعَوا إلى رؤيته! لا يمكنكم رؤية سامريٍّ يحمل حَمَلاً ويدخل اليهودية.» هذا، في شأن الحَمَل قاله لتلاميذه، فأجابوه: «انه يقتله ويأكله!» لكنه قال لهم: «إنه لا يأكله طالما [هذا الأخير] حيّ، بل فقط إذا قتله وأصبح هذا الأخير جثة.» قالوا له: «في أي شكل آخر لا يجرحه!» [إذاك] قال لهم: «أتبحثون إذاً أنتم أنفسكم، عن مكان راحة، لئلا تصبحوا جثثاً ويأكلونكم!»

٦٥. قال يسوع: «إثنان يرتاحان هنا على سرير: واحد يموت، والآخر يحيا.» قالت صالومة: «مَنْ أنتَ، يا رجل؛ ممَّنْ أنتَ [آتٍ]، لتصعد إلى سريري وتأكل إلى مائدتي؟» قال لها يسوع: «أنا الذي صَدَرَ ممَّنْ هو مساوٍ [لي]: لقد أُعطِيْتُ مما هو لأبي! ــ أنا تلميذتك! ــ لأجل ذلك، أقول هذا: عندما يجد [أحدٌ] نفسه قفراً؟، يمتلئ نوراً؛ إنما عندما يجد نفسه منقسماً، يمتلئ ظلمات.»

٦٦. قال يسوع: «حين أقول أسراري لـ [... ... ...]... سر: [ما] تفعله يدك اليمنى، فلتجهَلْ يدك اليسرى انها تفعله.»

---

١ ـ شقاء الغنوصي، سجين المادة، علامة عدم الانتماء إلى هذا العالم، وعلامة أولى للسير على طريق الخلاص.

٢ ـ تحذير من عدم مشاطرة الحَمَل مصيره.

١٦٧[١]. قال يسوع: «كان رجل ثري يملك أموالاً كثيرة. فقال [لنفسه]: «سوف أستخدم أموالي لأبذر حقلي، وأزرع، وأملأ أهرائي غلالاً، بحيث لا تمسّني الحاجة.» تلك كانت الأمور التي كان يفكّر بها في قلبه. لكنه مات، خلال تلك الليلة. مَنْ له أُذنان للسماع فليسمَعْ!»

٦٨. قال يسوع: «كان عند رجل ضيوف. وعندما حضّر الوليمة، أرسل خادمه لينادي أولئك الضيوف. فمضى هذا الأخير إلى الأول وقال له: «سيِّدي يدعوك!» فأجاب [الآخر]: «لديّ مال عليّ تلقّيه من تجار؛ وهم يأتون إليّ هذا المساء وسوف أذهب لأُعطيهم أوامر. أعتذر بالنسبة إلى الوليمة.» ومضى [الخادم] إلى آخر وقال له: «سيِّدي دعاك.» فقال له [هذا الأخير]: «اشتريت منزلاً ويتطلّبون مني نهاراً: أنا لست حرّاً.» ومضى إلى آخر وقال له: «سيِّدي يدعوك!» فأجابه [هذا الأخير]: «صديقي سوف يتزوّج، وأنا مَنْ يتولّى وليمتـ [ـه]. لن أذهب، أعتذر بالنسبة إلى الوليمة!» ومضى إلى آخر وقال له: «سيِّدي يدعوك!» فقال له [هذا الأخير]: «اشتريت حقلاً؛ ولم أذهب بَعْدُ لأتلقّى دَخْلَـ [ـه]. لن آتي: أعتذر بالنسبة إلى الوليمة!» وعاد الخادم وقال لسيِّده: مَنْ دعوتهم إلى الوليمة اعتذروا.» فقال السيِّد لخادمه: «هيّا خارجاً، في الشوارع، ومَنْ تجدهم، إئتِ بهم ليتعشّوا.» إن المشترين والتـ [جّار لا يدخلون] أماكن أبي!»

٦٩. قال: «كان لرجلٍ [مهم] كرماً أعطاه لمزارعين ليعتنوا به ويتلقى منهم ثمره. وأرسل خادمه ليعطيه المزارعون ثمر الكرم: [لكن] هؤلاء قبضوا على خادمه، وضربوه وكادوا يقتلونه. وعاد الخادم وقال ذلك لسيِّده. فقال سيِّده [لنفسه]: «ربما لم يعرفوه؟» وأرسل خادماً آخراً:

١ـ مفهوم الثراء مجازي.

هذا الآخر أيضاً، ضربه المزارعون. عندها، أرسل السيِّد ابنه: وقال لنفسه: «لا شك في أنهم سيحترمون ولدي؟» لكن، عندما علموا أن هذا الأخير كان وارث الكرم، أمسك به أولئك المزارعون وقتلوه. مَنْ له أُذنان فليسمَعْ!»

٧٠. قال يسوع: «أَيمكنكَ أن تعرِّفني إلى ذلك الحجر الذي رذله البنّاؤون! إنه هو، حجر الزاوية.»

٧١. قال يسوع: «مَنْ يعرف الكلّ، ولا يحتاج إلا إلى نفسه، يحتَجْ إلى المكان كلّه!»

٧٢. قال يسوع: «طوبى لكم عندما يُبغضونكم ويضطّهدونكم؛ لكنهم لن يجدوا مطرحاً في هذا المكان الذي يكونون قد لحقوا بكم حتّا [ه]!»

٧٣. قال يسوع: «طوبى لهم، اولئك الذين اضطُّهِدوا في قلبهم. أولئك هم الذين عرفوا الآب! طوبى للجياع، لأنهم سيُشبِعون بطنهم مدى رغبتـ [ـهم]!»

٧٤. قال يسوع: «عندما يبقى لكم ما تتقاسموه، لكم، ذاك الذي تملكونه يُنقِذكم. إنما إذا كنتم لا تستطيعون أن تتقاسموا [من أجلكم]، ذاك الذي لا تملكونه فيكم، ذاك [.؟.] [يـ...] كم.»

٧٥. قال يسوع: «إنني سوف [... ...] [... ...] وما من أحد يستطيع ... ... [... ... ...] [...].»

٧٦[١]. [أحدهم (؟) ...] [قال] له: «كلِّمْ، إخوتي، ليتقاسموا معي أموال أبي!» فأجابه: يا رجل، مَنْ جعلني قسّاماً؟» والتفت نحو تلاميذه وقال لهم: «إياي أن أكون قسّاماً!»

١ ـ معنى الفقرة مزدوج: عدم اكتراث يسوع لأمور العالم، وإشارة إلى رسالته الخلاصية.

٧٧. قال يسوع: «الحصاد عظيم لكن الفعلة قليلون. صلّوا إلى الربّ ليُرسِل فعلة إلى الحصاد.»

٧٨. قال: «يا سيِّد، كثيرون هم حول الفتحة إنما ما من أحد في البئر!»

٧٩. قال يسوع: «كثيرون يقفون خارجاً عند الباب، لكن المتوحِّدين وحدهم مَنْ يدخلون غرفة العرس.»

٨٠. قال يسوع: «يشبه ملكوت الآب رجلاً، تاجراً، لديه حِمْلٌ ووجد لؤلؤة. هذا التاجر حكيم، فقد باع الحِمْلَ واشترى لنفسه اللؤلؤة وحدها. أنتم أيضاً، إبحثوا عن كنزه الذي لا يفنى، الذي يبقى، الذي لا تدخله الحَلَمَة لتنخره و[حيث] الدود لا يُتْلِف.»

٨١[1]. قال يسوع: «أنا النور، ذاك الذي فوقهم كلّهم. أنا الكلّ، والكلّ خرج مني، وكلّ شيء عاد إليّ. أُشطُر الحطب، فأنا هناك؛ إرفَعِ الحجر فتجدني هناك!»

٨٢. قال يسوع: «لِمَ خرجتم إلى الريف؟ [هل] لرؤية قصبة مضطربة بـ [الهواء]، ولرؤية ر[جلٍ في] ثياب [رهيفة] تلفّه؟ [لكنهم في مساكن الـ] ملوك وعظمائكم، مَنْ تلفّهم [ثياب رهيفة]، ولا يعرفون الحقيقة!»

٨٣. قالت له امرأة، في الجمع: «طوبى للبطن الذي حملك وللثدي الذي أرضعك!» فقال لها: «طوبى للذين سمعوا كلمة الآب ويحفظونها! ستأتي حقاً، أيام تقولون فيها: طوبى للبطن الذي لم يَلِدْ ولذينك الضرعين اللذين لم يُرضِعا!»

---

١ ـ يسوع هو النور وهو الكلّ. والغنوصي المنبثق من النور، طبيعته هي طبيعة المسيح نفسه.

٨٤. قال يسوع: «مَنْ عرف العالم سقط في الجسد؛ ومَنْ سقط في الجسد، العالم ليس أهلاً له.»

٨٥. قال يسوع: ليحكُمْ مَن اغتنى، وليكن رؤوفاً مَنْ مَلَكَ قوة!»

٨٦. قال يسوع: «مَنْ هو قربي هو قرب النار، ومَنْ هو بعيد عني هو بعيد عن الملكوت.»

[1]٨٧. قال يسوع: «الصُّور تظهر للانسان، لكن النور الذي فيها مَخْفيّ. في صورة نور الآب، ينجلي [= ذلك النور]، وصورته يحجبها نوره.»

٨٨. قال يسوع: «الآن، حين ترَون مظهركم، تُسَرُّون. لكن، عندما ترَون صوركم التي نشأت قبلكم، التي لا تموت والتي لا تظهر، أيّ عَظَمَةٍ سوف تتحمّلون؟»

[2]٨٩. قال يسوع: «ان آدم نشأ بقوة عظيمة وغنىً عظيم؛ لكنه لم يتلقّ [... ... ...] أهل (؟) لكن، لأنه لم يكن أهلاً [لـ] عدم [الخضوع] للموت.»

٩٠. قال يسوع: «[الثعالب] [لها] [أوجرة] والطيور لها أعشاش[ـها]؛ لكن ليس لابن الإنسان مكان يحني فيه رأسه ويرتاح.»

[3]٩١. قال، هو، يسوع: «الجسد العالّةُ على جسدٍ تعِسٌ، والنفسُ العالّةُ على هذين الاثنين تعِسةٌ!»

١ ـ ما نراه من الإنسان الأرضي ليس سوى صورته الخارجية، فيما نوره الداخلي، أي جوهره، مخفيّ ولا يلمحه إلا الغنوصي.

٢ ـ آدم انبثق من العالم النوراني، لكنه لم يُحسِن إنكار العالم، فذاق الموت. لذا يتفوّق عليه الغنوصي.

٣ ـ الجسدان هما الجسد الفردي والعالم المادي، وعلى نفس الغنوصي التحرُّر منهما.

٩٢. قال يسوع: «الملائكة والأنبياء يأتون نحوكم: سوف يعطونكم أشياء تخصّكم. أنتم بالذات، أعطوهم ما تملكون وقولوا لأنفسكم: «في أي يوم سيأتون، ويأخذون ما هو لهم؟»

٩٣. قال يسوع: «لِمَ تغسلون خارج الكأس ولا تفكّرون بأن الذي صنع الداخل، هو أيضاً مَنْ صنع الخارج؟»

٩٤. قال يسوع: «تعالوا إليّ، لأن نيري ممتاز وسلطتي عذبة، وستجدون الراحة لكم!»

٩٥. قالوا له: «قُلْ لنا مَنْ أنت، لنؤمن بك.» فقال لهم: «تسبرون مظهر السماء والأرض لكن مَنْ هو أمامكم، لا تعرفونه، وهذه الحال، لا تعلمون كيف تسبرونها!»

٩٦. قال يسوع: «إبحثوا فتجدوا! لكن الأشياء التي سألتموني عنها في هذه الأيام ولم أقُلْها لكم في ذلك الوقت، أريد الآن أن أقولها، وألا تعودوا إلى البحث عنها.»

٩٧. «لا تُعطوا ما هو مقدّس للكلاب لئلا ترميه على الزِّبل، ولا ترموا اللآلئ لصغار الخنازير خوفاً من أن [... ... ...].»

٩٨. يسوع [قال: «] مَنْ يبحث يجد [ولِمَنْ يريد الدخول؟]، يُفتَح.»

٩٩. [قال يسوع: «إذا(؟)] كان لديكم مال، لا تدينوه بفائدة، بل [... ... ...] الذي لا يأخذها منه.»

١٠٠. قال يسوع: «يشبه ملكوت الآب امرأةً وضعت قليلاً من الخميرة [في ثلاثة] مكاييل طحين وصنعت من ذلك أرغفة كبيرة. مَنْ له أُذنان فليسمَعْ!»

١٠١.[١] قال يسوع: «يشبه ملكوت الآب امرأة تحمل وعاءً مملوءاً طحيناً وتمضي في درب طويلة. عروة الوعاء انكسرت، فانسكب الطحين خلفها على الدرب من دون أن تعلم ذلك ومن دون أن تعلم معالجته. وعندما وصلت إلى منزلها، وضعت الوعاء ووجدت انه كان فارغاً.»

١٠٢. «يشبه ملكوت الآب رجلاً يريد قتل شخصية بارزة. في منزله، امتشق سيفه وغرزه في الجدار ليتأكد من أن يده ستكون ثابتة. ثم قتل الشخص.»

١٠٣. قال له التلاميذ: «إخوتك وأُمك هنا خارجاً.» فقال لهم: «أنتم والذين يصنعون إرادة أبي، هم إخوتي وأُمي؟ هم مَنْ يدخلون ملكوت أبي.»

١٠٤. عُرِضَت على يسوع قطعة ذهب وقيل له: «ان القوم الذين يخصّون قيصر يطلبون منا رسوماً.» فقال لهم: «أُعطوا ما لقيصر لقيصر، واعطوا ما لله لله، وما لي، أعطوني إياه!»

١٠٥. «مَنْ لم يُبغِضْ مثلي أباه وأُمه لا يمكنه أن يكون تلميذي، ومَنْ أحبّ أباه وأُمه مثلي لا يمكنه أن يكون تلميذي. ان أُمي، فعلاً، [... ...] [... ... ...] لأنها حقاً وهبتني الحياة.»

١٠٦. قال يسوع: «الويل لهم، للفريسيين، لأنهم أشبه بكلب راقد فوق حِصّةٍ و[يرتكب؟] ذلك السوء بعدم أكلـ [ـها] وبعدم [ترك] فُضالتـ [ـها] للأكل.»

١ ـ تندّد الفقرة بعدم انتباه المرأة وانعدام يقظتها؛ والانتباه واليقظة فضيلتان يمكن أن يعطّل غيابهما الغنوصية.

١٠٧. قال يسوع: «طوبى لذلك الرجل الذي يعرف [من أي] نقطة سيدخل اللصوص، ليسهر، ويجمع [... ...] ـه، ويكون قد شدّ حَقْوَيه قبل أن يدخل هؤلاء.

١٠٨. قالوا [له]: «هيّا؛ لنصلِّ ونَصُم اليوم!» قال يسوع: «ما هي إذاً الخطيئة التي ارتكبتها، أو بماذا هُزِمْتُ؟ لكن، حين يخرج العريس من غرفة العرس، لا يُصام إذاك أبداً، ولا يُصلّى أبداً!»

١٠٩. قال يسوع: «أيُدعى الذي يعرف أباه وأُمه: «ابن زانية!»؟»

١١٠. قال يسوع: «عندما تتصرّفون بحيث يصبح الاثنان واحداً تغدون ابن الإنسان وإذا قلتم: «أيها الجبل، انتقِلْ!» ــ ينتقل.»

١١١. قال يسوع: «يشبه الملكوت راعياً لديه مئة نعجة. إحداها، وهي الأكبر، تاهت. فترك التسع والتسعين الأخرى وفتّش عن تلك [النعجة] وحدها إلى أن وجدها. وبعدما قام بهذا الجهد، قال للنعجة: أُحبك أكثر من التسع والتسعين [الأخرى]!»

[1]١١٢. قال يسوع: «مَنْ يشرب من فمي يصبح مثلي. أما أنا، فأُصبح ما هو، وما هو مخبوء يُكشَف له.»

[2]١١٣. قال يسوع: «يشبه الملكوت رجلاً [لديه] في حقله كنز [مخبؤ] ولا يعلم ذلك. [ولم يجده قبل أن] يموت، وترك رزقـ [ـه] لابنـ [ـه] الذي لم يكن يعلم ذلك. فأخذ هذا الأخير ذلك الحقل، وباعه، ومضى الذي اشتراه يفلحه، [فوجد] الكنز، وبدأ يُدين بفائدة الذين يريد(؟)»

١ ـ المخلِّص والمخلَّص الغنوصي واحد. كلاهما من العالم الإلهي ومُعَدّان للعودة إليه.
٢ ـ الكنز المخبوء (الغنوصية) لا يعثر عليه أيٌّ كان، ومَنْ عثر عليه يجب أن يتقاسمه مع الآخرين.

١١٤. قال يسوع: «مَنْ وجد العالم واغتنى، فليرذل العْالم!»

١١٥. قال يسوع: «السماوات والأرض تدوم أمامكم، ومَنْ يحيا ممَّنْ هو حيّ لن يعاين الموت» ـ لأن؟ يسوع قال هذا: «مَنْ يرضى بذاته وحدها، العالم ليس أهلاً له.»

١١٦. قال يسوع: «الويل لهذا الجسد العالّة على النفس والويل لهذه النفس العالّة على الجسد!»

١١٧. قال له تلاميذه: «في أي يوم يأتي الملكوت؟ ـ لا يأتي حين ننتظره. لا يُقال: «هوذا هنا!» أو: «أنظروا، انه هناك!» إنما ملكوت الآب منتشر على الأرض ولا يراه الناس.»

١١٨[١]. قال لهم سمعان بطرس: «لتخرُجْ مريم من بيننا، لأن النساء لسن أهلاً للحياة!» ـ فقال يسوع: «هوذا: أنا، أجذبها لأُعيدها ذكراً لتصبح هي أيضاً روحاً حيّة شبيهة بكم، أنتم الذكور! فكل امرأة تُجعَل ذكراً تدخل ملكوت السماوات.»

الإنجيل بحسب توما

١ ـ لبلوغ الكمال، على العناصر الأنثوية أن تتبدّل وتتّحد بالعناصر الذكورية لإعادة تكوين الخنثوية الأصلية.

إنجيل يوحنا

أسئلة وجّهها القديس يوحنا إلى يسوع، وأجوبته. هذا المقطع الغنوصي ينسب إلى الشيطان خلق العالم، كما الشريعة. ويصوِّر الأنفس المسجونة في أجسادٍ أرضيّة ملائكةً أغواها الشيطان وحبسها في المادة. حُفِظَ النصّ في صيغة لاتينية عُثِرَ عليها في سجلات محاكم التفتيش في كركاسّونة الفرنسية. كان رائجاً في أوساط شيعة الكاتار. وكُتِبَ بين القرنين الخامس والسابع م.

الخيانة أولاً

أنا، يوحنا، أخوكم، مشاركاً في مِحَنكم، لأشارك كذلك في ملكوت السماوات، عندما كنتُ مستنداً إلى صدر ربّنا يسوع المسيح، وقلتُ: «ياربّ، مَنْ سيخونك؟»، أجابني: «مَنْ يغمس يده معي في الصَّحْفة.» عندها دخله الشيطان وسعى إلى خيانتي.

عصيان الشيطان

وقلت: «يا ربّ، قبل أن يسقط الشيطان، من أي مجدٍ كان لدى أبيك؟» فقال لي: «كان في مجدٍ بحيث كان يأمر ملائكة السماوات؛ أنا

كنتُ جالساً إلى جانب أبي. وهو، كان يأمر كلّ المقتدين بأبي؛ كان يهبط من السماء إلى الجحيم، وكان يصعد من الجحيم حتى عرش أبي المحجوب. لقد أصابه مجد مَنْ يدير السماوات، وخطرت في باله فكرة وضع كرسيه فوق سحابات السماوات، راغباً في ان يكون مشابهاً للخالق. وعندما هبط إلى الهواء، قال لملاك الهواء: "إفْتَحْ لي أبواب الهواء"، ففتح له الملاك أبواب الهواء. وهابطاً إلى أسفل، أقبل على الملاك الذي يترأس السماوات وقال له: "إفْتَحْ لي أبواب السماوات"، ففتحها له الملاك. ومتابعاً تلك الدرب، رأى وجه الأرض كلّه مكسوّاً بالمياه، وهابطاً على الأرض، وجد سمكتَين مطروحتَين فوق الماء كانتا مثل ثورَين مقرونَين للفلاحة، محتلتَين الأرض كلّها، وفق أمر الآب المحجوب، منذ المغيب وحتى طلوع الشمس. وعندما هبط أكثر، وجد أُوْسُوْيَه، وهو عنصر النار، ولم يستطع الهبوط أكثر بسبب شعلة النار المضطرمة. فعاد الشيطان إلى الوراء، ومضى نحو ملاك الهواء ونحو المولّج بالمياه، وقال: "ذلك كلّه لي؛ إذا أنصتّما إليّ، أضع كرسيّ فوق الغيوم، وأكون شبيهاً بالخالق: رافعاً المياه عن هذا الجلَد الأعلى، أضمّ الأماكن الأخرى من البحر، ثم لا يعود من ماء على سطح الأرض كلّها، وأملك معكما إلى أبد الآبدين."

وإذ تحدّث هكذا إلى هذَين الملاكَين، صعد نحو الملائكة الآخرين حتى السماء الخامسة، وكان يقول لكل واحد: "كم يتوجّب عليك لربّك؟" وقال واحد: "مئة مدٍّ من القمح." فأجابه الشيطان: "خُذْ ريشةً وحبراً، واكتُبْ ستين." وقال للآخرين: "وأنتَ، كم يتوجّب عليك لربّك؟" فقال احدهم: "مئة مدٍّ من الزيت." وقال له الشيطان: "إجلِسْ واكتُبْ خمسين." وصاعداً نحو السماوات كلّها، تحدّث هكذا حتى السماء الخامسة، مداهناً ملائكة الآب المحجوب.

والحال هذه، خرج صوتٌ من عرش الآب وقال: "ماذا تفعل، أنتَ الذي تُنكِر الآب وتُغوي الملائكة؟ ايها المحرِّض على الخطيئة، أَتِمَّ سريعاً ما خطر في بالك!" عندها أعطى الآب اوامر لملائكته، قائلاً لهم: «خذوا منهم ثيابهم.» وجرّد الملائكةُ من ثيابهم، وعروشهم وتيجانهم الملائكةَ كلّهم الذين أنصتوا إلى الشيطان.

شهوة الشيطان

وسألتُ الربّ: «حين سقط الشيطان، في اي مكان سكن؟» فأجابني الربّ: «ان أبي غيّر وجهه بسبب كبريائه، وانتُزِعَ منه نوره، وغدا وجهه مثل حديد مُحْمَرٍّ في النار، واصبح شبيهاً بوجه الانسان؛ وقد جرّ، بذَنَبه، القسم الثالث من ملائكة الله، وأُلقي بعيداً عن كرسي الله ومقام السماوات. وإذ هبط إلى الجَلَد، لم يستطع الشيطان الحصول هناك على أي راحة، لا بالنسبة إليه ولا بالنسبة إلى الذين كانوا معه. فتوسّل إلى الآب، قائلاً: "أُصبُرْ عليّ فأُعيد اليك كل شيء." فأشفق الآب عليه ومنحه راحةً هو، والذين كانوا معه، حتى سبعة ايام. هكذا جلس الشيطان في الجَلَد، وأمر الملاك الذي كان مولَّجاً بالهواء والذي كان مولَّجاً بالماء؛ فرفعا الأرض، فبدت قاحلة، وتلقى الملاك الذي كان على المياه تاجاً. وصنع من الفاصل نور النجوم، ومن الحجارة صنع كل حرّاس النجوم. ثم اتخذ الملائكة خدّاماً له، وفق النظام الموضوع لدى الخالق، وصنع الرعود، والأمطار، والبَرَد والثلوج. وارسل على الأرض ملائكته، خدّامه، وأمر الأرض لتُنتج كل ذات الجناحين، كلّ الزواحف، والأشجار، والأعشاب؛ وأمر البحر ليُنتج الأسماك وطيور السماء.

ثم فكّر، وصنع الانسان على صورته، آمراً ملاك السماء الثالثة بدخول جسد من طين. وأخذ قليلاً من ذلك الجسد، وصنع جسداً آخر في هيئة امرأة، وأمر ملاك السماء الثانية بدخول جسد المرأة. وبكى الملاكان وقد رأيا نفسَيهما لابسَين هيئةً فانية، ولأنهما كانا مختلفَين في الهيئة. وأمرهما بالقيام بالفعل الجنسي في جسدَيهما الطينيَّين، ولم يُدركا انهما كانا يرتكبان خطيئة. وفكّر خالق الشر في عقله بصنع الفردوس، وأدخل إليه الانسان. وغرس الشيطان قصبةً في وسط الفردوس، وهكذا أخفى الشيطان الضالّ فكرته لئلا يعرف الانسانان خديعته. واقترب منهما وقال لهما: «كُلا من كلّ ثمرٍ في الفردوس، انما لا تأكلا من ثمار شجرة علم الخير والشر.» ودخل الشيطان جسد الحيّة الشريرة، وأغوى الملاك ذا هيئة المرأة، فأحسّ أخوه بشهوة الخطيئة، ومارس شهوته مع حواء بسبب غناء الحيّة. لذا يُدعى ابنَ الشيطان وابن الحيّة مَنْ يمارسا شهوة الشيطان أبيهما، حتى انقضاء هذا الدهر. ثم نشر الشيطان في الملاك الذي كان آدمَ سُمَّه وشهوتَه التي ولدت ابن الحيّة وابن الشيطان، حتى انقضاء هذا ا لدهر.»

الإخلال بالواجب

ثم سألتُ، أنا، يوحنا، الربّ، قائلاً: لِمَ البشر يقولون ان آدم وحواء خلقتهما يد الله ووُضِعا في الفردوس ليتقيّدا بأوامر الآب وانهما أُسلِما للموت؟» فقال لي الربّ: «إسمَعْ، يا يوحنا، يا حبيب أبي؛ ان البشر الجهلة يقولون أيضاً في الإخلال بالواجب ان أبي صنع أجساداً من طين، لكنه صنع بالروح القدس كل فضائل السماوات، والحال هذه ان القديسين، بسبب الإخلال بالواجب، وُجِدوا أصحابَ أجسادٍ من طين، ولهذا أُسلِموا للموت.»

كبرياء الشيطان

ومجدَّداً، أنا، يوحنا، سألتُ الربّ، قائلاً: «كيف يبدأ الانسان ان يكون بالروح في جسدٍ شهواني؟» فقال لي الربّ: «ان ملائكةً ساقطين من السماء يجوزون إلى جسد النسوة، ويتلقّون جسد شهوة الجسد: ان الروح تولَد من الروح، والجسد من الجسد، هكذا يتمّ ملك الشيطان في هذا العالم، وفي كلّ الأُمم.» وقال لي: «ان أبي سمح له بأن يملك سبعة أيام، هي سبعة آلاف سنة.» وسألت الربّ وقلت: «ماذا يحصل في ذلك الوقت؟» فقال لي: «ان الشيطان، الذي سقط من مجد الآب وأراد إعلاء مجده الخاص، جلس على السحابات، وبعث بالخدّام، الملائكة المُشعِّين بالنار، مُرْسِلَهم إلى البشر منذ آدم حتى أخنوخ، خادمه. ورفع أخنوخ فوق الجلَد، وأراه أُلوهته؛ ثم أمر بإعطائه ريشةً وحبراً؛ فكتب سبعةً وستين كتاباً. وأمر بأن تُحمَلَ إلى الأرض وتُسلَّم لابنائه، ونقل أخنوخ الكتب إلى الأرض وسلّمها لابنائه. وبدأ تعليمهم الطريقة التي ينبغي تقديم القرابين بها وتلقينهم أسراراً جائرة؛ وهكذا كان يُخفي عن البشر ملكوت السماء. وكان الشيطان يقول لهم: "آمنوا، فأنا إلهكم، ولا إله إلا أنا."

«لذا ارسلني أبي إلى هذا العالم لأُعلِّم البشر حتى يعرفوا اهداف الشيطان الشريرة. وعندما علم الشيطان انني نزلت من السماء إلى العالم، ارسل ملاكاً فتناول ثلاثة ألْسُنٍ وأعطاها لموسى ليصلبني، ولا أزال احتفظ بها. وكان موسى يبشّر آنذاك شعبه بالله، فأمره الله بإعطاء الشريعة لأبناء إسرائيل، وقاده إلى وسط البحر الجاف. وحين فكّر أبي بإرسالي إلى العالم، ارسل ملاكه قبلي، واسمه مريم، لأُستقبَل فيه. وإذ نزلت، دخلتُ عبر السمْع وخرجتُ عبر السمْع. وعلم

الشيطان، أمير هذا العالم، انني نزلتُ لأبحث عن الذين هلكوا وأُخلِّصَهم، فأرسل الملاك إيليا في طلب النبيّ المعمِّد بالماء، المدعو يوحنا المعمدان. وسأل إيليا أمير هذا العالم: "كيف يمكنني ان اعرف [انني مُعَمَّد]؟" فقال له الربّ: "مَنْ ترى الروح ينزل عليه في هيئة حمامة ويمكث فيه، هو مَنْ يعمِّد بالروح القدس لمغفرة الخطايا؛ وتستطيع إهلاكه وإنقاذه."»

العماد والقربان

وأنا، يوحنا، سألت الربّ، مجدَّداً، قائلاً: «أيستطيع إنسانٌ أن يخلص بعماد يوحنا من دون عمادك؟» فأجاب الربّ: «ما من أحد يستطيع رؤية ملكوت السماوات إنْ لم أُعمِّدْه لمغفرة الخطايا بعماد الماء، لأنني خبز الحياة النازل من السماء السابعة، ومَنْ يأكلوا جسدي ويشربوا دمي أبناء الله يُدعَون.» وسألت الربّ، وقلت: «ما معنى أكل جسدي وشرب دمي؟» فقال لي الربّ: «قبل أن يُطرَحَ الشيطان وجيشه كلّه بعيداً عن مجد الآب، كانا يصلّيان للربّ، موجِّهَين إليه صلواتهما وقائلَين: أبانا الذي في السماوات؛ وهكذا كانت أناشيدهما كلّها تصعد إلى أمام كرسيّ الله، وعندما سقطا، ما عادا استطاعا بعد ذلك تمجيد الله بهذه الصلاة.»

وسألت الربّ: «كيف يحدث ان الجميع يتلقَّون عماد يوحنا، بينما الجميع لا يتلقَّون عمادك؟» فأجابني الربّ: «لأن اعمالهم شريرة، ولا يأتون كلّهم إلى النور. ان تلاميذ يوحنا يتزوّجون ويُصحَبون الى العرس؛ وتلاميذي لا يتزوّجون وهم كالملائكة في السماء.»

وأنا، قلتُ: «إذا كان التزوُّجُ خطيئةً، فلا يناسب الانسانَ التزوُّجُ.» فقال لي الربّ: «ليس هناك سوى مَنْ أُعطي لهم ان يفهموا هذه الكلمة

مَنْ يستطيعوا ان يفهموا. ثمة خصيان خرجوا هكذا من أحشاء أُمهم، وثمة خصيان حوّلهم البشر هكذا، وثمة خصيان خصَوا أنفسهم بأنفسهم لأجل ملكوت السماوات. مَنْ يستطيع الفهم فليفهَمْ.»

علامة المجيء

وسألتُ الربّ في شأن الدينونة، قائلاً: «ما ستكون علامة مجيئك؟» فأجابني: «عندما يكمَل عدد الصدِّيقين، اي عدد الصدِّيقين الذين يجب ان يُتَوَّجوا، يُطلَق الشيطان من سجنه، وملؤه الغضب، يشنّ الحرب على الصدِّيقين الذين يرسلون صيحاتٍ عظيمةً نحو الربّ. وعلى الفور يأمر الربّ الملاك بالنفخ بالبوق. ويُسمَع صوت الملاك نافخاً بالبوق من السماء حتى الجحيم. عندها تُظلِم الشمس، ولا يعود القمر يُرسِل نوره، وتسقط النجوم، ويُفرَج عن الرياح الأربع من سجنها، فتُزَلْزِل الأرضَ والبحرَ والجبالَ والتلال. وعلى الفور تُزَلْزِل السماءُ وتُظلِم الشمسُ، وتكون قد سطعت إلى نحو الساعة الرابعة. إذاك تظهر علامة ابن الانسان وكلّ الملائكة القدِّيسين معه، فيضع كرسيه على السحابات ويجلس على كرسي جلاله مع الرسل الاثني عشر مجتمعين على كراسي المجد الاثني عشر. وتُفتَح الكتب، ويحاكِم الأرض بأسرها والإيمان الذي بشّر به. ويُرسِل ابن الانسان ملائكته، فيجمعوا مختاريه من الرياح الأربع [من جهات العالم الأربع]، من ذُرى السماوات حتى طرفها، ويأتون بهم. إذاك يُرسِل ابن الانسان الشياطين الأشرار ليأتوا بكل الأُمم إلى امامه، ويقول لها: "تعالي، أنتِ التي كنتِ تقولين: لنأكل ونشرب، فننال جزاء هذا العالم." ثم تقف الأُمم كلّها، ملؤها الهلع، امام المحكمة. وتُفتَح كتب الحياة، وتُظهِر الأُمم كلّها كفرها. ويُمَجَّد الصدِّيقون. وتنال اعمالهم الصالحة مجداً

وعِزَّةً؛ وتكون مكافآت للذين تقيّدوا بالأوامر الملائكية، ويستولي سخط (الربّ)، والمحنة والقلق على الذين ارتكبوا الظلم. ويُخرِج ابن الله مختاريه من وسط الخطأة، ويقول لهم: "تعالَوا، يا مباركي أبي، تعالَوا أقيموا في الملكوت المُعَدّ لكم منذ إنشاء العالم." ويقول للخطأة: "أُبعدوا عني، يا ملاعين؛ هيّا إلى النار الأبدية المُعَدّة للشيطان وملائكته." ويُطرَح الخطأة في الجحيم وفقاً لأمر الآب المحجوب. إذاك تخرج الأرواح من سجون الذين لا يرَون، ويُسمَع صوتي، ولا يكون سوى قطيعٍ وراعٍ. وتخرج من مناطق الأرض السفلى ظلمة دامسة هي نار جهنمَ الدامسة، فتُهلِك كلّ الأشياء حتى هواء الجَلَد. ويكون الربّ في الجَلَد حتى مناطق الأرض السفلى. فإذا حمل إنسانٌ في الثلاثين من عمره حجراً، ورماه إلى أسفل، يكاد لا يبلغ القعر في ثلاث سنوات، من فرط عِظَم عمق بحيرة النار حيث سيسكن الخطأة. وإذاك يوثَق الشيطان كما جيشه كلّه، ويُطرَح في بحيرة النار. ويسير ابن الله مع مختاريه فوق الجَلَد، ويسجن الشيطان، موثِقاً إياه بسلاسل قوية لا يمكن تحطيمها ويقول الخطأة باكين وآسفين: "ابتلعينا، ايتها الأرض، وليدمِّرْنا الموت"، ويسطع الصدِّيقون كالشمس في ملكوت أبيهم. ويقودهم إلى أمام الآب المحجوب، قائلاً: "ها أنا ذا، أنا وأولاديَ، الذين اعطاني إياهم الله؛ ان العالم لم يعرفك، لكنني عرفتُكَ بالحق، لأنك ارسلتني." فيجيب الآب ابنه، قائلاً: "يا إبني الحبيب، إجلِسْ إلى يميني، حتى أضع تحت قدميك اعداءك الذين أنكروك وقالوا: "نحن آلهة، ولا آلهة إلانا"، الذين قتلوا الأنبياء واضطهدوا الصدِّيقين، وطرحتهم في الظلمات البرّانية. هناك يكون البكاء وصريف الأسنان." عندها يجلس ابن الله إلى يمين أبيه، ويأمر الآب ملائكته، ويأمر

الصـدِّيقين، ويضعهم في أجواق الملائكة، ليُلبَسوا ثياباً لا تَبْلى، ويعطيهم تيجاناً لا تذبل وكراسي لا تتغيّر. ويكون الله في وسطهم. ولا يشعرون بجوع ولا عطش، ولا يعودون يُحِسّون بالشمس، ولا بأي حرارة. ويمسح الله كلّ دمعة من عيونهم، ويملك الابن مع أبيه القدوس؛ ولا تكون نهاية لملكه إلى أبد الآبدين.»

IV ـ نبذات أناجيل

١. الأغرافا

٢. شذرات بَرْدِيّات

٣. نبذات أناجيل ضائعة

١ - الأغرافا

الأغرافا (Agrapha) كلمة يونانية، في صيغة الجمع، مفردها أغرافون، وتعني نصاً غير كتابي، أي قولاً أو خبراً عن المسيح غير وارد في الأناجيل الرسمية، إنما نجده في كتابات آباء الكنيسة، أو في مخطوطات مختلفة، أو في بَرْدِيّات، أو في مراجع لا إسم لها. والنص غالباً نُتَفُ حوارٍ أو حِكَمٌ للربّ. وهو في حالات نادرة جداً، يعود إلى المسيح نفسه.

يصعب تأكيد صحتها. بعضها مجرّد بقايا، وأخرى خضعت لتغييرات على يد الجماعات التي عثرت عليها. لذا يبقى الحكم عليها ابنَ السليقة. ومن أصل مئتين، تحظى عشرات بالقبول، لا بل عدد يتراوح بين أربعٍ وثلاثَ عشرة. وقد رفعت اكتشافات نجع حمادي في مصر هذا العدد إلى نحو عشرين. هنا الأساسيّة منها.

أغرافا العهد الجديد من خارج الأناجيل

أعمال ١، ٤ - ٨

وفيما كان معهم، أمرهم بعدم مغادرة أُورشليم، بل انتظار وعد الآب، «ذاك الذي علمتموه مني. فيوحنا، هو، عمَّد بالماء، أما أنتم، فبالروح القدس سوف تُعَمَّدون بعد أيامٍ قليلة.»

وكانوا هم إذاً، وقد اجتمعوا، يسألونه قائلين: «يا ربّ، أسوف تعيد الآن مملكة إسرائيل؟» فقال لهم: «لا يحقُّ لكم معرفة الأوقات والآونة التي حدَّدها الآب بإرادته الخاصة. لكنكم ستنالون قدرةً، حين ينزل الروح القدس عليكم، وتكونون شهودي في أُورشليم، في كل اليهوديّة والسامرة، وحتى أطراف الأرض.»

أعمال ٢٠، ٣٥

ينبغي تذكُّر أقوال الربّ يسوع الذي قال بنفسه: «هناك فرحٌ أكثر في العطاء منه في الأخذ.»

١ كورنثيين ١١، ٢٣ - ٢٥

أخذ الربّ يسوع، في الليلة التي أُسلِمَ فيها، خبزاً؛ وإذ شكر، كسره وقال: «هذا هو جسدي الذي لكم، إصنعوا هذا لذكري.» وكذلك، بعد العشاء، أخذ كأساً، قائلاً: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. في كلّ مرة تشربون منها، إصنعوا هذا لذكري.»

١ تسالونيكيين ٤، ٥

هوذا ما نقوله لكم، بحسب كلام الربّ: «نحن الأحياء الذين نبقى هنا لمجيء الربّ، لا نتقدَّم الذين رقدوا.»

رؤيا ١٦، ١٥

«ها انني أجيء كلصّ. طوبى للذي يسهر ويحتفظ بثيابه، خوفاً من أن يمضي عارياً ويكشف عورته!»

روايات مختلفة للمخطوطات الإنجيلية

بعد متى، ٣ ، ١٧ . كُودْكْس فِرْشيلّينْسيس (Codex Vercellensis)، **القرن الرابع وسانغرمانِنْسيس** (Sangermanensis)، **القرن السابع (لاتيني).**

وفيما كان يتقبّل العماد، ارتفع ضياء حادّ من الماء، بحيث ان الحاضرين كلّهم كانوا مملوئين خشيةً.

بعد متى ١٠ ، ٢٨ . كُودْكْس بيزي (Codex Bezae)، **القرن السادس (يوناني).**

«أما أنتم، فاجتهدوا في النموّ من القليل الذي أنتم عليه وليس العبور من العظمة إلى الصِّغَر. فإذا كنتم مدعوّين إلى مأدبة، فلا تجلسوا في المكان الأفضل، لئلا يحضر ضيفٌ أهمُّ ويأتي ربّ البيت يرجوك أن تُخلي مقعدك، وسط ارتباكك العظيم! لكن إذا حَلَلْتَ في مكان متواضع ووصل مدعوّ أقلّ أهميّة منكَ؛ يقول لك ربّ البيت: هيّا إجْلِسْ إلى أعلى، فتكون موضع تكريم.»

بعد مرقس ١٦ ، ٣. كُودْكْس بُوبْيينسيس (Codex Bobiensis)، **القرنان الرابع والخامس (لاتيني).**

وفجأةً، في الساعة الثالثة، انتشرت الظلمات على سطح الأرض كلّها، ونزل ملائكة من السماوات، وحين قام يسوع بمجد الله الحيّ، صعدوا معه، وعلى الفور، عاد النور إلى الظهور. عندها، اقتربت النسوة من القبر ورأين الحجر مدحرَجاً.

بعد مرقس ١٦ ، ١٤ . مخطوط فرير (Freer) ، القرن الخامس (يوناني) .

وكانوا (الرسل) يبرِّرون أنفسهم، قائلين: «ان عالم الظلم والكفر هذا تحت تأثير الشيطان، الذي لا يسمح لما هو مُنَجَّس بأرواح (الضلال) بإدراك قدرة الله الحقيقيّة. أُكشُفْ لنا منذ الآن عدلك»، كانوا يقولون للمسيح. وكان المسيح يجيبهم: «ان السنوات التي يُخضِعها الشيطان لسيطرته تلامس نهايتها. إلا ان أحداثاً رهيبة تقترب. وقد أُسلِمْتُ للموت من أجل الذين خطئوا، ليهتدوا إلى الحقّ، ويكفُّوا عن الإثم، ويرثِوا مجدَ الحق الروحي، وغير القابل الفساد الذي في السماء.»

بعد لوقا ٦ ، ٤ . كُودْكْس بيْزِي (Codex Bezae) (يوناني) .

وفي اليوم نفسه، وقد رأى أحدهم يعمل خلال السبت، قال له: «يا رجل، إنْ كنتَ تعلم ما تفعل، فطوبى لكَ؛ وإنْ جهلتَ ذلك، فأنتَ ملعون وتخالف الشريعة[1] .»

بعد لوقا ٢٢ ، ٢٧ كُودْكْس بيْزِي (Codex Bezae)(يوناني) «فأنا أتيتُ في وسطكم، ليس كالذي إلى مائدة، بل كالذي يخدم، وأنتم، أصبحتم كباراً في خدمتي، كالذي يخدم.»

بعد لوقا ٤٨,٢٣ . كُودْكْس پالاتينوس وڤِرْشيلّينْسيس (Codex Palatinus et Vercellensis) (لاتيني) .

وكانوا يقرعون الصدر، قائلين: «الويل لنا! ها ان الدينونة تحلّ وخراب أُورشليم!»

---

١ - إنْ خالفتَ السبتَ لعملِ برٍّ، فقد خلصت. وإنْ كان الامر لنزقٍ، فقد خطئت.

أغرافا ذكرها الآباء

رسالة إقليموس الرومي الأولى ، ١٣ ، ٢

لنتذكَّر خصوصا ما قاله الربّ يسوع ليعلِّمنا العدل والتسامح. فقد قال بالفعل: «كونوا رُحَماء، لتنالوا الرحمة؛ أُغفروا ليُغفَر لكم. كما تفعلون، كذلك يُفعَل لكم. كما تُعطون، تُعطَون. كما تُحاكِمُون، كذلك تُحاكَمُون. بحسب الخير الذي تصنعون، يُصنَع الخير لكم. بالمكيال الذي تكيلون به، تُكالون.»

رسالة إقليموس الرومي الثانية ، ٥ ، ٢-٤ و ٨ ، ٥

يقول الربّ: «ستكونون كحِملان وسط الذئاب.» فأجابه بطرس: «وإذا مزَّقت الذئابُ الحِملان؟» فقال يسوع لبطرس: «الحِملان، بعد موتها، لا تعود تخشى الذئاب. وأنتم، لا تخافوا أُناساً يقتلونكم ومن ثمَّ لا يعودون يستطيعون إيذاءكم. إرهَبوا بالأحرى مَنْ، بعد موتكم، يملك القدرة على إلقائكم نفساً وجسداً في جهنّم النار.»

يقول الربّ في الإنجيل: «إنْ لم ترْعَوا ما هو بسيط، فمَنْ يأتمنكم على ما هو خطير؟ انني أقول لكم: مَنْ هو أمين في الأمور الدُّنيا، هو كذلك في العظمى.»

موجز كليمانتينا (Clementina) في أعمال القديس بطرس ، ١ ، الاستشهاد ٩٦.

قال الربّ يسوع المسيح، ابن الله: «ينبغي للخير أن يأتي. طوبى، قال، للذي يأتي على يده!»

رسالة برنابا ، ٧ ، ١١ و١٢ ، ١

«هكذا، يقول، مَنْ يريدون أن يتأمَّلوا فيَّ ويبلغوا ملكوتي، عليهم إدراكي عبر المحنة والألم.»

متى تتمّ هذه الأحداث؟ يقول الربّ: «حين تُمدَّد خشبةٌ وتُرْفَع، وحين تسيل من الخشبة قطرات دم.»

يوستينيانوس، الدفاع الأول عن المسيحيّة، ١٥ ، ٨

«جئتُ أدعو لا الأبرار، بل الخطأة إلى التوبة. لأن الآب السماوي يفضّل التوبة على عقاب الخاطئ.»

يوستينيانوس ، حوار مع تريفون، ٣٥ ، ٣ و٤٧ ، ٥

يقول: «كثيرون يأتون باسمي، مرتدين في الظاهر جلود نعاج، لكنهم في الباطن ذئاب كاسرة.» و: «ستكون انشقاقات وهرطقات.»

«في الحال التي أُفاجئكم فيها، أدينكم.»

إيريناوس الليوني، ضد الهرطقات، ٥ ، ٣٣ ، ٢[1]

يذكر الشيوخ الذين رأَوا يوحنا، تلميذ الربّ، انهم سمعوه يروي كيف كان المعلِّم يعلِّم عن تلك الأزمنة ويقول: «تأتي أيام تنبت فيها حقول كرمة، للواحد منها عشرة آلاف دالية، وعلى كلّ دالية، عشرة آلاف قلم، وعلى كلّ قلم، عشرة آلاف برعم، وعلى كلّ برعم، عشرة آلاف عنقود، وعلى كلّ عنقود عشرة آلاف حبّة، وكلّ حبّة معصورة تُعطي خمسة وعشرين متريتاً من الخمر[2]. وعندما يقطف أحد

١ـ ينقل إيريناوس هنا أقوال پاپياس، المؤلِّف الذي اعتبرته العصور القديمة ساذجاً.

٢ ـ قياس يعادل أربعين ليتراً تقريباً.

القدّيسين عنقوداً، يصيح به عنقود آخر: أنا أفضل، خُذْني، وبارِكْ بي الربّ! كذلك، يعطي خبز القمح عشرة آلاف سنبلة، لكلّ سنبلة عشرة آلاف حبّة وكلّ حبّة تعطي خمس حصص يوميّة من الطحين النقي[1]. وبالنسبة إلى الثّمار الأخرى، والبذور، والعشب، يكون الأمر نسبياً. وكلّ الحيوانات، التي تستخدم تلك الأطعمة المقدَّمة من الأرض تعيش في سلام وانسجام الواحدة مع الأخرى، وتكون خاضعة تماماً للبشر.»

إقليموس الإسكندري، مقابلات

«رأيتَ أخاك، قال، رأيتَ إلهَك[2].» (١ ، ١٩).

أُطلبوا الأمور الكبيرة فتُعطَون الصغيرة زيادةً.» (١ ، ٢٤).

«بحقٍّ كبير يحضُّنا الكتاب المقدّس على ان نصبح جدليّين هكذا: "كونوا صرَّافين مجرَّبين، راذلين الشرّ، ومحتفظين بالخير"» (١ ، ٢٨).

«واستأنف الربّ: "على مَنْ تزوَّج ألا يطلِّق امرأته، وعلى مَنْ لم يتزوَّج ألا يتزوَّج. وعلى مَنْ قرَّر ألا يتزوَّج بحسب نذر العفّة أن يبقى عازباً."» (٣ ، ١٥).

«إنّ سرِّي لي ولأبناء بيتي.» (٥ ، ١٠).

«كذلك ينقل بطرس هذا القول للربّ إلى التلاميذ: "إذا رغب أحد من إسرائيل في الاهتداء والإيمان بالله لأجل اسمي، تُغفَر له خطاياه بعد اثني عشر عاماً. إذهبوا في العالم، لئلا يقول أحد: لم نسمع".» (٦ ، ٥).

١- الحصّة قياس يعادل نحو ليتر، وهي ما يكفي رجلاً في اليوم.

٢- قولٌ ذكره ترتوليانوس، في مقالته عن الصلاة، ٢٦.

وقال الربّ: «تخلَّصوا من أغلالكم، أنتم الراغبون في ذلك.» (٦ ، ٦).

إقليموس الإسكندري، مجموعة أنبياء ، ٢٠

قال الربّ: «ان إخوتي وشركائي في الميراث، هم الذين يعملون إرادة أبي. لا تُعطوا إذاً أنفسكم على الأرض اسم أب، لأن على الأرض سادة، لكن في السماوات الآب، الذي تنبثق منه كل أبوّة في السماوات وعلى الأرض.»

إقليموس الإسكندري، المربِّي ٣ ، ١٢ ، ٩١ ، ٣

أكثر بكثير، في موضوع المحبّة. يقول: «المحبّة تحجب عدداً وافراً من الأخطاء.»

إقليموس الإسكندري، خُلاصات من ثيودوتوس، أ ، ٢ ، ٢

هكذا يقول المخلِّص: «خلِّصْ نفسك، أنتَ ونفسك.»

هيپّوليت الرومي، شرح في دانيال ، ٤ ، ٦٠

فيما كان الربّ يشرح لتلاميذه كم ستكون مملكة القديسين الآتية بهيَّة ورائعة، سأل يهوذا، وقد أخافته تلك الأقوال: «ومَنْ سيرى ذلك؟» فقال الربّ: «يرَونه مَنْ هم جديرون به.»

أُوريجانوس، في متى ، ١٣ ، ٢

ويقول يسوع: «لأجل الضعفاء، كنتُ ضعيفاً، ولأجل الجائعين، جعتُ؛ ولأجل العطاش، عطشت.»

وفي الإنجيل مكتوب: «الحكمة تُوفدُ أبناءها.»

أُوريجانوس، عظة في إرميا ، ٢٠ ، ٣

يقــول المخلِّص: «مَنْ هو قربي هــو قــرب النـار؛ ومَنْ هو بعيد عني هــو بعيد عن الملكوت.»[١]

مكاريوس المصري، عظة ١٢، ١٧

زدْ ان الربّ كان يقـول لهم: «لِمَ تدهشـون للعلامات؟ انني أعطيكم إرثاً عظيماً لا يملكه العالم بأسره.»

إپيفانوس السالاميني، هرطقات ٦٦ ، ٤٢

يقول: «مَنْ يتكلَّم في الأنبياء، هوذا، إنه أنا.»

ترتوليانوس، في العماد، ٢٠

ما من أحد يستطيع بلوغ ملكوت السماوات، إنْ لم يُجَرَّبْ.

أَفراهات ، عظة ٣

يقول ربّنا: «صلُّوا ولا تَملُّوا الصلاة.»

١ - يذكر ديديم الأعمى الإستشهاد نفسه، في المزمور ٨٨ ، ٨

٢ ـ شذرات بَرْدِيَّات

بَرْدِيَّات البَهْنَسا[1]

هذه البَرْدِيَّات اكتُشِفت بين العام ١٨٩٧ والعام ١٩٠٤ في حالٍ سيئة جداً. يونانية وقبطية من مصر الرومانية. تعود إلى القرن الثالث م. وتستعير الكثير من الأناجيل الأربعة كما من المنحولة، ولا سيما أناجيل المصريين، والعبرانيين، وبطرس. تحتوي أقوالاً عدّة، أو لوجيا (Logia) منسوبة إلى يسوع.

١ ـ مدينة مصرية عُرِفت قديماً باسم "Oxyrhynque"، في محافظة المنية، تبعد ١٠٠ ميل جنوب القاهرة.

البَرْدِيَّة ٦٥٥

«من الفجر إلى المساء ومن المساء إلى الصباح، لا تُبالوا بالطعام الذي تتناولونه، ولا بالثوب الذي ترتدونه. انكم تساوون أكثر بكثير من الزنابق التي تنمو ولا تغزل. غير مالكةٍ سوى ثوب، لِمَ أنتم أيضاً... مَنْ يستطيع أن يضيف إلى قامتكم؟ هو الذي يعطيكم لباسكم.» وقال له تلاميذه: «متى تظهر لنا ومتى نتأمّلك؟» فقال: «حين تتعرّون من دون خجل.»

وكان يقول: «لقد أخفَوا مفاتيح الملكوت؛ لم يدخلوا والذين كانوا يريدون الدخول، منعوهم من ذلك. أما أنتم، فكونوا حَذِرين كالحيّات وبسطاء كالحمام.»

البَرْدِيَّة ٨٤٠

«قبل أن يرتكبوا مظالمهم، يتخيّلون كل أنواع المكائد. أما أنتم، فحاذروا أن تذوقوا مصيراً شبيهاً بمصيرهم. فمَنْ يسيئون إلى الناس لا ينالون فقط منذ هذه الحياة عقابهم، بل هم موعودون أيضاً بعذابات عظيمة.»

وإذ اصطحبهم معه، قصد قاعة التطهُّر وكان يجول في الهيكل. فتقدَّم إليهم فرِّيسيّ، هو كاهن أعظم، اسمه لاوي، وقال للمخلِّص: «مَنْ سمح لك بالسير في قاعة التطهُّر هذه والنظر إلى هذا الأثاث المقدَّس، وأنتَ لم تستحمّ ولم يُلْقِ تلاميذك حتى ماءً على أقدامهم؟ ان خطواتك دنَّست هذا المعبد، هذا المكان الطاهر، الذي لا يستطيع أحدٌ وطأه إنْ لم يستحمّ ويبدِّل ثيابه، ولا يجرؤ على النظر إلى أثاثه المقدَّس.» فتوقَّف المخلِّص على الفور مع تلاميذه وأجابه: «وأنتَ، الموجود هنا، هل أنتَ

طاهر؟» فقال له الآخر: «أنا طاهر. لقد استحممتُ في حوض داوود، حيث نزلت بواسطة سُلَّم وصعدتُ منه بواسطة آخر. وارتديتُ ملابس بيضاء وطاهرة. هكذا دخلتُ ونظرتُ إلى هذا الأثاث المقدَّس.»

وأجابه الربّ: «الويل لكم، أيها العميان، الذين لا تفهمون! لقد استحممتَ في هذه المياه الجارية حيث يُلقون كلاباً وخنازير ليلَ نهار، واغتسالك نظَّف هذا الجِلد الخارجي الذي تعطِّره عاهرات وعازفات ناي بالمُرِّ، ويغسلنه، ويجلونه ويزيِّنَّه لإثارة شهوات الرجال. لكن الداخل مملوءٌ عقارب وكلّ العيوب. أما تلاميذي وأنا بالذات، الذين، استناداً إليك،لم نستحم، فقد غصنا في مياه الحياة الأبديّة التي تتفجَّر من [...] الويل للذين [...]»

أقوال ليسوع

البَرْدِيَّة الأولى

«وإذاك تسهر على نزع القشَّة التي في عين أخيك.»

يقول يسوع: «إنْ لم تصوموا عن العالم، فلن تجدوا ملكوت الله، وإنْ لم تُقيموا السبت، فلن تعاينوا الآب.»

يقول يسوع: «كنتُ في وسط العالم وأظهرتُ نفسي لهم بالجسد. ووجدتُهم كلّهم سكارى ولم أجِد واحداً منهم عَطِشاً.»

يقول يسوع: «نفسي حزينة على أبناء البشر، لأنهم عُمْيُ القلب ولا يرَون [...] الفقر.»

يقول يسوع: «حيث هم ، ليسوا من دون الله. حين لا يكون سوى واحد، أنا معه. إرفع الحجر فتجدني هناك، شُقَّ الحطب، وأنا هناك.»

يقول يسوع لا يُقْبَلُ نبيٌّ في وطنه؛ولا يحقِّق طبيبٌ شفاءات في مَنْ يعرفونه.»

يقول يسوع: «إن مدينةً مبنيَّةً على رأس جبلٍ عالٍ ومحصَّن، لا يمكنها أن تسقط أو أن تُخفى.»

يقول يسوع: «تسمعُ بأذنٍ، و...»

البَرْدِيَّة ٦٥٤

هذه هي الأقوال التي وجَّهها الربّ يسوع إلى [...] وتوما. وقال لهم: «كلُّ من يسمع هذه الأقوال لا يذوق الموت.»

قال يسوع: «على من يبحث ألَا يكفَّ عن البحث، حتى يجد، وعندما يجد، سيُصاب بالدهشة. ومندهشاً، يملك ومالكاً، يعرف الراحة.»

قال يهوذا: «من هم إذاً الذين يجذبوننا نحو السماء، إذا كان الملكوت في السماء؟» فقال يسوع: «إن الطيور في السماء، والحيوانات المتوحِّشة،وكل ما يعيش تحت الأرض أو على الأرض، وأسماك البحر تجذبكم نحو الله. وملكوت السماوات هو في داخلكم. يجده من يعرف الله، لأن بمعرفة الله، تعرفون أنفسكم وتعلمون أنكم أبناء الآب الكامل، وتعلمون هكذا أنكُم مواطنو السماء. انكم مدينة الله.»

قال يسوع: «الإنسان الذي لا يعلم من أين عليه الذهاب لا يتردَّد في سؤال أحد رفاقه عن المكان المدعوّ إليه. وإلا يعلم ان كثيرين أوَّلين يكونون أخيرين والأخيرين أوَّلين، الذين وحدهم يملكون الحياة.»

قال يسوع: «كل ما ليس أمام وجهك ومخفيٌّ عنكَ يُكشَف لك لأن ما من شيء خفيٍّ إلا ويُعلَن، وما من شيء مدفونٍ إلا ويُسحَب من الأرض.»

وسأله تلاميذه وقالوا: «كيف نصوم؟ وكيف نصلّي؟ كيف نتصدّق؟ وكيف نتقيَّد بالتعاليم الأخرى؟» فقال يسوع: «إسهروا على عدم خسارة مكافأتكم. لا تعملوا إلا أعمال الحق. إذا عملتموها، تعرفون السرَّ الذي لا يزال مخفيّاً عنكم. أقول هذا لكم: طوبى للذي...»

البَرْدِيَّة ١٠٨١

«والحالُ ان الطبيعة المرئية، التي دمّرها الفتور وفسادٌ عظيمٌ لا تستطيع إتلاف الأشياء غير القابلة الفساد. مَنْ له أُذنان ما وراء أُذنَيه، فليسمَعْ! انني أَتحدَّث إلى اليَقِظين.» وقال أيضاً: «كلّ ما يأتي من الفساد يزول تبعاً لنظام الفساد، وما يأتي من غير القابل الفساد لا يفنى بل يظلّ غير قابلٍ الفساد، طالما انه ينتمي إلى غير القابل الفساد.»

بعض الناس تاهوا، غير ملاحظين ان ... الفساد.

التلاميذ: «يا ربّ، كيف نجد الإيمان؟» قال لهم المخلِّص: «بالعبور من الظلمة إلى نور الوحي. ان إشعاع الذكاء هذا يعلِّمكم ان تجدوا الإيمان الذي يُظهِرُه الآب الذي لا أبَ له. مَنْ له أُذنان للسمع فليسمَعْ! ان سيِّد الأشياء كلّها ليس الآب بل الجَدّ. لأن الآب هو فقط مصدر ما سوف يحدث. لكن أباه هو الجَدّ[1]، إله كل الأشياء منذ البدء حتى الأزمنة البعيدة.»

---

١ ـ الجن: ٣: وأنّه تعالى جدُّ ربِّنا ما اتّخذ صاحبةً ولا ولدًا.

بَرْدِيَّات إغرتون

نبذات اكتُشِفت في مكانٍ ما من مصر عام ١٩٣٤. اليوم ملك المتحف البريطاني. اعتُقِدَ أولاً بأنها إنجيل مجهول. الحقيقة ان النص يستعير في شكل متحرِّر من الأناجيل الأربعة، وخصوصاً من إنجيل يوحنا. ويتضمَّن جديداً خاصاً به هو شفاء الأَبرص والزَّرْع في الأُردن. كُتِبَ في أواسط القرن الثاني م. على الأرجح.

الإيمان بيسوع (النبذة الأولى)

لكن يسوع قال لأَحبار الشريعة: «عاقبوا كل الذين يرتكبون أعمالاً ظالمة وكافرة، إنما ليس أنا! [....]»

ثم، وإذ التفت نحو زعماء الشعب، قال لهم هذا القول: «تفحَّصوا الكتب المقدَّسة، طالما تعتقدون بالعثور فيها على الحياة (الأبدية)؛ والحال انها هي التي تشهد في شأني. لا تظنوا بأنني أَتيت أَتَّهمكم لدى أبي. ان مُتَّهمكم هو موسى، الذي وضعتم فيه أَملكم.» وإذ كانوا هم يقولون: «نعلم جيّداً ان الله كلَّم موسى، أما أنت، فلا نعلم من أين أنت»، أجابهم يسوع: «الآن تتَّهمكم سذاجتكم!»

محاولة توقيف وشفاء الأبرص

وكانوا يحرِّضون الجمع على التقاط حجارة ورجمه. وكان الزعماء يلمسونه للإمساك به وتسليمه للشعب. لكنهم لم يستطيعوا القبض عليه، لأن ساعة تسليمه لم تكن قد أتت بعد. وابتعد الرب، جائزاً في وسطهم.

وإذا بأبرص متقدِّماً يقول له: «أيها المعلِّم يسوع، أُصِبْتُ ايضاً بالبرص، وأنا مسافرٌ مع بُرْصٍ ومتقاسماً طعامهم في النُّزُل. إنْ شئتَ، أَطهَر.» فقال له الربّ: «أشاءُ ذلك، إطهَرْ.» وعلى الفور فارقه البرص وقال له الربّ: «هيّا، وأرِ نفسَك الكهنة.»

الجزية الواجبة للملوك (النبذة الثانية)

وتقدَّموا نحوه، مترصِّدينه، وكانوا يقولون لتخطيئه: «أيها المعلِّم يسوع، نعلم أنكَ أتيتَ من الله، لأن أعمالك تشهد متجاوزةً كلّ الأنبياء. قُلْ لنا إذاً: «هل مسموح ان ندفع للملوك الجزية الواجبة لسلطتهم؟ أينبغي دفعها أم لا؟» فقال لهم يسوع، الذي كان يعرف أفكارهم، غاضباً جداً: «لِمَ تدعونني بالفم معلِّماً ولا تسمعون ما أقول؟ ان أَشعيا أحسن التنبُّؤ في شأنكم، قائلاً: «هذا الشعب يُكرمني بشفتيه، لكن قلبهم بعيدٌ عني. فباطلاً يحترمونني، طالما انهم يعلِّمون تعاليم (بشر).»

الزَّرْع على الأُردن

... كان يملأهم الشك، كما أمام سؤال خارق. عندها توقَّف يسوع، الذي كان يمشي، على ضفة الأُردن، ومدَّ يده اليمنى [...] وألقى البذار على النهر. والماء [...] وأمام نظرهم، أنتج الماء ثمراً.

نبذات من مصادر مختلفة

نبذة الفيوم

موجودة اليوم في ڤيينا. وهي نُتَفٌ من إنجيل ضائع أو استشهاد حرّ من متى (٢٦، ٣٠ ـ ٣١ و٣٣ ـ ٣٤) ومرقس (١٤، ٢٦ ـ ٢٧ و٢٩ ـ ٣٠). إيجاز النص يحجب الجواب الحاسم. وُضِعَ على ما يبدو في الأعوام الأخيرة من القرن الثالث م.

بعدما أكل كالمعتاد[١]، قال: «سوف تُصدَمون كلّكم هذه الليلة بحسب ما هو مكتوب: "سأضرب الراعي فتتبدَّد النعاج."»

وقال له بطرس: «إذا صُدِموا كلّهم، فأنا لا!» فقال: «اليوم بالذات، قبل أن يصيح الديك مرّتين، تكون قد أنكرتني ثلاث مرات.»

نبذة القاهرة

قطعة عظة قديمة، لا نبذة إنجيل على الأرجح، تروي الهرب إلى مصر ثم البشارة.

وتكلَّم ملاك الربّ: «يا يوسف، قُمْ، خُذْ مريم زوجتك واهرُبْ إلى مصر و...»

١ ـ يبدأ النص حين يخرج يسوع والتلاميذ من المنزل حيث أقاموا الفصح.

... سيُشرَح لك. لكن رئيس الجيش السماوي[1] قال للصبيَّة: «ها هي، أَليصابات قريبتك حبلى أيضاً. انها في شهرها السادس، تلك التي كانت تُدعى العاقر.» في الشهر السادس هذا، وهو شهر توت، حملت أُمه إذاً يوحنا. وكان ينبغي أن يبشِّر رئيسُ الملائكة يوحنا، الخادم، بأنه سوف يسبق مجيء ربِّه.

بَرْديَّة برلين الرقم ١١٧١٠

تعود من دون شك إلى القرن السادس م. مرتبطة بيوحنا ١، ٤٩. يدعو فيها الرسولُ يسوعَ رابِّي. النص من دون شكل جزء من ذخيرة فردية.

اعترف نتنائيل فقال: «رابِّي ربّي، أنت ابن الله!» فأجابه الرابِّي: «يا نتنائيل، سِرْ في الشمس.»[2] واستأنف نتنائيل: «رابِّي ربّي، أنتَ حمل الله الذي يرفع خطايا العالم.» فأجابه الرابِّي: «أنا المسيح، الإبن الوحيد، يسوع المسيح، الله.»

إنجيل مريم المجدلية (نبذة پ. ريلاندز III، ٤٦٣)

النبذة وصلت إلينا قبطية قبل أن يُعثَر على نُتَفٍ مكتوبة باليونانية، مما يؤكد الفَرَضية القائلة بأن الأدب القبطي المستوحى من الغنوصية والمسيحية مصادره يونانية. يعود الإنجيل هذا إلى القرن الثاني م.

١ - أي رئيس ملائكة. هذا الجواب الغريب يؤكد تأثيراً مانوياً.

٢ - إشارة إلى أن نتنائيل كان تحت شجرة تين حين رآه يسوع، أو ان الامر حثٌّ له على الخروج إلى النور. وإذا افترضنا تأثيراً مانوياً، يكون الكلام على الشمس باعتبارها إحدى السفن التي تُعيد المختارين إلى مآلهم السماوي.

... بقية الطريق، البرهة، الوقت، الدهر، راحة وصمت.» وإذ قالت ذلك، صمتت مريم، كما لو ان المخلِّص كلَّمها حتى ذلك الحين.

وقال أندراوس: «أيها الإخوة، ماذا ترون في هذه الأقوال؟ بالنسبة إليَّ، لا أعتقد بأن المخلِّص قال هذا الكلام، الذي لا يبدو متوافقاً مع فكره.»

وقال بطرس: «أكان ذلك من أجل ان يسمعه الجميع، ان الربّ، وقد سُئل هذه الأسئلة، تحدَّث إلى امرأة، سرّاً، من دون علمنا؟ إلا إذا أراد ان يُظهِر لنا أنها تستأهل تقديره أكثر منا!... المخلِّص[1].»

وقال لاوي لبطرس: «يا بطرس، أنتَ دائماً متأهِّب للاحتداد، وهذه اللحظة، تناقش هذه المرأة كما لو انكَ عدوّها. إذا بدا للمخلِّص انها أهلٌ، فمن تكون، أنتَ، لتحقِّرها؟ في كلّ حال، هو، أحبَّها بالتأكيد إذ رآها. لنخجَلْ بالاحرى، ونتمِّم ما أُمِرْنا به، مرتدين الإنسان الكامل. لنبشِّر بالإنجيل، من دون ان نحذف ولا نضيف شيئاً إلى تعليمه، وكما قال المخلِّص.»

وإذ تكلَّم هكذا، مضى لاوي وأخذ يبشِّر بالإنجيل بحسب مريم.

---

١ ـ هذه الثغرة في المخطوط اليوناني تُكمِلها الترجمة القبطية، كما يلي: «قالت مريم لبطرس، باكيةً: «بطرس، يا أخي، بِمَ تفكِّر؟ أتعتقد بأن ذلك ليس سوى هذيان مني، أم انني أخون المخلِّص؟»

٣ ـ نبذات أناجيل ضائعة

الإنجيل بحسب العبرانيين

إكتشف القديس إِيرونيموس (٤٢٠+) نصَّين من الإنجيل بحسب العبرانيين، (أو الناصريين)، واحد في قيصرية، والآخر قرب أَنطاكية. واعتقد بأنه وجد في هذا المؤلَّف المكتوب بالآرامية ترجمةً أولى للقديس متى. لكن العكس هو الأرجح، فالإنجيل بحسب العبرانيين يفسِّر إنجيل متى الرسمي، المكتوب باليونانية. إلا أنه يضمُّ تقاليد شفهية يجعلها قِدَمُه (النصف الأول من القرن الثاني م.) جديرة بالاحترام.

والأهمية المعطاة فيه ليعقوب تُظهِر ان هذا الإنجيل يأتي من أوساط يهودية متنصِّرة متشدِّدة. المؤسف انه ضاع كلّه تقريباً، باستثناء نبذات نقلها الآباء، ولا سيما إِيرونيموس وأُوريجانوس.

كلمة «عبرانيين» لا يجب أن تُفهَم بالمعنى اللغوي، ولا بالنسبة إلى العبرانيين، بل بمعنى العقيدة. أي انه إنجيل موجَّه إلى

اليهود الذين اعتنقوا المسيحية واستمروا في اعتبار ان المسيح جاء ليتمّم ناموس موسى. هؤلاء، أسماهم العرب والإسلام «النصارى».

هذا الإنجيل، في الأساس، يحتوي، كما الأناجيل الرسمية، عماد يسوع، تجربته على الجبل، فصحه الأخير، ظهوراته بعد قيامته؛ إلى بعض الحكم الأدبية والعلائق الأخوية والخواطر الروحية... مع العلم بأن هذه المقارنة بينه وبين الأناجيل الرسمية، لا تعني إطلاقاً تشابهاً من حيث العقيدة، فهذا الإنجيل له رمية غنوصية وسريّة من أوساط يهودية ويهودية متنصِّرة.

إقليموس الإسكندري، مقابلات ٢، ٩، ٤، ٥، ١٤

كما هو مكتوب أيضاً في الإنجيل بحسب العبرانيين: مَنْ يدهَش يملك. ومَنْ يملك يَذُق الراحة.

مَنْ يبحث يتابع بحثه حتى يجد. ومَنْ يجد يدهَش. ومَنْ يدهَش يملك ومَنْ يملك يتمتَّع بالراحة[1].

أُوريجانوس، شرح في متى ١٥، ١٤

أحد اولئك الأغنياء قال له: «يا معلِّم، ماذا عليَّ ان أفعل خيراً لتكون لي الحياة؟» فقال له: «يا رجل، نفِّذ الشريعة والانبياء.» واستأنف الآخر: «انني أفعل ذلك.» فقال له يسوع: «إمْضِ، بِعْ كلّ ما تملك ووزِّعه على الفقراء؛ ثم، تعال، اتبعني.» وحكَّ الغنيّ رأسه، غير راضٍ كثيراً. فقال له الربّ: «كيف تقول: "نفَّذتُ الشريعة والأنبياء"، بينما مكتوبٌ في الشريعة: "أحِبَّ قريبك كنفسك"؟ أُنظُرْ، ان عدداً كبيراً من إخوتك، من أبناء إبراهيم، تكسوهم القذارات، ويموتون جوعاً، ومنزلك يفيض خيراتٍ، ولا يخرج منه شيء إطلاقاً لهم.» وإذ التفت نحو سمعان، تلميذه، الجالس إلى جواره: «يا سمعان، يا ابن يوحنا، قال له، من الأسهل لجملٍ ان يدخل في سَمِّ الخياط من ان يدخل غنيّ ملكوت السماوات[2].»

أُوريجانوس، في يوحنا ٢,٦

يقول المخلِّص: «أُمي الروح القدس، حملتني بشعرة من شعري ونقلتني فوق جبل طابور العالي.»

---

١ ـ النص من أفلاطون في تأمُّل الكائن، وهو مرحلة نحو الكمال.
٢ ـ الأعراف: ٤٠: ولا يدخلون الجنّة حتى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخياط.

إيرونيموس

الشرح الثالث في الرسالة إلى أهل أَفسس ٥، ٤

في إنجيل العبرانيين أيضاً، نقرأ ان الربّ، قال متحدِّثاً إلى تلاميذه: «لا تكونوا أبداً فَرِحين إلا عندما تنظرون إلى أخيكم بمحبة.»

في المشاهير، ٢، ٣، ١٦

حين أعطى الربّ كفنه خادم الكاهن، توجَّه إلى قرب يعقوب وظهر له لأن يعقوب أقسم بعدم تناول خبزٍ منذ الساعة التي شرب فيها من كأس الربّ، إلى ان يراه قائماً من رقاد الأموات.

«هاتوا، قال الربّ، المائدة والخبز.» وعلى الفور أخذ الخبز، وباركه، وكسره، وأعطى منه يعقوب البار، قائلاً له: «يا أخي، كُلْ خبزك، طالما ان ابن الإنسان قام من بين الراقدين.»

من مصر، دعوتُ ابني. و: سوف يُدعى الناصري.

وحين جاء يسوع إلى قرب بطرس ورفاقه، قال لهم: «هوذا، المسوني وانظروا، فأنا لستُ شيطاناً غير محسوس[1].» وعلى الفور لمسوه وآمنوا.

مقالة في المزمور ١٣٥

أعطِنا اليوم خبز غدنا[2].

١- هذه العبارة وردت أيضاً لدى أُريجانوس، الذي ينسبها إلى منحولٍ ضائع يُدعى «عقيدة بطرس».

٢- يقول إيرونيموس شارحاً: «وجدتُ في الإنجيل بحسب العبرانيين، بدلاً من «الخبز الذي يوفّر قوتنا»، عبارة «ماهار» التي تعني «الذي للغد». من هنا معنى خبز غدنا، أي: خبز الحياة الآتية أعطِنا إياه اليوم.» هكذا ترتدي الأبانا هذا المعنى: أعطِنا على هذه الأرض خبز ملكوتك.

الشرح الأول في متى ١٢ ، ١٣

كان الرجل صاحب اليد اليابسة يتوسَّل إليه مساعدته: «كنتُ بنَّاءً، كان يقول، وكنتُ أعيشُ من عمل يَدَيّ. أتضرَّع إليك، يا يسوع، أعِدْ إليَّ صحتي لأتحاشى تسوُّل خبزي.»

الشرح الرابع في متى ٢٧ ، ١٦ ، ٥١

باراباس، في الإنجيل بحسب العبرانيين، ترجمته «إبن معلِّمهم». وقد حُكِمَ بالتمرُّد والقتل.

واجهة الهيكل، التي كانت هائلة، انهارت واستحالت حطاماً[١] .

الشرح الرابع في أشعيا

سينزل عليه نبع الروح القدس كاملاً... وحدث، فيما كان الربّ يصعد من الماء، ان نبع الروح القدس كاملاً نزل واستقرَّ عليه وقال له: «يا بُنَيَّ، في الأنبياء كلِّهم، كنتُ انتظر مجيئك، لأرتاح فيك. لأنكَ أنتَ راحتي، أنتَ ابني البكر، الذي يملك إلى الأبد.»

الشرح السادس في حزقيال

وفي الإنجيل بحسب العبرانيين الذي يطبِّقه الناصريون، يُعتَبَر أحد أعظم الجرائم إحزانُ روح الأخ.

ضد پيلاجيوس ٣ ، ٢

وإذا بأم الربّ وإخوته يقولون له: «ان يوحنا المعمدان يعمِّد لمغفرة الخطايا. هيّا نعتمد على يده.» لكنه قال لهم: «أي خطيئة ارتكبت ليكون عليَّ التماس عماده؟ إلا إذا كان كلّ ما قلتُه ربما جهالة؟»

٣ـ وحده متى يقول ان حجاب الهيكل انشقَّ إبان الصلب.

«إذا خطىء أخوك، قال، بالقول وطلب منك الصَّفح على ذلك، استقبِلْه سبع مرات في اليوم.» فقال له سمعان، تلميذه: «سبع مرات في اليوم؟» فأجابه الربّ: «وحتى أقول لك إلى سبعين مرة سبع مرات. لأن في انبيائي أنفسهم، بعدما مُسِحوا بالروح القدس، نجد أقوال خطيئة.»

هيمون الأُوكسيري، الشرح الثاني في أشعيا، ٥٣

كما نقرأ ذلك في إنجيل الناصريين، عند قول الربّ: «يا أبتِ، إغفِرْ لهم»، آلافٌ عدة من اليهود الذين كانوا واقفين حول الصليب، آمنوا.

كيرلُس الأُورشليمي، نبذة من حوار العذراء

في هذه النبذة، يسأل المؤلف راهباً من غزة مشتبهاً بهرطقته والراهب يجيبه:

مكتوب في الإنجيل بحسب العبرانيين ان الآب الصالح، إذ رغب المسيح في المجيء على الأرض لإتمام الخلاص، نادى من بعيدٍ قوةً اسمها ميخائيل، وأوصاها بالسهر على المسيح خلال مهمته. وجاءت القوة إلى العالم ودُعيَتْ مريم، وكان المسيح سبعة اشهر في أحشائها. وحين ولدته، وكَبِرَ ثم اختار رُسُلَه، صُلِبَ ورفعه الآب.

إنجيل الإبيونيين

يؤكِّده إِپيفانوس خصوصاً، ويقدِّمه بقوله: «في الإنجيل الذي قبلوه، بحسب متى كما يُقال، ولكنه في الحقيقة، ناقص جداً؛ ومشوَّه، ومبتور، يسمونه الإنجيل العبراني.» وهو على الأرجح إنجيل الرسل الاثني عشر نفسه، ومن المحاولات الأولى لضبط تعدُّد الأناجيل وتنوُّعها قبل انتهائها رسمياً إلى أربعة. انه نص يوناني من النصف الأول من القرن الثاني م. يحقِّره إِيرونيموس وأُوريجانوس، باعتباره هرطقةً. نشأ النص في الشيعة الإِبيونية، التي تضم غنوصيين متهوِّدين، يستمدون اسمهم من كلمة عبرية تعني «فقراء». كان هؤلاء يريدون فرض نير الشريعة على الوثنيين بسلوكهم التقشُّفي، ويُنكِرون أُلوهية يسوع. وقد عارضوا الذبائح، وجعلوا يوحنا كما المسيح يجاهران بالنظام الغذائي النباتي.

النص قريب من إنجيل العبرانيين ويستند مثله إلى متى وحده.

إپيفانوس، هرطقات، ٣٠، ١٣، ١٦، ٢٢

ظهر رجل، اسمه يسوع، عمره نحو ثلاثين عاماً، واختارنا. وإذ وصل إلى كفرناحوم، توجَّه إلى منزل سمعان الملقَّب بطرس، وفتح فمه وقال: «عابراً في محاذاة بحيرة طبريّا، اخترتُ يوحنا ويعقوب، ابنَي زبدى، وسمعان، وأندراوس، وتاديوس وسمعان الزيلوتي[1]، ويهوذا الإسخريوطي[2]. وأنتَ، يا متى كنتَ جالساً إلى مكتب مكوسِك، حين ناديتُكَ وتبعتني. أُريد ان تكونوا اثني عشر رسولاً، لتشهدوا أمام إسرائيل[3].»

وكان يوحنا يُعمِّد، ويأتي إليه فرِّيسيون يقتبلون عماده، وكل أُورشليم. وكان يوحنا يرتدي لباساً من وبر الإبل وإزاراً من جلدٍ على حَقْوَيه. وكان طعامه عسلَ البَرِّ الذي له مذاق المَنّ، كما حلوانا بالزيت[4].

يبدأ إنجيلهم بهذه الكلمات: «حدث ان في عهد هيرودس، ملك اليهودية، وقيافا رئيس الكهنة، ظهر رجل اسمه يوحنا، يعمِّد بعماد توبةٍ في الأُردن. وكان يُعتَقَد بانه من عائلة هارون الكاهن، وابن زكريا وأَليصابات. وكلّهم كانوا يأتون إليه.»

وحين عُمِّد الشعب، جاء يسوع أيضاً واعتمد على يد يوحنا. وعندما صعد من الماء، انفتحت السماوات ورأى الروح القدس، كحمامةٍ، ينزل ويستقرُّ عليه. وخرج صوتٌ من السماء، قائلاً: «أنتَ

---

١ - أي الغيور.

٢ - ثمة إغفال لفيليبس وبرتلماوس وتوما ويعقوب بن حلفى.

٣ - يبدو هنا، أن اليهود هم المقصودون في رسالة يسوع قبل سواهم.

٤ - بما ان الإبيونيين نباتيون، يختفي الجراد الذي كان يكوّن طعام يوحنا من إنجيلهم بواسطة تبديل بسيط في كلمة أكريس (جرادة)، التي تصبح إنكريس (حلوى بالزيت).

ابني الحبيب، الذي به سُرِرْت.» وكذلك: «اليوم ولدتُكَ.» وعلى الفور نوَّر السماوات ضوءٌ عظيم. وخرج مجدَّداً صوتٌ من السماء: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْت.» عندها قال له يوحنا، مرتمياً على قدمَيه: «أتوسَّل إليك، يا ربّ، عمِّدني أنتَ بنفسك!» لكن يسوع رفض، قائلاً: «دَعْكَ من ذلك. هكذا يجب أن نتمِّم الأمور كلّها.»

«أتيتُ أُبطِلُ الذبائح وإذا لم تكفّوا عن التضحية، فإن غضبي كذلك لن يكفَّ عن الضغط عليكم[1].»

وعلى التلاميذ الذين كانوا يقولون: «أين تريد أن نهيىء لك الفصح الذي ستأكله؟»، يجعل (الإبيونيون) يسوع يجيب: «أيمكنكم أن تصدِّقوا انني رغبتُ رغبةً عظيمةً في أن آكل معكم لحماً لهذا الفصح[2]؟»

الإقليموسيات المنحولة، عظة ١١، ٣٥

لهذا ان الذي أرسلنا[3] قال: «كثيرون يأتون إليَّ، لابسين كنعاجٍ، لكنهم في الداخل ذئاب كاسرة. من ثمارهم تعرفونهم.»

إپيفانوس، اعترافات ٢، ٢٩

على العكس كان يتحسَّر على الذين يعيشون في الغِنى والملذّات، من دون ان يُعطوا الفقراء شيئاً، وكان يحذِّرهم من ان عليهم تقديم حساب، بما انهم لم يُعينوا حتى الأفقر من بين اولئك القريبين الذين علينا ان نحبَّهم كأنفسنا[4].

١ ـ رفض الذبائح علامة من علامات اليهود المتنصِّرين.

٢ ـ هنا إشارة جديدة إلى اليهودية المتنصِّرة في تفضيل النبات على اللحوم. ويتَّهم إپيفانوس الإبيونيين هنا أيضاً بأنهم زوَّروا النص ليؤكدوا مبادئهم النباتية.

٣ ـ في هذا الإنجيل، يعرِّف الرسل الإثنا عشر عن أنفسهم بأنهم الرواة وعن متى بأنه الكاتب.

٤ ـ الإشارة الاهم إلى نصرانية هذا الإنجيل: الإهتمام بالفقراء والمساكين. ومن هنا اسمهم: الإبيونيون، أي الفقراء، أي الذين يهتمون بالفقراء.

إنجيل المصريين

يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني م. إسمه يحدِّد أصله. فقد كان متداوَلاً في إقليمَي طيبة وليبيا. ما تبقَّى نبذات أوردها إقليموس الإسكندري وهيپوليت وإپيفانوس الذين يستنكرون طابعه الهرطوقي. نجد فيه تأثير متى.

القطع المختلفة تبدو مأخوذة من حوار بين المخلِّص وصالومة، إحدى النسوة اللواتي شهدن قيامته. موضوعها الأساسي العالم الآتي الذي يجب أن يتحرَّر من التمايز الجنسي الناشىء من السقوط والمولِّد الإنجاب والموت.

إقليموس الإسكندري، مقابلات ٣، ٦، ٩، ١٣

على صالومة التي كانت تسألُه: «حتى متى يسيطر بَعْدُ الموت علينا؟» أجاب الربّ: «حتى تكففْن، أنتنَّ النساء كلكنَّ، عن الإنجاب. ليس لأن الحياة سيئة وتُفسِد الخَلْقَ، بل هذا هو نظام الطبيعة. توليدٌ وفسادٌ يترابطان حتماً.»

يعترض البعض، بتعففٍ وَرِع، على خَلْقِ الله ويستشهدون بكلمات

يسوع هذه إلى صالومة التي ذكَّرتُ بها. اننا نجدها، إلا إذا كان ثمة خطأ، في الإنجيل بحسب المصريين. انهم يؤكدون أن الربّ صرَّح بنفسه: «أتيتُ أهدم أعمال المرأة.» بالمرأة، إفهموا الشهوات؛ وبأعمالها، الولادة والموت.

وإذا كان الحديث يتناول نهاية الأزمنة، سألت صالومة، في الوقت المناسب: «حتى متى يموت البشر؟» (الكتاب المقدَّس يعطي كلمة انسان معنى مزدوجاً، يشير إلى الشخص المرئي وإلى النفس، أو أيضاً ما هو مُخَلَّص وما ليس كذلك. والخطيئة تُدعى موت النفس.) فقدَّم لها الربّ هذا الجواب الثاقب: «طالما النساء يُنجِبْنَ.»

وقالت له: «أحسنتُ صنعاً بعدم الإنجاب»، معتقدةً بأن التوليد شر؛ والحال ان الربّ أجابها: كُلِي من كل عشبٍ، انما تحاشي الأعشاب المُرَّة[1].»

وإذ كانت صالومة تسأله متى تتحقَّق الأحداث التي تكلَّم عنها، قال الربّ: «حين تدوسون بالأقدام ثوب العار وحين يصبح الإثنان واحداً، ويتَّحد الذكَّر بالمؤنث ولا يكون بَعْدُ رجلٌ ولا امرأة.»

هيپُّوليت الرومي، فلسفة ٥ ، ٧

يقول الناسِّينيون[2] ان من الصعب إدراك النفس وتكوين فكرة عنها. لأنها لا تلبث في الحال نفسها، ولا في الشكل نفسه، ولا في المؤثِّر نفسه، الذي يسمح بتصوُّر هيئتها أو جوهرها. هذه التغييرات المختلفة يعالجها الإنجيل المُسمّى إنجيل المصريين.

١ ـ المقصود بالعشبة المرة الزواج.

٢ ـ شيعة غنوصية، معتقداتها وثنية نصرانية على نحو غامض.

إپيفانوس، ضد الهرطقات، ٢,٦٢

خطأهم كلّه (السابيليِّين) وأساس خطأهم يأتي من بعض المنحولات، ولا سيما إنجيل المصريين، تبعاً للعنوان المنسوب من البعض. نجد فيه كثيراً من التأملات منَ هذا العجين، كما لو ان المقصود مُسارّات غامضة للمخلِّص، الذي كشف لتلاميذه ان الآب، والابن والروح القدس شخصٌ واحدٌ ونفسه.

روايات متى

نبذات قصيرة تعود إلى بداية القرن الثاني م. مصدرها إنجيل مخصَّص لنوادٍ غنوصية مصرية تستند إلى متيّا، الرسول الثالث عشر الذي اختير مكان يهوذا قبل العنصرة. عُثِرَ على النص عام ١٩٤٧ بين كتابات غنوصية مصرية اكتُشِفت في مصر العليا. قال عنه أوزيبيوس: «نتاجُ ذكَرٍ ميتٍ، تُعيث فيه الهرطقات.»

إقليموس الإسكندري، مقابلات

وبداية الحكمة التمتُّع بالواقع، كما يقول أفلاطون في التِيِيتِيت، وتبعاً لنصيحة متى في الروايات: «تمتَّعْ، قال، بالحاضر.» هكذا يُثبِتُ الدرجة الأولى من المعرفة الآتية. (٢، ٩)

يقول الغنوصيون ان متى علَّمهم هو أيضاً بهذه العبارات: «ناضلوا ضد الجسد وعاملوه باحتقار، من دون إطلاق العنان أبداً للذة. حصنوا نفسكم بالإيمان والمعرفة.» (٣، ٤)

تبعاً لهم، يقول الرسول متى، في الروايات: «إذا خطىءَ جارُ مختارٍ، المختار هو مَنْ خطىء؛ فلو انه سلك كما تدعوه كلمة الله إلى ذلك، حتى جاره كان ليخجل من موقفه وما كان خطىء.» (٧، ١٣)

زكّا، رئيس العشّارين (البعض يقولون متى) وقد علم ان الربّ قرّر المكوث عنده: «ها هو نصف أموالي، قال؛ أُعطيه صَدَقَةً، يا ربّ، وإذا سرقتُ أحدهم، أُعوِّضه أربعة أضعاف.» عندها قال الربّ: «ان ابن الإنسان أتى اليوم، ووجد ما كان ضائعاً.» (٤، ٦)

سلسلة «الكنيسة في الشرق»

دير سيِّدة النّصر، نسبَيْه - غوسطا

(١٤,٥ × ٢١,٥ سم)

١ - **المارونيّة في أمسها وغدها**، ألأباتي بولس نعمان، د. الياس القطّار، أ. كرم رزق، د. طانيوس نجيم، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٧، ١١٠ ص.

٢ - **ظاهرة الحياة الرّهبانيّة**، نشأتها، طرقها، تنظيمها، أ. جوزف قزّي، أ. إميل عقيقي، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٩، ١٢٠ ص.

٣ - **المسيحيون في لبنان والشرق**، ألأباتي بولس نعمان، د. كمال الصليبي، د. فريد الخازن، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٧، ١٣٤ ص.

٤ - **نحو وَحدة التراث السرياني الإنطاكي**، ألمطران غريغوريوس يوحنّا إبراهيم، ألمطران يوسف ملكي، الأب الياس خليفة، سنة ١٩٩٧، ١٣٠ ص.

٥ - **نعمة الله كسّاب الحرديني (قدّيس كفيفان)**، دراسة تاريخيّة شاملة، للأب مارون كرم، تقديم الأبوين جوزف قزّي وجوزف مكرزل، سنة ١٩٩٨، ١٦٠ ص.

٦ - **محطّات مارونيّة من تاريخ لبنان**، ألأباتي بولس نعمان، سنة ١٩٩٨، ٢٧٦ ص.

٧ - **قضايا وأفكار من أجل «رجاء جديد للبنان»**، مجموعة من المحاضرين، سنة ١٩٩٨، ٢١٣ ص.

٨ - **الأناجيل المنحولة**، ترجمة، اسكندر شديد، تقديم ومراجعة أ. جوزف قزّي - أ. الياس خليفة، سنة ١٩٩٩، ٢٤٠ ص.